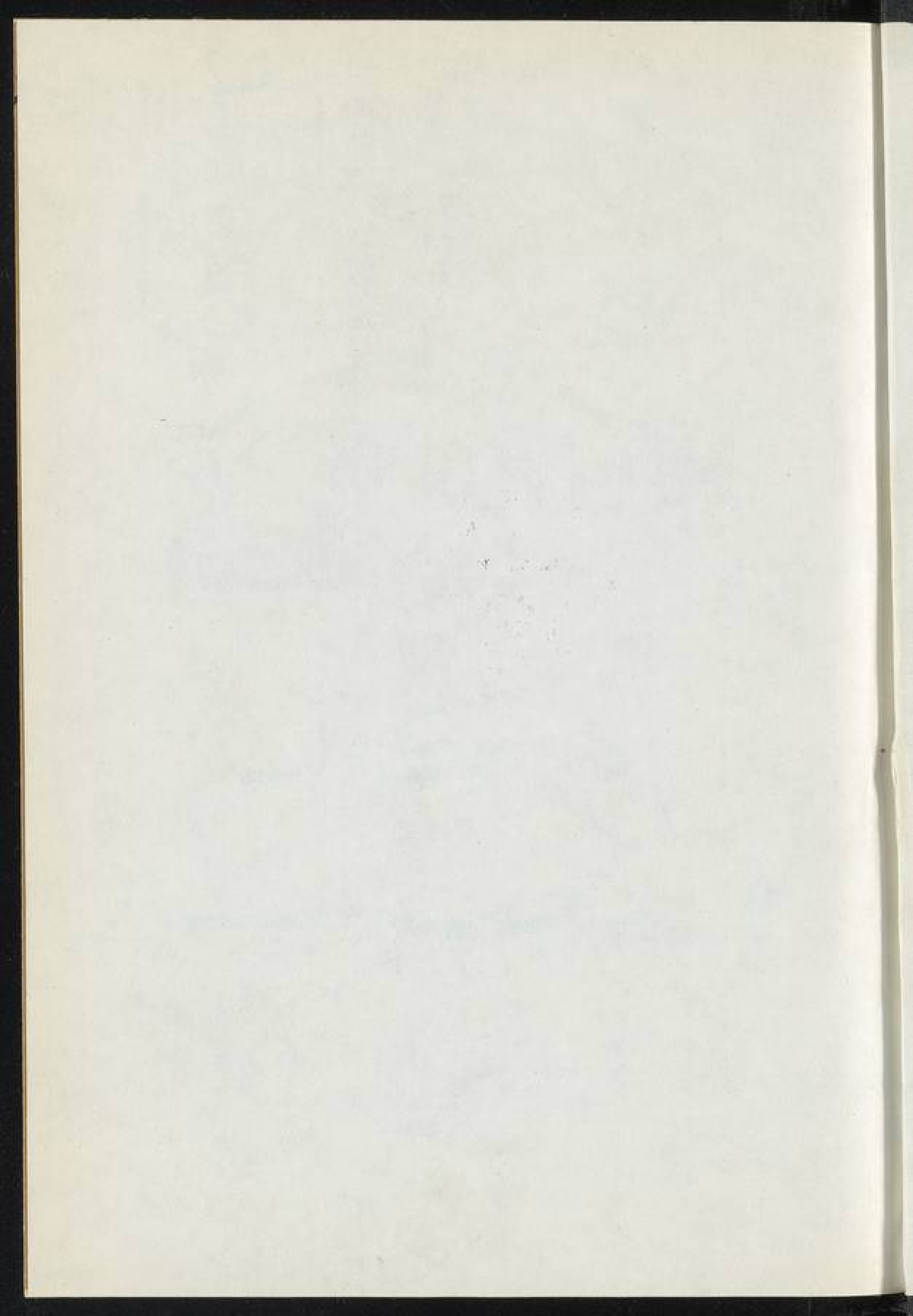
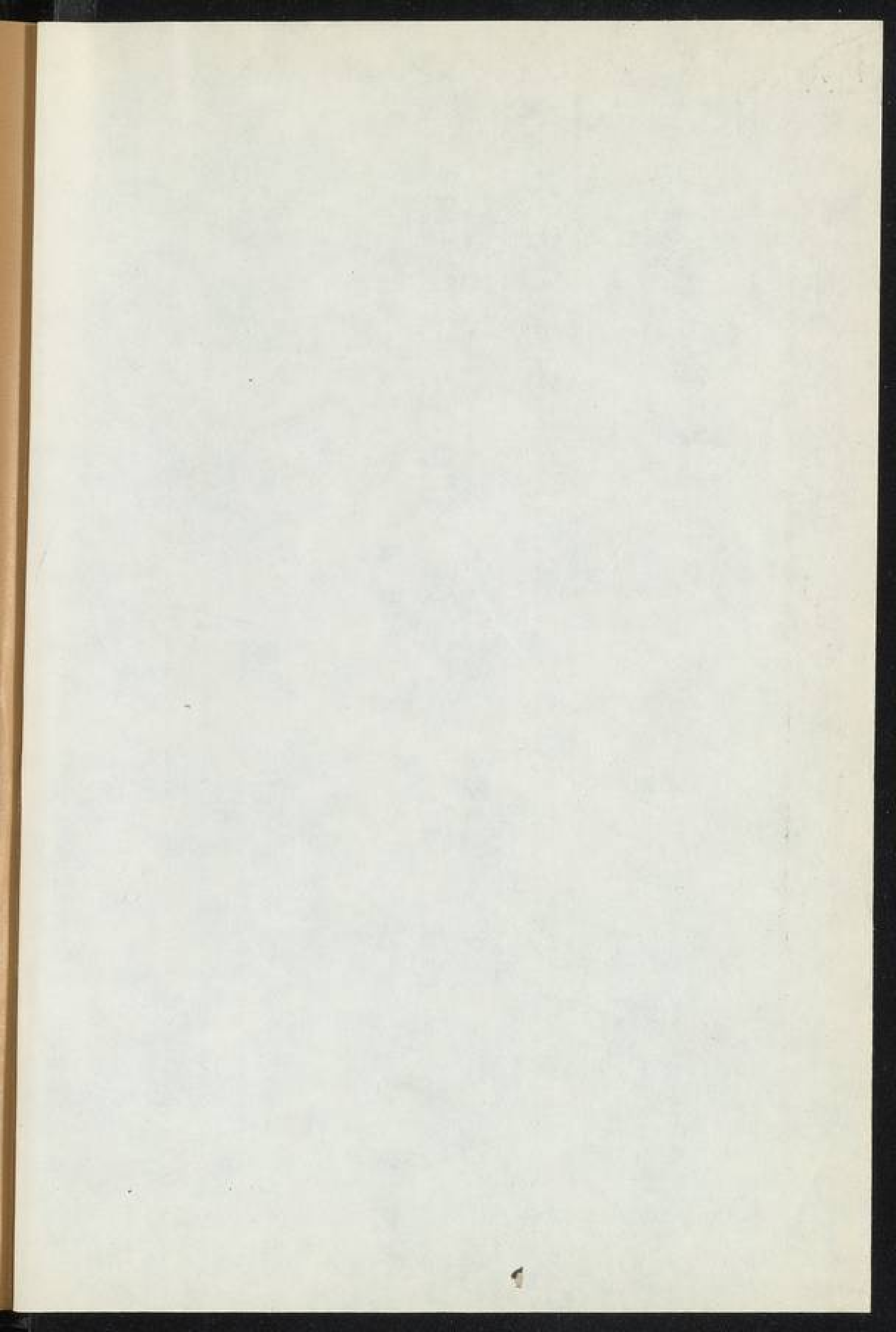
مذكرات غلاني

زركلي


COLUMBIA UNIVERSITY
THE
LIBRARIES
IN THE CITY OF NEW YORK

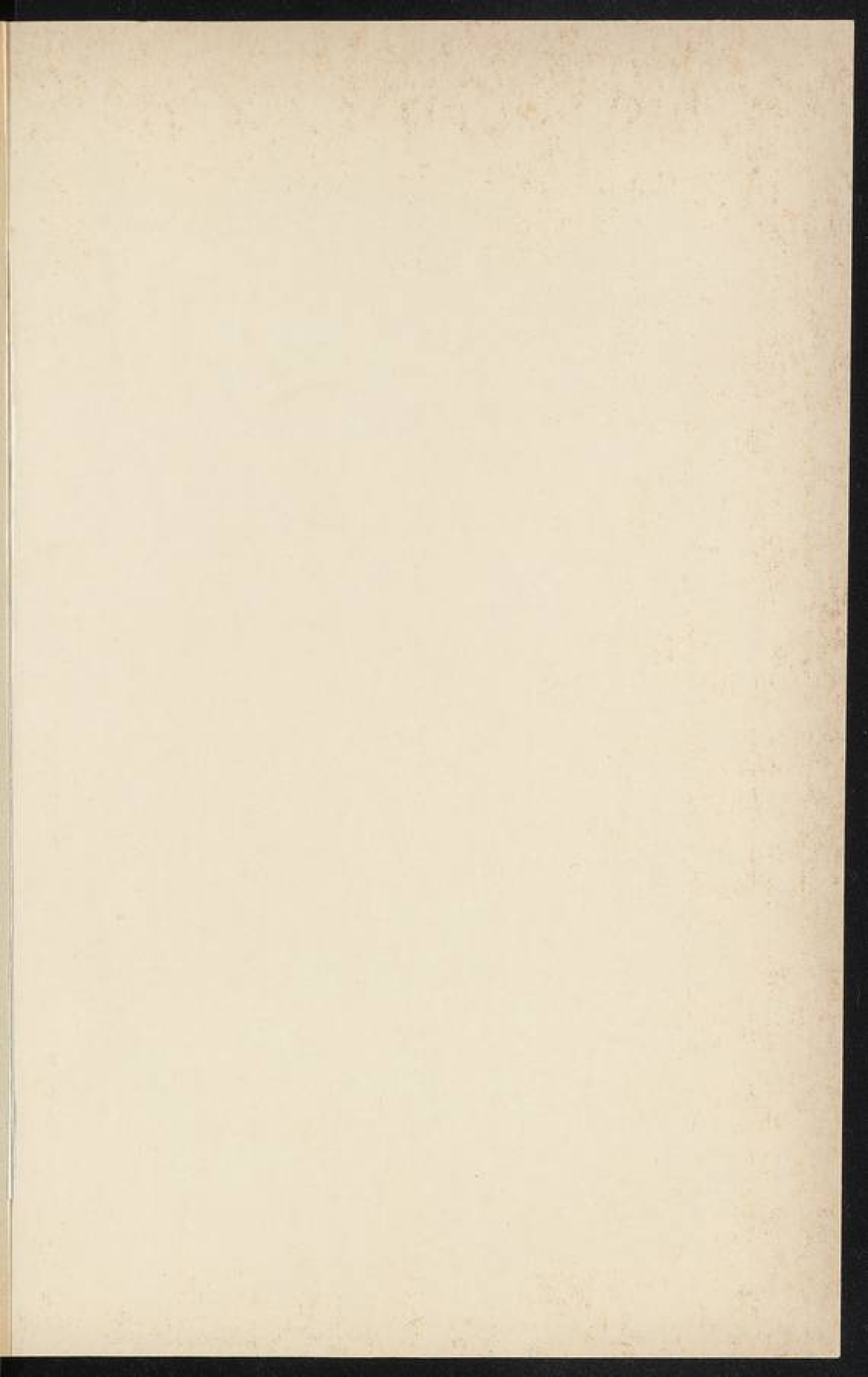




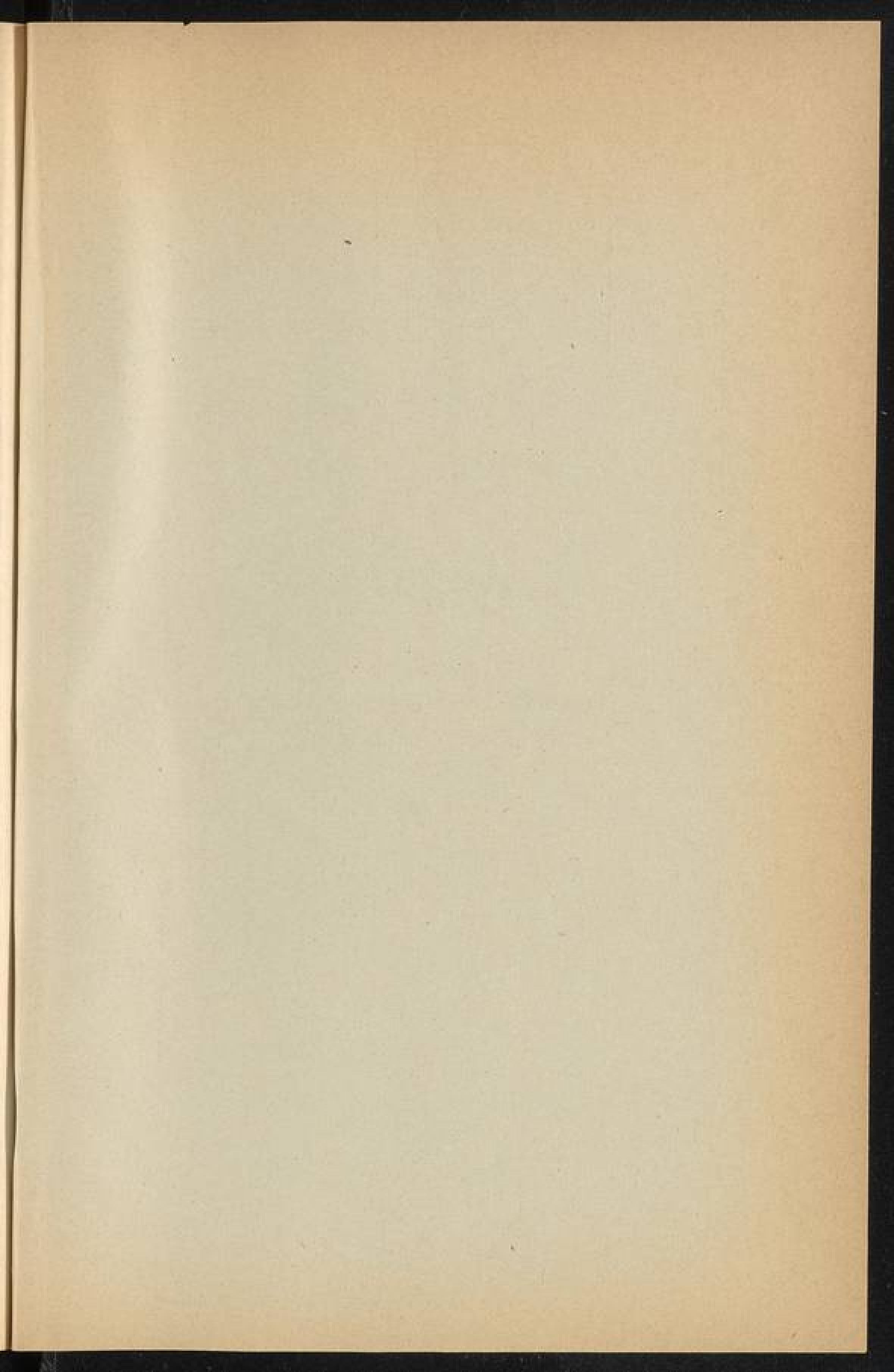
يوسف زركار

مذكرات فدائي أسير

سازمان چریکهای فدائی خلق



مذكرات فدائي اسير



مُذكِّرات فِدائيٍّ أسِيرْ

يوسُف زركار

شيء حول المؤلف

ولد الرفيق يوسف زركار ، مؤلف كتاب « فدائي اسير » في سنة ١٩٥٣ من عائلة عمالية ولم يكن قد تخطى التاسعة من العمر حتى توفي والده ، فاضطر منذ سني طفولته الاولى ان ينخرط في العمل لتأمين لقمة العيش لعائلته ، وهناك في المعمل تجسد امام عينيه واقع الاستغلال بشكله الحقيقي اذ كان يرى بناظريه الحياة الصعبة التي لا تطاق لابناء طبقته من جهة ، والارباح الخيالية التي تصب في جيوب الاثرياء من اصحاب الاعمال ، من جهة اخرى ، ولقد انعكست هذه الملاقات اللامتكافئة في ذهنه في صورة غامضة في البداية ، الى ان نشات بينه وبين بعض العمال الواعيين في معامل السكك ، حيث كان يشتغل ، بعض العلاقات ، فتقولب وعيه بتأثير منهم وتحولت آماله الى ايمان والصورة الغامضة عن العلاقات الاجتماعية الى صورة واضحة للاستغلال الطبقي ، ولذلك فانه بعد ان اطلقت اولى رصاصة من اسلحة منظمة « فدائي الشعب » في احراش سياهكل ، عام ١٩٧١ ايذانا بالثورة على النظام الرجعي ، تلك الانتفاضة التي احدثت تغييرا نوعيا وكميا في نضالات شعبنا ، اختار الرفيق يوسف زركار ، الذي كان قد اكتسب خبرة جيدة في النضال المهني ، اختار الكفاح المسلح ، فكان من اوائل الملتحقين بهذه الحركة على رغم حداثة سنه .

وبعد فترة من النشاط الثوري ، اعتقل الرفيق يوسف ، في ظروف ارهابية بالغة الشدة ، من قبل منظمة البوليس السري الايرانية (ساواك) ، الا انه تظاهر ابان التحقيق بانه ليس سوى انسان سياسي ساذج ، واحتفظ خلال مدة الاعتقال التي اقترنت بافظع انواع التعذيب البربري بايمانه القوي

وبأفكاره الثورية وبكرهه للعدو . واستطاع بمهارة وبراعة ان يغوي العدو ، فاطلق سراحه بعد ان قضى ما يقارب السنة رهن الاعتقال ، ولما خرج من السجن التحق مرة اخرى بمنظمته « منظمة فدائي الشعب » وهو أشد عزما واقوى ايمانا ، وتفرغ بشكل تام الى التنظيم الثوري والنشاط المسلح، وفي ٦ شباط ١٩٧٤ اشتبك مع العدو في صدام مسلح في شارع جهار باغ بمدينة اصفهان فقاتل بضراوة ، وبعد ان صرع احد المرتزقة وجرح واحدا آخر ، اصيب هو برصاصات عندما ضيق الحصار عليه من قبل قوة كبيرة ، فوقع شهيدا في ساحة المعركة .

فكرة موجزة عن منظمة فدائي
الشعب الايراني

تشكلت منظمة فدائي الشعب قبل ما يقارب اربع سنوات من عناصر واعية ومثقفين ثوريين وفي ظروف الارهاب والتعسف الشديدين من قبل اجهزة الشاه المرتزق ، ولقد انطوت تحت لوائها اواسط واسعة اخرى من العمال والمثقفين الثوريين ...

بدات هذه المجموعة عملها الثوري بدراسة تاريخ الحركة الوطنية الايرانية والنضالات التي خاضها هذا الشعب في سبيل حريته وضد الاستعمار ودراسة اوضاع المجتمع الايراني ومميزاته الراهنة ...

وبعد تحليل دقيق لهذه المعطيات توصلوا الى استنتاج مفاده : ان مهمة جميع المنظمات والمجموعات والفئات الثورية في ايران تنحصر في الشروع الفوري بالنضال المسلح . ولقد حددت القاعدة الاساسية لهذه الاستراتيجية بصورة دقيقة وواضحة للغاية وشخصتها بحرب الانصار في داخل المدن وحرب الانصار في الارياف على ان يكون حرب الانصار في المدن جزءا مكملا لحرب الانصار في الارياف . وتوضيحا اكثر واعمق للاوضاع التي يعيشها المجتمع الايراني والاسباب الداعية الى الشروع بالكفاح المسلح في ايران ، عكست المنظمة وجهات نظرها بشكل مفصل في كتب وكراريس مثل : الكفاح المسلح ــ الاستراتيجية والتكتيك ــ وضرورة الكفاح المسلح ودحض نظرية البقاء ، ومقالة حول الاهداف والسلوك ، وهكذا حدت فكرة الشروع بالنضال المسلح في المدن والارياف ، حدت بمنظمة فدائي الشعب

الى تشكيل نواة كتيبة الانصار المسلحة في احراش شمالي ايران بقيادة «الرفيق علي اكبر صفائي فراهاني» (ابو عباس) الذي اشترك في نضالات فلسطين ايضا ، وخلال العمل الثوري في المنظمة وصل فراهاني بسبب روحه الثورية الوثابة الى مرتبة قيادة مجموعة فدائية في الجبهة الشمالية لفلسطين ، وكانت هذه النوات في مرحلة تمرين على اساليب الحرب (حرب الانصار) عندما فوجئت وبوغتت من قبل قوة عسكرية كبيرة من الجيش المرتزق التابع للشاه فاضطر مناضلوها الى الانسحاب امام هجوم الطائرات الحربية وطائرات الهليكوبتر الى المنطقة المسماة « سياهكل » حيث شددت هذه القوات الحصار عليهم ، استشهد في المجابهة اللامتكافئة جميع افراد المجموعة وقتل عدد من افراد الجيش المرتزق . . .

وبالرغم من ان الهزيمة حاقت بهذه النواة المسلحة بسبب عدم التصدي والتحرك اللازمين وحداثة عهد المناضلين بالاعمال الثورية الواقية واهمال مبدأ اليقظة وعدم الاعتماد المطلق ، فان هذه الهزيمة لم تكن سوى هزيمة تكتيكية بحتة اذ ان نشوء هذه المنظمة او المجموعة والملحمة البطولية التي صنعها اعضائها على رغم قصر عمرها وعدم وجود التكافؤ الكمي والسلاحي بين الطرفين ترك اثرا عميقا لدى الجماهير الشعبية ولدى العناصر الثورية واحدثت تخلخلا جادا في صفوف الفئات السياسية مما اكسب فكرة الكفاح المسلح زخما اكبر وبسرعة اعظم نحو الامام وفي سبيل التكامل بحيث غدا الكفاح المسلح الذي تدور احداثه حاليا في وطننا ، استمرارا لحركة سياهكل هذه بالذات ..

وخلال هذه السنوات القليلة فان المنظمة من خلال العمل السياسي والعسكري في الداخل . استطاعت كسب تأيد المجموعات والمنظمات الثورية سواء في داخل البلاد او خارجها بل استطاعت ان تجلب انتباه سائر الثوريين الآخرين والقوى التقدمية في الدول الاخرى نحو نفسها وتحظى بعطفهم وتأييدهم ..

ونورد ادناه أهم العمليات الثورية التي اضطلعت بها منظمة فدائي الشعب ، خلال الفترة المنصرمة من الكفاح :

١ ـ التحقيق العلمي لفكرة الكفاح المسلح في ايران وخاصة في احراش شمالي ايران بحركة « سياهكل » بقيادة (ابو عباس) في شباط ١٩٧١ وقد قتل في هذا الاشتباك اكثر من ٦٠ ضابطا وجنديا . واستشهد جميع مناضلي الحركة ضمن الاشتباك وتحت التعذيب الوحشي الشاهنشاهي .

٢ ـ بتاريخ « ٥ نيسان ١٩٧١ » تم تنفيذ حكم الاعدام في الفريق

« فرسيو » المدعي العام العسكري المعادي للشعب في محاكم الشاه الصورية ، عقابا له على دوره الاساسي في اعدام الرفاق المشتركين في حركة سياهكل رميا بالرصاص . وقد عادت المجموعة الى قواعدها سالمة .

٣ ـ بمناسبة ما يسمى بمرور « ٢٥٠٠ » سنة على تاسيس الملكية في ايران تم تنفيذ سلسلة من الانفجارات تحت تماثيل الشاه والطغمة في المدن الايرانية . دليلا على السخط العارم الذي يكنه الشعب الايراني نحو الشاه والطغمة الحاكمة في ايران ، في اكتوبر ١٩٧١ ...

٤ ـ مصادرة موجودات عدة بنوك لصالح الثورة للصرف على احتياجاتها وما من شانه تعزيزها . جرت العمليات بتواريخ : ٨ كانون الثاني ١٩٧١ ، و ٣ شباط ١٩٧١ : و ١٥ ايار ١٩٧١ . وقتل نتيجة هذه العمليات احد رؤساء البنوك ، وعادت المجموعات الى قواعدها سالمة ...

٥ ـ بتاريخ « ١٦ اكتوبر ١٩٧١ » تم تفجير عدة قنابل في ابراج ومحطات انتقال الطاقة الكهربائية خلال اقامة الاحتفالات بمناسبة ما يسمى بمرور الفين وخمسمائة سنة على تاسيس الملكية في ايران ...

٦ ـ اقتحام مراكز الشرطة في طهران بتاريخ « ٣ نيسان ١٩٧١ » وفي تبريز بتاريخ « آذار ١٩٧١ » بهدف مصادرة الاسلحة الموجودة فيها لصالح الثورة . وعادت المجموعة الى قواعدها سالمة ...

٧ ـ تفجير القنابل في مراكز الشرطة خلال اقامة احتفالات ما يسمى بالثورة البيضاء الشاهنشاهية . في « ٢٦ كانون الثاني ١٩٧١ » ونفذت نفس العملية في سنة « ١٩٧٢ » وبنفس التاريخ ...

٨ ـ ابان زيارة نيكسون لطهران في « ٢٩ ايار ١٩٧٢ » تم تفجير مراكز المصالح الامبريالية والصهيونية في ايران تضامنا مع القوى الثورية الاخرى. وقد انفجرت العبوات في كل من (شركة اسو لاستخراج البترول) ، (شركة جنرال موتور) (شركة مارين بترول) (شركة بيبسي كولا) (ومكاتب شركات البترولية الامريكية المختلفة) . وبتاريخ « ٣١ ايار ١٩٧٢ » وضعت عبوات ناسفة في سيارتين تابعتين لمستشارين امريكيين مقابل فندق انترناشيونال ، وقد دمرت السيارتان تدميرا كاملا . وعندما كان نيكسون يقوم بتفقد بعض المنشئات القيت عدة قنابل على سيارته ولكنها انفجرت متاخرة واحدثت بعض الاضرار بالسيارات المرافقة ...

٩ ـ بتاريخ « ٢٥ مارس ١٩٧٣ » تمكنت المناضلة اشرف دهقاني من عناصر منظمة فدائي الشعب الهروب من سجون الشاه العميل ، والتحقت صفوف رفاقها الثوار .

١٠ – بتاريخ « ٢٤ آب ١٩٧٣ » اشتبك اثنان من عناصر منظمة فدائي الشعب مع القوات الايرانية وقد اعترفت السلطة العملية بوقوع ٣٢ اصابة ما بين قتيل وجريح من افراد الشرطة . واستشهد الرفيق البطل « ايرج سبهري » (ابو سعيد) وتمكن الرفيق الآخر من الفرار ...

١١ – بمناسبة الذكرى الرابعة لبدء الكفاح المسلح في ايران ، قامت مجموعة من عناصر منظمة فدائي الشعب بوضع عبوات ناسفة في المقر الرئيسي لقوات الدرك في طهران بتاريخ « ٩ شباط ١٩٧٤ » ونتيجة لهذه العملية عزل الشاه رئيس قوات الدرك وثلاثة من الضباط الكبار ..

١٢ – ابان زيارة سلطان عمان المجرم « قابوس » لايران في مارس ١٩٧٤ ، اهتزت سفارة عمان في طهران بشدة اثر انفجار قنبلة بداخلها على رغم الحراسة الشديدة من جانب الشرطة ...

١٣ – تهدم في نفس التاريخ « مارس ١٩٧٤ » مقر شركة الطيران البريطانية في طهران نتيجة انفجار قنبلة في داخلها وكانت العملية تعبيرا عن الاستنكار حول السياسة الخيانية التي تتبعها الحكومة البريطانية في حرب ظفار وتدخلاتها المباشرة وغير المباشرة في الحرب التحررية التي يخوضها الشعب العماني ...

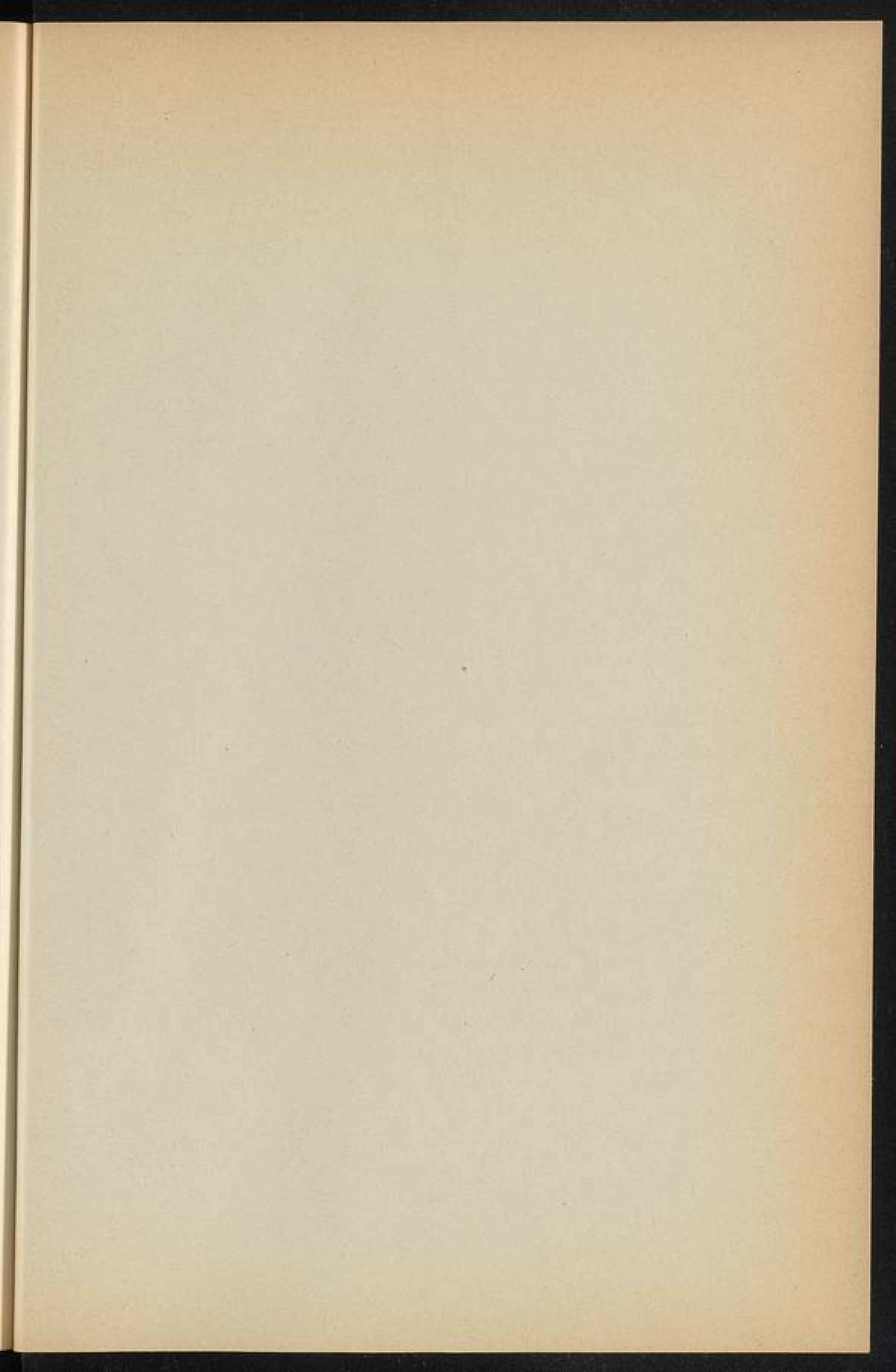
١٤ – وقع انفجار في نفس التاريخ كذلك امام مقر شركة « شل » التي تملك اكبر اسهم النفط في عمان ، هز الانفجار البناية هزا وكان ذلك استنكارا لتدخل الاحتكارات النفطية في حرب عمان ومن المعلوم ان هذه الشركة تتحمل توسيع نطاق عمليات الثورة المضادة في عمان ...

١٥ – بتاريخ « ١١ آب ١٩٧٤ » نفذ ثوار منظمة فدائي الشعب حكم الاعدام بحق احد العملاء وهو العميل محمد صادق فاتح يزدي ، صاحب مصنع (جهان للغزل والنسيج) وقد جاءت هذه العملية ردا على الجريمة البشعة التي ارتكبتها سلطات الشاه العميل بحق عمال المصنع الذين اعلنوا الاضراب مطالبين بتحسين ظروف العمل وزيادة الاجور وقاموا بمظاهرة في طهران تصدت لها قوات النظام العميل بالنار فسقط زهاء عشرين قتيلا وجرح عدد كبير من العمال . واشتباكات متعددة وعمليات ثورية اخرى اسير اليها بالتفصيل في كتاب « شيء من تجارب حرب الانصار داخل المدن في ايران » وفي خضم هذه العمليات الثورية النضالية ، تكدس لدى المنظمة خزين من التجارب الثورية وضعت تحت تصرف المكافحين الايرانيين بهدف اغناء التجربة الثورية على نطاق البلاد . ونذكر هنا قسطا من المطبوعات (كتب ومقالات وغيرها) المنشورة من قبل منظمة فدائي الشعب الايراني .

١ ـ الكفاح المسلح ـ الاستراتيجية والتكتيك ـ .
٢ ـ ضرورة الكفاح المسلح ودحض نظرية البقاء .
٣ ـ مقال حول الاهداف والسلوك .
٤ ـ مذكرات فدائي اسير .
٥ ـ ملحمـة المقاومة .
٦ ـ شيء من تجارب حرب الانصار داخل المدن في ايران .
٧ ـ دليل النصير العامل داخل ايران .
٨ ـ موجة تجارب الانصار في الادغال .
٩ ـ دليل القضايا التكتيكية لحرب الانصار .
١٠ ـ ذكرى الشهداء .
١١ ـ تجارب من التحقيق والتعذيب .
١٢ ـ مقال حول « دور الامبريالية في المنطقة وضرورة تحالف القوى الثورية ومقالات ومنشورات اخرى الفت خلال عملية الكفاح المسلح » .

تمكنت المنظمة منذ بزوغ فكرة الكفاح المسلح ونقلها الى حيز التطبيق العملي والى يومنا هذا من الوقوف بوجه الهجوم الوحشي للسلطة في المعارك غير المتكافئة والبقاء صامدا في الميدان بالرغم من ظروف الارهاب الشديد وتحكم الحكم العسكري المطلق وبالرغم من آلاف المؤامرات والحيل التي يلجا اليها النظام المعادي لاماني الشعب ، بل ان رقعة الكفاح المسلح قد شملت مناطق اوسع واوسع من بلادنا وانزلت افكار المنظمة وبطولاتها باناس آخرين الى الميدان ولم يصب المرتزقة التابعين للسلطة الشاهنشاهية العاملين يدا بيد مع منظمة الاستخبارات الامريكية (سيا) وتحت توجيه واشراف « هلمز » سفير امريكا في ايران غير الخذلان والهزيمة في جميع العمليات التي دبروها ضد المناضلين بهدف ابادتهم والقضاء على فكرة الكفاح المسلح ، الامر الذي اعترف به الشاه بصراحة في مؤتمراته الصحفية لاكثر من مرة ، فلقد قال في احداها ما نصه : ان المخربين موجودون في ايران فعلا كما هم موجودون في اي مكان آخر من العالم وهم يواصلون اعمالهم التخريبية ...

واليوم فان منظمة « فدائي الشعب » قد تجاوزت مرحلة التشكيل من خلال التجارب الفنية التي حصلت عليها خلال الفترة القصيرة المنصرمة وانتقلت الى مرحلة جديدة خطت فيها خطوات موفقة واستطاعت ان تصل الى مستوى رفيع في التعبئة الثورية في النواحي الكمية والكيفية على السواء ..



ان كاتب هذه المذكرات هو احد الرفاق العمال الشباب ، وقع في الاسر في مستهل نشاطه الثوري في المنظمة الفدائية ؛ لعدم مراعاته بعض المبادىء والاصول الثورية لكنه وقف بوجه العدو بمعنوية ثورية كأي بروليتاري صادق وبوعي يجدر بالانصار ، وقاوم بثبات ورباطة جاش شتى صنوف التعذيب التي تعرض لها على يد سفاكي ساواك (١) .

لقد كان الحس الطبقي الذاتي وجوهر السلطة المعادي للعمال الذي رآه هذا الرفيق بأم عينيه ولمسه بكل حواسه خلال حياته اليومية كبروليتاري ، العامل الاساسي الذي دفعه الى اللحاق بركب النضال المسلح الذي رفعت لواءه منظمته الثورية ، وكان تقززه من العدو شديدا بحيث كان جسمه يرتعش غضبا وتغلي الدماء في عروقه كلما تصور الخيانة لرفاقه والاستسلام للعدو ويقاسي من الم نفسي اشد واقسى بعشرات المرات من آلام التعذيب الجسدي الذي يمارسه العدو ضد المناضلين ، ولقد عمل رفيقنا بدقة ووعي خلال عمليات الاستجواب الطويلة والمجابهة مع المحققين وفرسان التعذيب القساة للتعرف الدقيق على شخصيات هؤلاء وسبر اغوار مشاعرهم ونفسياتهم واكتشاف نقاط الضعف فيهم وفي اساليبهم ، ولحسن الحظ لم تكن جزئيات نشاطه الثوري وعلاقاته داخل المنظمة الفدائية معروفة لدى العدو لذا فانه لعب دور انسان ساذج وبسيط وعلى نحو مدروس ومبرمج ، بحيث قدر على اغواء ماموري الساواك ، وخلال قيامه بتمثيل هذا الدور ظل محتفظا بوعيه الكامل ونقائه الثوري ، بحيث ان لحظات اللجوء الى بعض الاساليب للتمويه على العدو وممارسة ما يستلزم ذلك لم ينالا من حقده المقدس على السلطة الفاشمة ولم يحدا من نفوره منها او يثبطا من مقومات المقاومة في ذاته : الارادة الفولاذية ، الايمان،

---

(١) منظمة الامن الايرانية (سازمان امنيت واطلاعات كل كشور) .

الروح النضالية ... الخ ، متجنبا بذلك جميع الآثار السلبية التي قد يتركها هذا الموقف المؤقت في نفسه ، منطلقا من حقيقة ان النجاح في تنفيذ مخطط ما يستلزم اتخاذ موقف متحفظ من اجل اغواء العدو ، لا يمكن ان يتحقق دون وجود محرك ذاتي عميق غير قابل للخلل .

وهكذا فان التربص الواعي والحاذق من جانب رفيقنا ، ادى بماموري العدو ذوي الحنكة العدوانية ان يتصوروا انه ليس سوى ما يظهر لهم ، لذا خفت رغبتهم في الاستمرار في تعذيبه ، ودون ان يحصلوا منه على كلمة واحدة تضر الحركة ، اقلعوا عن التحقيق معه البتة . وهكذا ظل رفيقنا وفيا للعهد الذي قطعه على نفسه امام شعبه ورفاقه ، وخرج عالي الجبين من احد اعسر الامتحانات النضالية كما يجدر باي نصير فدائي للشعب .

في هذه المذكرات ، يسلط رفيقنا الضوء على خصائص ونفسيات ماموري العدو ويعكس الوجه الحقيقي لهؤلاء المرتزقة ، ويبين نقاطا حساسة دقيقة في المجابهة مع العدو قد يؤثر اهمال احداها على مصير المناضل الاسير ، وفي اعتقادنا فان هذه السطور تساهم في تسليط الضوء على واقع العدو واساليبه ونفسيات افراده واظهار وجهه الحقيقي بشكل واضح وجلي لكثير من المناضلين الذين لم يخبروا بعد ، دروب النضال المختلفة ليستطيعوا من خلال التعرف عليه كسب الاستعداد الكامل لمجابهة احابيله واساليبه واحتلال المواقع الصحيحة في النضال وتعريف الرفاق الآخرين به .

مقدّمة

يرجع النمو التكتيكي والتكنيكي للنضال المسلح في بحر السنتين الاخيرتين الى التجارب الغزيرة التي اكتسبها المناضلون في خضم النضال العملي ، لقد اغنى الثوريون الذين شهدوا الاشتباكات المتلاحقة مع الشرطة وصبغت دماؤهم اديم وطننا ، والشهداء الذين كتبوا بدمائهم دروس النضال لنا والرفاق الاسرى الذين يرزحون الآن تحت طائلة العذاب في زنزانات الامبريالية وصنيعتها السلطة الحاكمة في طهران ، اغنوا خلال هذه الفترة القصيرة حركتنا الثورية بخزين هائل من الدروس والعبر النضالية القيمة ، وفي ظروف نضالية كالتي نعيشها حاليا ، فان هذه التجارب سواء اكانت تاكتيكات اصولية ام تكتيكات دقيقة وطريفة في آن واحد ، فقد وضعت في متناول يد النصير المدني (٢) ودفع ثمنها دما او فترات طويلة من السجن والعذاب المتواصل ، الامر الذي يستلزم دراستها والاستفادة منها بوعي وثبات من قبل جميع الرفاق الانصار والمناضلين الذين يواجهون يوميا مختلف اساليب اجهزة السلطة والتقيد بها ومراعاتها بدقة ... ان سنوات طويلة من العمل السياسي الصرف المفتقر الى اصفر عمل دعائي في صفوف الجماهير الكادحة قد وضعت النضال الوطني في بلادنا امام معضلة كبرى .

لقد كانت واقعة سياهكل العظمى نقطة انعطاف كبرى في الوقائع السياسية التي تتابعت في ايران خلال السنوات الاخيرة ، وكسرت الى الابد الاطواق والمآزق التي عانت منها الحركات الثورية في بلادنا وفتحت

(٢) المقصود هو النصير الساكن في مراكز المدن .

دربا جديدا امام المناضلين الايرانيين ، ولم يؤد بزوغ فكرة النضال المسلح وتنفيذها الى انهاء الاعتكاف داخل الغرف الموصدة باحكام والانغمار بين امهات الكتب فحسب بل افرغ من محتواه زعيق تلك الفئة من المثقفين العاطلين الذين كانوا يتباكون على انماء الوعي السياسي للشعب .

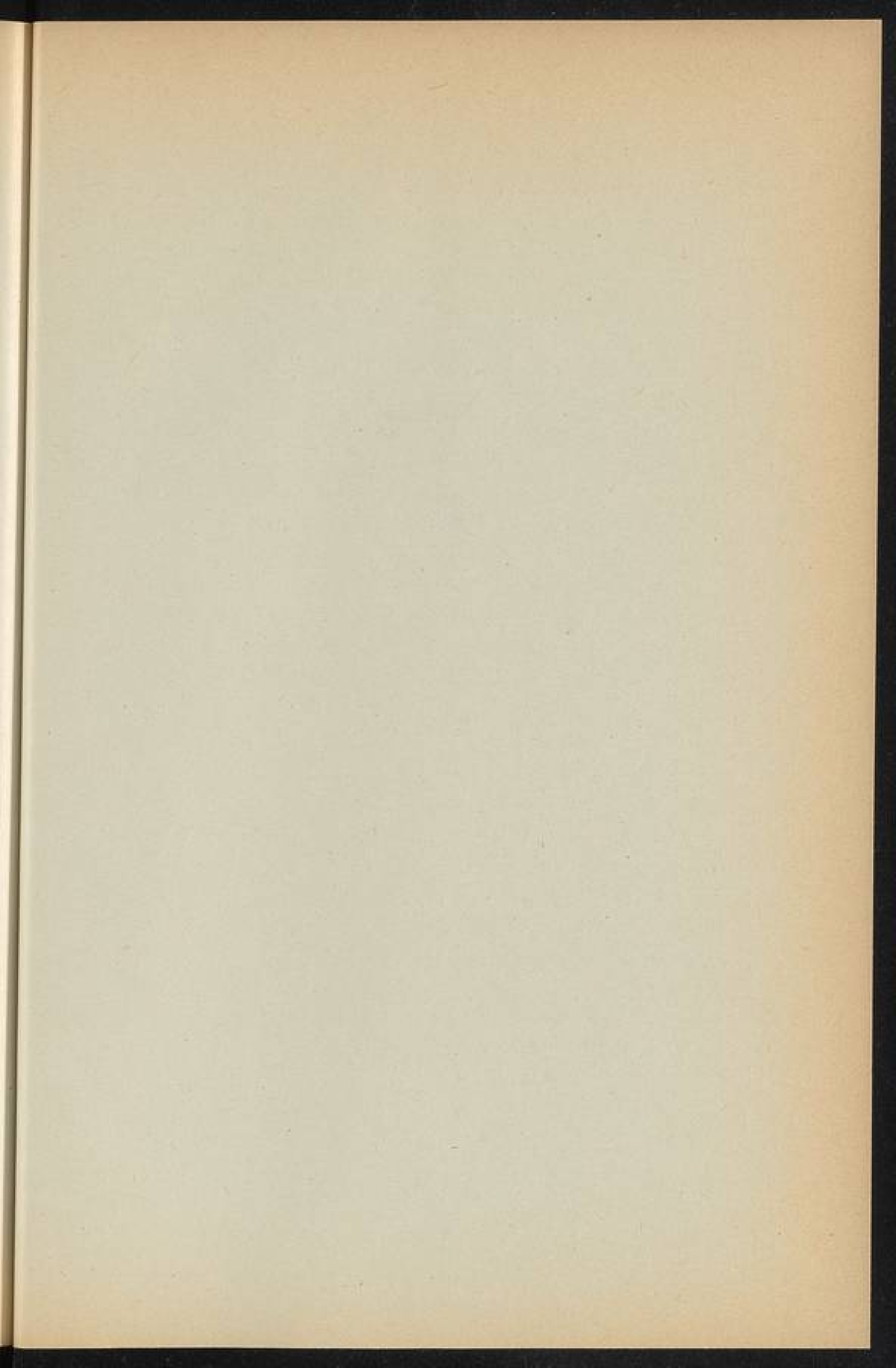
ان النار التي اندلعت في بقعة من شمالي ايران امتد لهيبها الى بيادر المستبدين واعداء الشعب فالتهمتها السنتها وغدت نارا هيهات ان تنطفيء ابدا مهما حاولت اجهزة الدكتاتورية ، نارا وضعت مسألة الحياة والموت بشكلها الحقيقي امام سلطة الشاه المقيتة وامتدت السنتها الى جميع مدن ايران ودقت بعنف اجراس الموت لدكتاتورية الشاه الطاغية ، وبديهي ان المثقفين الواقعيين والثوريين الايرانيين الذين طالما تغنوا ببطولات هذا الشعب وتضحياته لن يترددوا في اذكاء النار وتامين اسباب ديمومتها وسوف يضعون جميع امكانياتهم وقابلياتهم في خدمة مهمة تقوية النضال المسلح ، واذا كانت مساعيهم متجهة في الماضي الى تحليل المجتمع وتعيين سبل النضال الصحيحة ، فانه في الظروف الجديدة هذه لم يبق امامهم الا التفكير في ايجاد الطرق التحريضية العملية المؤدية الى زج اكبر عدد من المناضلين في خدمة النضال المسلح وساحة المعركة والمجابهة مع اجهزة الشرطة التابعة للسلطة الدكتاتورية الباغية . ان عليهم ، ان يتوجهوا حاليا الى تقوية الصراع لصالح الشعب والتصدي للمشاكل التي تعترض سبيل العملية النضالية واذلالها ، ومن الواضح جدا ان اظهار العطف ، مهما كان شديدا ، نحو النضال التحرري للجماهير الشعبية وابراز الشوق والتلهف لم يكن ، ولم يغد قادرا على تقديم الاجوبة الشافية للاسئلة التي تطرح نفسها بالحاح في العملية النضالية الكبرى حيث المجابهة المباشرة مع مختلف المؤسسات البوليسية المجهزة تجهيزا مثاليا . . . لقد كان النضال المسلح، عندما شرعت به طلائع الثوريين من ابناء شعبنا ، قد طرح نفسه بالحاح وكان ابناء شعبنا هؤلاء قد تحملوا مسؤولية خطيرة وعظيمة دون تجارب ثورية سابقة ترشدهم . . . ومع ان بعض العمليات الثورية كانت قد انجزت بنجاح تام ، لكن الاطار التنظيمي السياسي لم يكن قد اكتمل بعد خصوصا داخل المدن ، لذا فلقد كان النضال المسلح بالذات لما يزل بعد سوى شجرة فتية لم يصلب عودها وكان مكتوبا عليه ان ينمو ويكبر في ظروف صعبة وقاسية للغاية وتحت الضربات القاتلة الموجهة من الردة وعناصرة الثورة المضادة ولقد اتت اولى الضربات ، بالضبط ، عندما كان العمل جاريا في اكتساب التجارب الضرورية للمجابهة مع الثورة المضادة ، وكان خزيننا شحيحا للغاية

ولم نكن قد تعرفنا بعد حتى على القليل من مستلزمات النضال . ولقد كانت احدى اسباب ثقل هذه الضربة قلة التجربة في النضال المسلح وضعف بعض الرفاق من النواحي التطبيقية . لست ادري لماذا لا تتكافا خمسون ساعة من الكلام عن النضال وطرق الحسم لصالح الشعب مع ساعة واحدة من العمل الفعلي النشط وجل ما اعرفه بهذا الصدد هو ان الفرد الذي لا يملك القدرة على خوض حلبة المجابهة الفعلية مع المشاكل العملية لا يستطيع التصدي لحسم هذه المشكلات لصالح الشعب مهما اوتي من قوة الكلام وفنون التعبير ، وواضح ان قصدي من « الكلام عن النضال وطرح الحسم لصالح الشعب » انما هو ذلك الذي لا يقترن بالمبادرة العملية ، اذ لا يمكن قط الاستغناء عن المناقشة وتبادل وجهات النظر حول المسائل العملية وحلها وتوقع المشاكل التي قد تظهر عند تحليل هذه المسائل ...

خلال العمل وحده ، يتعرف الانسان على حلاوة الحياة ومرارتها بالمعنى الحقيقي ، في العمل يفهم المرء انه من اجل احراز النصر لا بد من الكفاح والسعي الحثيث ، نتعلم الا نكون بسطاء سذجا ، سهلي التصديق . يعلمنا العمل عدم الاعتقاد بالملذات والمسرات المحرزة من دون عناء وعدم الوقوع ضحايا للسطحية ولألاعيب العدو ، حقا ان العمل لشيء عجيب وخلاق ، فالانسان العامل لا يفقد الامل ابدا وان حاقت به الهزائم صغرت ام كبرت .

رفيق

١٠/١٠/٣٥١



البداية

عرفني زميل قديم كانت لي معه علاقات صداقة وثيقة في المعمل الذي كنت اعمل فيه سابقا ، بشخص آخر اسميه « زيدا » كان يشارك زميلي المشار اليه السكنى في الدار التي يسكنها هو ، حدث هذا في وقت لم اكن قد وضعت اقداما ثابتة في ساحة العمل التنظيمي ، وكنت اناقش ما ارتشفه من بطون الكتب الماركسية مع البعض من زملائي العمال الذين كانوا يظهرون ولعا خاصا بالمطالعة والبحث ، وكانت هذه المناقشات تساعدني كثيرا على هضم واستيعاب ما اقراه وتشكل لي نوعا من التجربة في العمل السياسي في صفوف البروليتاريا .

كانت لقاءاتي مع الزميل المذكور اعلاه لا تقتصر على مواقع العمل وانما كنا نلتقي في ساعات الراحة وبعد مغادرة المعمل ونقضي جل اوقاتنا ، اما بسرد النكت والنوادر ، او نتبادل الكتب المختلفة ونتمحص في دراسة ما بين دفتيها ، ثم نتناول محتوياتها بالنقاش والبحث ، وكان منزل هذا الزميل مسرحا لاكثر لقاءاتنا . فقد كان هو ينتمي الى ذلك الضرب من الناس الذين يشغفون بالمطالعة للتثقيف الذاتي فقط دون نقل ما استوعبوه او قراوه الى الآخرين تحاشيا لما قد ينجم عن ذلك من مشاكل هم في غنى عنها !.. . فلقد كان ولعه بدراسة المتون الماركسية يفتر كلما لاح في الافق خطر الشرطة او السجن !!. وكان كثيرا ما يردد بانه يجب تحديد رقعة النضال تحديدا شديدا بحيث لا ينتبه العدو اليها ويتصدى لضربها ، وكان يظهر تودده الى الافكار الماركسية لمن كان يثق بهم فقط ويأمن من ان اقواله لن تصل بأي شكل من الاشكال الى آذان مؤسسات الدكتاتورية الاريامهرية .

على اي حال ، لا ارى ثمة حاجة ملحة في الاسترسال في وصف هذا الشخص ، اذ ما يهمني هو ان هذه العلاقة اتاحت لي ان اتعرف على زيد ذلك الانسان الذي لا انساه قط مادمت حيا ، وكان زميلي العامل قد وصف لي زيدا من الناحية الفكرية وولعه بالقضايا السياسية ، اهدافه السياسية ، عفته وسمو ثقافته السياسية والعامة ، واكد علي اكثر من مرة الا افرط به واحرص على مواصلة زمالتي معه ، وبين لي بصراحة بانه لا يجد وجها للمقايسة بين نفسه وبين زيد وبانه ، ان لم يتعمد مخادعة نفسه ، لا يستطيع ان يسمي نفسه بحق رجل العمل الفعلي وانه يجد نفسه عاجزا عن القيام باي عمل تنظيمي او سياسي بين الجماهير ، على العكس من زيد الذي يملك قدرة وقابلية خارقتين في هذا المضمار ... واصبح القليل من الصداقة التي تشكلت بيني وبين زيد اضافة الى التشجيع الذي لاقيته من زميلي العامل ،عاملين دفعاني الى ان اقدم زيدا الى المجموعة كنصير لنا . اذ كنت قد قبلت عضوا في المجموعة الثورية وكنت أعمل في حالة اختفاء تقريبا واحتمل نوعا من المسؤولية ، الامر الذي كان لا يلزمني بشدة كسائر الاعضاء بالتحري عن كسب الاصدقاء والانصار فحسب ، بل وكما سنرى كان من شانه ان يجلب علي الضرر ..

فاتحت زيدا ذات مرة بالامر ، واعطيته كتبا للمطالعة ، وهنا ارتكبت خطا تنظيميا يعتبر ضربا من الليبرالية وهو انني لم اطلع الرفيق الذي يربطني بالمجموعة والذي نسميه « خسرو » ، وبطبيعة الحال كنت اعطي نفسي مبررات مقنعة على رغم تفاهتها وسخافتها الواقعية ، ومن جملة هذه المبررات ، وجوب التعرف الجيد على شخصية زيد والاطمئنان الكامل على نقائه والوقوف على امكان تحوله الى فرد مفيد للمجموعة ولقضية النضال في سبيل تحقيق اهدافها ، قبل تعريفه على خسرو او اعلام خسرو به ، ومرد هذا هو عدم قدرتي على ادراك ان الفردية في العمل ، في حالة انكشاف فشلها ولقبها للخطر ، قد تهدد رفاقا آخرين غيري من الذين لا لا علاقة تنظيمية لي بهم ، وكان هذا ، كما هو معلوم ، خرقا لاصول العمل التنظيمي الصحيح (١) ولقد غدا هذا العمل الفردي والارتباط الذي نشا

---

(١) كان هناك في نفس الوقت سبب آخر يقف وراء هذا التصرف الخاطىء ، الا وهو فشل محاولاتي مع عدد آخر من الافراد ، تحملت كثيرا من المتاعب والمشاق في سبيل كسبهم ، وكنت قد كسبت فعلا عددا منهم بعد جهود ومناقشات طويلة ، لكنهم جميعا تراجعوا ولقد ساورني نوع من القلق والشعور بالتقصير نتيجة لبعض التحليلات والاستنتاجات السطحية ، وكنت اشعر من جراء ذلك بخجل مزمن أمام الرفيق خسرو . وفي الواقع فلقد كانت جميع محاولاتي المتسمة بالعجالة والمفتقرة الى المعرفة الدقيقة والتشخيص الكامل والشامل ، والدقة

عنه ، خصوصا بعدما استغرق وقتا طويلا ومضى عليه شيء من الزمن ، غدا عبئا ثقيلا على شعوري بالصدق الثوري ، وكنت اشعر ، كلما سلمت بعضا من الادبيات الثورية والكتب الى زيد للاطلاع عليها دون علم مسبق من خسرو ، بانني ارتكب اخطاء جديدة وباني لا اتصرف تصرف الانسان الصادق ... لكن كان هناك شيء واحد يعزيني في هذه الازمة النفسية ويخفف من وطأتها علي الا وهو « الثمرة » التي قد احصل عليها من وراء هذا الارتباط : تقديم عضو ، ناضج ، ذي قابلية جيدة جدا الى المجموعة الامر الذي سيسر جميع رفاقي ... واعترف بانه كان هناك ثمة سبب آخر وراء الاخفاء ، وهو سبب مهم واساسي اكثر من غيره ، وهذا السبب هو التخوف من الانتقاد والافتقار الى الصراحة والشجاعة الثوريتين ، شجاعة الافصاح عن كل ما نفذته ، الصالح منه والطالح ، سواء اكان ذلك الذي ياتي علي بالاستحسان والتشجيع من لدن الرفاق ، ام ذلك الذي قد يؤدي الى توجيه الانتقادات او العقوبات التنظيمية الي من قبلهم ، كما واقر بأن هذا التخوف من الانتقاد لم يكن وليد هذه اللحظات ، بل انه بقايا الصفات السيئة للفرد البرجوازي الصغير ، صفات الانانية والاثرة ... في الواقع لم اكن قادرا على ان افهم نفسي وادراك ذاتي كما يجب ، ولم اكن قد جسدت في مخيلتي صورة كاملة وواضحة لمهمتي ، وواجباتي وانا عضو عامل في منظمة ذات نشاطات وخصال ثورية ، صحيح اني كنت قد اقتنعت تماما بعدالة الحركة وقبلتها لكنني يجب ان اقر بان روح الاندفاع والعاطفة كان طاغيا علي ولم تزل افكاري حينئذ فجة وسطحية . ولقد ثبت خلال التجارب المريرة ، ان الاتصال الارتجالي بالاشخاص الذين لا نملك عنهم معلومات كافية ومتعددة الجوانب ، يحمل في طياته اخطارا جسيمة قد ندفع ثمنها غاليا ، وكم من ضربات دموية سددت الى الحركة الثورية نتيجة اهمال جانب بسيط من الاتصال ، ذلك لان الاتصال يعتبر من اهم حلقات توسيع العمل التنظيمي واكثرها حيوية في الوقت الحاضر [تبرز اهمية هذه المسالة في الاعتقالات الواسعة التي جرت في صيف ١٣٥٠ (١٩٧١)] وقد يغدو اهمال جانب ولو بسيط جدا من هذه المسالة منفذا لتسرب احد العناصر المزروعة من قبل منظمة الامن (ساداك) ، ومن المفيد هنا ان نذكر ان اهمال هذا المبدا وقف كعامل اساسي وسبب رئيسي وراء كشف واعتقال مجموعة « بيرن جرني » ومجموعة « مجاهدي الشعب » .

والتروي ، في قضايا اخرى ايضا تغطية لفشلي المذكور ، وهكذا قبلت زيدا للعمل بناء على توصية من زميلي العامل فحسب !!

كما ان تحديد المواعيد التي تسبق اللقاءات بوقت طويل حيث لا يمكن اجراء الاتصال المباشر ، يعتبر هو الآخر خطأ جسيما في عمليات الاتصال (٢) وتقضي المبادىء التنظيمية الصحيحة ان يكون الافراد الذين يربطهم نوع من العلاقة التنظيمية على علم وثيق ودائم بأوضاع بعضهم البعض والتطورات التي تستجد كالاعتقالات او الحوادث الطارئة ليتمكنوا من اتخاذ التدابير اللازمة عند الحاجة لمواجهة مثل هذه التطورات ولنفس هذا السبب فان ضرب المواعيد التي تتخللها فواصل زمنية قصيرة يعتبر امرا ذا اهمية خاصة وضروريا الى حد كبير ، ذلك لان مثل هذه المواعيد واللقاءات تؤدي الى ان يكون هناك نوع من المعرفة المتبادلة بين الرفاق بالتطورات وتشكل ضمانا جيدا بتفادي اخطار الانكشاف والاعتقال المفاجيء ، وعلى سبيل المثال ، اذكر حادثة حدثت لي شخصيا : بعد الاتصال الفردي بزيد . الذي جرى كما بينت آنفا من دون علم مسبق لمسؤولي ، كنت اطرح معه نقاطا وقضايا بهدف استنتاج طبيعة تصرفاته وعلاقاته ، ومن ثم معرفة ما اذا كانت احدى هذه الوقائع من شانها ان تصبح مصدرا للخطر علينا . كنت القي عليه اسئلة مثل :

١ — هل انه متصل حاليا بأي فرد او بعدد من الافراد ؟
٢ — هل سبق له وان شارك في التظاهرات الطلابية ؟
٣ — هل ان الشرطة تملك نوعا من الحساسية تجاهه ؟
٤ — هل سبق له وان قام بأعمال اثارت سوء ظن من حوله به ؟
٥ — هل ان الذين يختلط بهم هم من العناصر التي لا يشك بنزاهتها ؟

وفي الواقع ، فاني لم اكن اعرف شيئا عن ماضيه ، لاني ادركت واقعه فيما بعد واصطدمت بزيف ادعاءاته بهذا الخصوص الامر الذي اثبت عكس الصورة التي كنت قد كونتها له في ذهني (ومصدر الخطا هنا هو عدم معرفتي اياه بشكل كاف) ، وادى تصوري الخاطيء بانه « مرتبط بي حاليا ولا يملك مصدرا للاتصال غيري انا ، وليس مرتبطا باية من الاوساط السياسية الاخرى سواء في الجامعة او في خارجها » ، اضافة الى اسباب اخرى غير تلك التي ذكرتها ، ادى كل ذلك الى ان اضرب معه مواعيد طويلة الامد ...

والآن ، لنرجع قليلا الى الوراء لنقف على جوانب اكثر وضوحا من

---

(٢) كان رحيم كيازر مشتبها به لدى العدو واتخذت السلطة بعض التدابير للقبض عليه ، لكن مناف فلكي الذي كان يعلم بهذه العلاقة ، كان يضرب مع رحيم مواعيد طويلة الامد ، وادى هذا الخطأ الى وقوعه بالذات في قبضة العدو .

هذا الارتباط : بعد ظهر احد ايام شهر خرواو (مايو) كنا انا والرفيق خسرو جالسين سوية في البيت ، طلب مني كتاب « والفولاذ سقيناه » ، وكنت قد اعرت زيدا هذا الكتاب لمطالعته ، وكان خسرو قد طلب مني الكتاب قبل ذلك عدة مرات ، وكنت قد اجبته بأن الكتاب لم يعد بحوزتي وانه سبق لي ان اعدته اليه . طبعا لم اتعمد الكذب مع خسرو بأي حال من الاحوال فلقد كنت قد نسيت باني كنت قد اعرت زيدا هذا الكتاب ، وكنت اتصور في قرارة نفسي بان خسرو قد استرجع كتابه وانه ربما نسي ذلك، لكن اصرار خسرو بهذا الصدد جعلني افكر بجدية في امر الكتاب وبدات الشكوك تساورني فيما كنت قد ذهبت اليه الى ان تذكرت بان الكتاب في حوزة زيد، ويظهر ان الرفيق خسرو لم يستطع ابعاد الشك عن ذهنه حول هذا الاهتداء المفاجيء الى مصير الكتاب ، ولذلك اهتدى الى استنتاج منطقي بان اصراري على استرداده للكتاب يرجع الى كسبي لصديق جديد دون الرجوع اليه والى رايه والى المنظمة ، وحيث ان المسالة الاساسية هي التصرف الفردي الذي قمت به والذي كان يجب حله وتوضيحه ، لذا لم نتطرق الى مسالة : اكنت قد نسيت حقا اعارة الكتاب ام كنت انوي امرار الوقت فحسب ؟

ولنعد الى قصة ارتباطي بزيد : ــ

الفصل صيف ، ولقد تجاوزت لقاءاتنا عدة جلسات كنا خلالها نتجاذب اطراف الحديث متناولين مسائل جديدة وجديدة في كل مرة ، وتواعدنا على ان يكون لقاؤنا القادم عشية أحد اواخر ايام شهرتير (يونيو) في شارع شهباز، والتقينا في الزمان والمكان المعينين ، وكنا قبل ذلك قد تباحثنا في موضوع سفر زيد الى شهد واستعداده لارجاء السفر اذا كان ذلك ضروريا ، وبين لي بأن القرار النهائي هو لي ، اما حجته للسفر فكان التداوي في مستشفى سبق له ان عولج فيه وترك فيه رقوق الاشعة التي صورت له وكذلك اضبارته اضافة الى وجوب زيارة اقاربه واصدقائه بالرغم من قلة اهمية المبرر الاخير !! وبين لي ، بأنه على رغم ذلك ، يترك امر القرار لي ايذهب ام لا ؟!! قلت له : ــ

ــ . . . نعم ، ليس هناك ما يحول دون سفرك الى مشهد حاليا ، والموضوع الاهم الذي اؤكد عليه هو ضمان المطالعة ، حسنا سيجري تأمين ذلك ايضا وساضع في متناول يديك بعضا من المواد وعند ذلك يتوقف الامر عليك وحدك ، وسيكون في وسعك الاستفادة من وقتك هناك في مطالعة « تاريخ الحكم الدستوري » وغيره من الكتب التأريخية !! نعم كنت انا الذي يتخذ القرار بشان سفره ، ولقد ارسلته فعلا الى مشهد ليعتقل هنا

(كما يقول المثل) ، ويبيض وجهنا !! لا ليوم او يومين ، او لاسبوع او اسبوعين ، بل لشهر كامل ونصفه من الزمان .

حقا لقد ارتكبت خطأ كبيرا ، عند سماحي له بالسفر الى مشهد . كان مصيري مرتبطا بالمجموعة ، ومن هنا كان من شانه ان ياخذ مسارا معينا ، وكانت الامكانات الموضوعة تحت تصرفي قد ضمنت من قبل المجموعة وكان من شان الرجوع الى المجموعة ان يؤثر تاثيرا كبيرا في التقدم الخلاق لنشاطاتنا واعمالنا ، لكنني اقر بأنني لم افكر بهذا الامر الجوهري قط ، وهكذا فاني لم اكن قد توصلت الى اجراء المقارنة المنطقية من عدة جوانب لكل مسالة ، وكنت احسب المكاسب الضئيلة ذات الجوانب الظاهرية ، اعمالا لا تقدر بثمن مكتفيا باحراز واحدة منها فقط ! على اي حال ، افترقنا بعد ان قررنا بالشكل المبين آنفا وتوجه كل منا الى جهة . ثم طرحت هذا الموضوع ، مع الرفيق خسرو بصفته موضوعا يحتل اهمية نسبية ويستحق المناقشة والتحليل ، ولقد تلقيت انتقادا لاذعا ، من الرفيق خسرو لكون ارتباطي بزيد خطأ كبيرا وغير صائب مطلقا ، ولقد تحدث الرفيق خسرو طويلا عن غياب اي ضمان يسند هذه العلاقة بزيد يستطيع المرء من خلاله التثبت من سلامة زيد في مشهد وعدم وقوعه في قبضة العدو ، « وما هي الضمانات التي تعطيه القدرة على المقاومة وتمنعه من الاعتراف عليك وعلى ما يخفيه حولك ، في حالة ما اذا اعتقل وتعرض للتعذيب بهذه المدة الطويلة » ، وكنت في الواقع عاجزا تمام العجز عن ادراك هذه المخاطر وكثير غيرها من الحقائق التي صورها لي الرفيق خسرو ... وكان موعد اللقاء الذي اتفقنا عليه مع زيد قبل سفره يقترب ، وطرحت موضوع هذا اللقاء مرة ثانية مع الرفيق خسرو فارتأى عدم حضوري في المكان المحدد وعند حلول الموعد المضروب ، وصور لي احتمال انكشافه للشرطة واعتقاله ، وكان يؤكد لي بقوة بان ذهابي الى لقياه في الموعد المضروب يعني اعتقالي لا محالة ، وبالرغم من كل تاكيداته واصراره فاني ذهبت الى المكان المحدد وفي الموعد المعين ، لسببين اقنعت نفسي بهما عند اقدامي على الذهاب : ـ

اولهما : الصورة الذهنية التي كنت قد كونتها لنفسي عن زيد والشرطة .

ثانيهما : عدم الفهم والاستيعاب الكاملين لتوصيات الرفيق خسرو بصفته حلقة وصلي ومسؤوليَ الذي يملك تجارب اغزر مني وقابليات اكبر .

تقابلنا مع الرفيق خسرو في صباح يوم ١٠ شهريور ١٣٥٠ (يوليو)

وضربنا موعدا للقاء ثانية في الساعة الثامنة من اليوم الذي كنت ساتقابل في الساعة الحادية عشرة منه مع زيد عند عودته ، وفي حالة عدم الحضور في تلك الساعة ففي الساعة التاسعة ليلا . . . وفي الساعة العاشرة امتطيت دراجتي الهوائية التي كانت معي وتوجهت ، وانا في ملابس العمل وقيافة غير مرتبة تتناسب مع عملي كعامل ، نحو المكان الموعود فوصلته قبل الموعد . هذا المكان ، من حيث موقعه ، مناسب جدا للقاءات ذلك لانه يلتقي فيه عدد كبير من الازقة والدروب المتشعبة ، وهذا يعطي امكانية الدخول الى المكان والخروج منه لعدة مرات وفي كل مرة من فرع دون غيره ، وبالتالي الافلات من الخطر بسهولة عند الشعور باقترابه ، ولكي اتحقق من كون كل شيء عاديا وعلى ما يرام ، فاني اسندت دراجتي الى احدى الاشجار بعد ان ذرعت المكان جيئة وذهابا لعدة مرات وتفحصت كل الدروب بدقة واشتريت من بقال عجوز قطعة بسكويت من قيمة اا (٢) ريال ، وتظاهرت بالانشغال في تناوله ، وفي هذا الاثناء جلب نظري وقوف سيارة بيكاب بيضاء في الجانب الايسر من احد الازقة المفضية الى المكان ، وخرج منها رجل طويل القامة تغطي وجهه اثار كثيفة للجدري منبسط الاذن ، وتفحص داخل الزقاق مليا ، لكن وضعي وطريقة وقوفي كان عاديا وغير مسترع للنظر بحيث لم يجلب نظره ابدا ، ثم شعرت بتحركات غير اعتيادية ومثيرة للشبهة اشخاص ايقنت انهم ليسوا سوى رجال الامن الذين لم يطفئوا محركات سياراتهم وهم يدققون النظر في كل قادم ومغادر . راودني شعور بالحذر والتهيب وانا على موعد مشكوك مع شخص ما ، فارتعش قلبي وغالبني الشك لكن مغادرة المامورين للمحل بسرعة ، انقذ الموقف وبدد الشكوك التي ساورتني وشعرت بالاطمئنان .

ركبت دراجتي وشرعت اتجول في المنطقة من دون تفكير فيما جرى ، وكان قد مضى بعض الوقت على موعدنا ، لكنني تريثت قليلا في المنطقة بامل الا يطول تاخر زيد وان القاه . ثم اخذت الشكوك تساورني شيئا فشيئا ، مرة اخرى ، حول سبب عدم مجيء زيد ، وحول ما قد حدث له بشكل عام ، وحاولت ان اربط بين ذلك وقضايا مماثلة ، وتوصلت بعدئذ الى نوع من القناعة بأن زيدا ربما لم يعد بعد من السفر أو انه قد وصل لتوه ولم يستطع اللحاق في الموعد ، وهكذا ابعدت عن حسابي بكل سذاجة وغباء كل احتمال عن القاء القبض عليه واقنعت نفسي بانه لم يحدث له ما يبعث علي القلق ! وقد يكون هناك سبب آخر لعدم حضوره في الموعد المقرر ، وعلى اي حال ، فان الموقف سينجلي عندما القاه ! وكنت قد قررت في نفسي

ان انتقده بشدة ان لم يستطع من تقديم أدلة مقنعة ! وهكذا فاني بقيت انتظر الى ان تحين ساعة اللقاء الثاني .

في الساعة الثامنة ذهبت للقاء الرفيق خسرو ، غير اني لم اجده وساورني لذلك قلق شديد ذكرني بعدم مجيء زيد فضاعف ارباكي وتشويش ذهني . على اي حال ، توجهت كسير الفؤاد مضطربا نحو موقع الموعد الثاني مع زيد وهو امام احدى دور السينما كنت احس في قرارة نفسي باضطراب شديد داهمتني الشكوك والهواجس وتحول كل ما حولي الى افواه تناديني : ان احترس ، لكنها لم تجد مني آذانا صاغية ولم تحملني على تفحص المكان بشكل جيد والتأكد من عدم وجود ما يبعث على الخطر ثم الاقدام على الاتصال في حين كان بامكاني الوقوف بجانب عربة احد باعة الباقلاء وتناول الباقلاء عنده على مهل والتركيز على مراقبة ما يجري حولي بسهولة ، ومع ذلك فان هذا المكان ايضا يختلف عن المكان السابق الذي تواعدنا مع زيد للقاء فيه بما يلي :

– ليس موقعا مناسبا لمثل هذه اللقاءات ابدا بخلاف المكان السابق بل يتميز عنه بعيوب كثيرة اهمها :

١ – ليست هناك مفرات مناسبة للتخلص من الخطر بسرعة .

٢ – انه محل تتجمع فيه عادة ، العناصر المشاكسة والفتيان الجانحون الذين يتجمعون عادة امام دور السينما ويحتمل تعاونهم مع الشرطة عند الفرار .

٣ – ان المحل بالذات كثير الازدحام ، مما يسهل على المأمورين الاختفاء الكامل بين صفوف الجمهور والتصرف بشكل لا يبعث على الشك (طبعا ، هذه الميزة ، كانت في صالحي ايضا) .

هذا اضافة الى ان الملتقى المحدد كان مكانا واحدا فقط ولم تحدد بدائل له الامر الذي قلل من امكان مراقبة المنطقة من قبلنا (٣) .

---

(٣) من مميزات تحديد بدائل لزمان ومكان اللقاءات (المواعيد المتغيرة) : في حالة اعتقال احد الرفاق وكشف الموعد للعدو ، يمكن تشخيص ما يلي من خلال مراقبة المكان وتحليل الوضع بمختلف الطرق المبتكرة ذاتيا .

١ – معرفة تعرض الشخص المعتقل للضرب ام لا .
– من مشيه (ايعرج ام لا ؟) .
– من مظهره غير الاعتيادي (اصفرار الوجه ، آثار الكلمات على الوجه ، عدم انتظام الهندام ومظاهر اللامبالاة) .

٢ – معرفة ما اذا كان الشخص جريحا ام لا (اذ في هذه الحالة ، يجلبه الساواكيون بواسطة نقل الى المكان الموعود) .

٣ – يمكن ادراك اوجه الشك في الوضع بمراقبة المارة والسيارات ... هذا اضافة الى انه يصعب على العدو كثيرا محاصرة الموعد المتغير (ذي البدائل) نظرا لكبر المساحة المكانية التي يشغلها عادة ...

وصلت المكان الموعود في الساعة الثامنة والدقيقة الخامسة والاربعين ، وجلست على احدى المساطب الخارجية لمقهى يقع هناك ، الحيرة لما تزل مستبدة بي حول عدم حضور الرفيق خسرو في الموعد المقرر اذ كنت احس بارتباط عاطفي عميق بهذا الانسان ، ورنت في سمعي الكلمات التي بادلناها والتي اصر فيها على عدم ذهابي الى الملتقى المتفق عليه مع زيد وساورتني فكرة اوحت لي باني ساعتقل هذا اليوم فخفق قلبي ، وكنت اخفي في جيبي مدية من ذوات النابض ، قوية النابض بحيث يصعب فتحها بسرعة . فتحت المدية لنصفها ووضعتها في جيب قميصي لتكون سهلة المنال عند الحاجة ووضعت سيكارة كنت قد وضعت فيها بعض المواد السامة ، بشكل عمودي في جيبي بحيث تكون هي الاخرى سهلة المنال عند الحاجة ، ولقد تسبب القلق الذي لم يبرحني بعد حول خسرو ومجريات ذلك اليوم ، الى ان انسى ساعة الموعد الى ان مضى عليها حوالي ٧ — ٨ دقائق . عندها نهضت ودفعت ثمن الشاي وتوجهت نحو الملتقى . لمحته من بعيد ، طبق القرار ومن دون اي اختلاف !! واقفا امام السينما ، وانتابني فرح شديد بدد كل القلق الذي لم يبرحني بعد حول خسرو ومجريات ذلك اليوم ، الى ان نصرا كبيرا . . . وفكرت في اني سافاجيء الرفيق خسرو في اول لقاء معه بما جرى وبان قلقه حول الموضوع لم يكن مشروعا مطلقا . . . وسارت لثوان في مخيلتي وامام عيني عدة مشاهد اخرى . . . بعدها لم اعد افكر في غير الوصول بسرعة الى زيد ومصافحته ، اقتربت منه ووقفت امامه وعلى بعد قدمين منه ، وانا ماسك باحدى يدي بمقود الدراجة وبالاخرى سرجها، حدقت في عينيه ، لم ينتبه ! صفرت له ، فنظر الي وتظاهر بانه لم يرني وانه غير منتبه الي ! فتصورت بانه لم يعرفني اذ لم يسبق له ان رآني بهذه القيافة (شعر كث وغير ممشط ، ذقن غير حليقة ، تغطي راسي قبعة ، قميصي وسروالي معفران بالزيت والتراب ، ممتطيا دراجة) ، ورفعت قبعتي وابتسمت له وبمجرد رفعي للقبعة وابتسامي هجم علي ، على حين غرة ، أفراد السافاك وهم يطلقون الصرخات كالوحوش : « ايه يا ابن العاهرة . . . انه هيروئيني . . . اخ العاهرة . . . هيروئيني . .) وافواههم تطلق اقذع السباب والشتائم — كل ذلك ليظهروني للمارة وجمهرة الناس الذين تجمعوا ، بانني من مهربي الهيروئين ! — وامسكني اثنان منهم من يدي ، غير ان وجود الدراجة بيني وبينهم حال دون احكام السيطرة علي ، فاطلقت احدى يدي ودفعت الثاني بقوة وركلته على ساقه ، ووقع ثالث على الارض لاندفاعي بقوة بينهم ، فمددت يدي الى جيبي واخرجت مديتي،

لكنها خانتني وابت ان تنفتح ... فصرخ احدهم ، مطلقا ما شاء لـه من السباب : « دعوه ، دعوه ابن الماهرة هذا » وضربني على وجهي بلكمة قوية جدا اندفع الدم على اثرها بفزارة من فمي وانفي واصبت بذهول شديد ، لم ارجع الى رشدي الى ان رايت نفسي امام باب السيارة التي فتحها لي احدهم فانتهزت الفرصة وقذفت بالمدية تحت وسادة (كشن) السيارة ، وكان سوار ساعتي اليدوية قد انقطع خلال الحادث ، وتمزق جيب قميصي، ولم يبق من محتوياته شيء .

قيدوا يدي من الامام والقوا بي في داخل سيارتهم الفورد ، جلس اثنان منهم بجانبي ، كل في طرف ، وتحركت السيارة تتقدمها سيارة اخرى من نوع (آربا) وتعقبها ثلاث سيارات اخرى وكان الذعر الشديد باديا على وجوههم (ان واحدا منا يكفي لمقابلة خمسة وعشرين منهم ! انهم يخشوننا كما تخشى الكلاب) . نهض حارساي فجاة وطفقا يصفعانني على وجهي باللكمات وعلى راسي ، وشرعا يصرخان من دون سبب يذكر : (اعتقلنا نصيرا ... اعتقلنا نصيرا) ، كان مزجهم شديدا . شديدا جدا ، لقد اعتقلوا نصيرا حيا ، من هذا يظهر لنا بان اقل ما نحصل عليه من القبض علينا امواتا، هو ان افراح العدو تتحول الى يأس قاتل ورعب شديد !

كان انفي لا يزال ينزف دما ، وكنت احاول ان اوصل يدي الى خلفي لعلني اعثر على مديتي ، وظهر ان احدهـم كـان يراقب حركاتي بدقة ، فصرخ : ــ راقبوه بعناية ، فتشوه جيدا .

وتحول جذلهم قبل دقائق الى رعب واضطراب شديدين ، فلقـد تذكروا تجربتهم المرة مع احمد زاده (٤) على ما يظهر ، واصفرت وجوههم خوفا ، فهرع الثلاثة الذين كانوا يحرسونني الى تفتيشي بدقة وعصبية ، وتنفسوا الصعداء عندما لم يعثروا على شيء ، وفكوا يدي من القيد واعادوا قيدهما من الخلف ، وكان هذا في صالحي ذلك لانه منحني امكان التفتيش عن المدية بسهولة اكبر ، لكن المدية ، لسوء الحظ ، كانت قد سقطت تحت الوسادة (الكشن) عند تحرك السيارة ولم تصلها يدي . فلقد كنت انوي احداث جرح في جسمي على الاقل . بعد ذلك استغرقت في تفكير عميق ومرت امامي دقائق الحادث بسرعة ، وضحكت في نفسي من فرط السخرية

---

(٤) بعد اعتقال مجيد احمد زاده ، جر ، وهو جريح ومقيد اليدين صمام الرمانـة (قنبلة يدوية) التي كان يحملها ولم يهتد اليها الساواكيون عند اعتقاله ، وفجرها فـي داخل السيارة التي كانت تقله الى مستشفى الشرطة فقتل احد الساواكيين والشخص الذي اعترف عليه .

وقلت لنفسي : « طوبى لهذه الحكومة وللديمقراطية الشاهنشاهية !! لبلاد الورود والبلابل !! واختطاف الناس في وضح النهار !! » . في هذه اللحظة شعرت بأن جميع عضلاتي قد انكمشت واعترتني حالة تأهب عظمى ، وخاطبت نفسي متهكما :

– اليوم يتميز خائن الشعب عن ابنه البار ، وتتميز الافعال عن الاقوال ، فاياك ان تحول النسوج غزولا ! »

التفت الي احدهم ، وهو شاب ، وقال : حسنا . . . ، فلم ادعه يكمل كلامه وقلت محتجا : –

لماذا انا معتقل وباية تهمة ؟، ما شاني بالهروئين والى من بعت الهروئين ؟ لماذا كل هذا ؟ انا واثق من ان هناك نوعا من سوء الفهم ، فلربما شبهتموني بشخص آخر » . فجرني احدهما من شعري وقال :–

– سيتضح كل شيء في الطابق العلوي ، فلا تكن في عجلة من امرك !

وسألني شخص آخر منهم عن اسمي ، فاعطيته اسما مستعارا اذ كنت احمل هوية مزيفة بهذا الاسم ، وبدا لي ان لا بد من السكوت حاليا والاستعداد للاسئلة التي ستطرح علي عند التحقيق والاستجواب ، وتهيئة اجوبة منطقية ومقنعة ، لكنهم كانوا اكثر ذكاء من ان يمنحوني فرصة مثل هذا التفكير ، لذا لم يسمحوا لي بالتركيز مطلقا وانهالت علي اسئلتهم المتتالية . . . كنت اجيب عليها بلا مبالاة ، وكانت جميع اجوبتي مكررة وغير منطقية وكانها تصدر من شخص ساذج بليد ، فمثلا اعطيتهم خلال الطريق الى سجن « اوين » من ٧ – ٨ اسماء لاشخاص مزعومين وكنا نقترب رويدا رويدا من المكان الذي سيجري فيه امتحان الشهامة والصدق الثوري والمقاومة والرجولة .

كان الجلادون على اتصال دائم باللاسلكي مع جهة مجهولة ويرددون عبارات مثل :

« هلو . . . هلو . . . القاعدة . . . الخبر الجديد ، لقد وفقنا . . . . . انتهى ، هلو . . . المقر ، انتظروا . . . وصلنا – انتهى هلو . . . هلو . . . بلغوا . . . ان يتهيا . . انتهى . . . نعم وسمع . . . كلا لا شيء عن الفرار . . . بلغوا الدكتور ان يصرف النظر عن الذهاب . . . لنا قادم جديد . . . » وغير ذلك . طبعا كان القصد من وراء هذا التمثيل هو ادخال الرعب الى قلبي وتصوير عظمة وقدرة منظمتهم الخارقة . . لكنني احتفظت بهدوئي وبرودة اعصابي ، ولم اكشف لهم عن اي دليل للتوتر ، وانصرفت الى التفكير بالرغم من وابل الاسئلة التي

امطروها علي ، هنا ، اری من الضروري ان اتطرق بشيء نحو الاسباب التي ساهمت في وقوعي في قبضة العدو : ـ

ان العاطفية ، صفة من شأنها ، في بعض الظروف كالتي نواجهها نحن ، طرح المناضل الثوري خارج ساحة الكفاح بسرعة ذلك لانه لا شأن للنصير بالعواطف والاحاسيس الرقيقة سواء عند تصديه للمسائل الكفاحية اليومية او عند وقوعه اسيرا في يد العدو . ان الطريق الذي اخترناه نحن طريق طويل جدا ، صعب وعر ومليء بالاشواك والعقبات والعثرات ، ومن اولى مستلزمات وضع الخطى على هذا الطريق التخلص من بعض الاحاسيس وقساوة القلب مع العدو . فازاء عدو ملطخ اليدين حتى المرفقين بالدماء ، متربص بنا والسيف في يده ينزله على رقابنا متى ما سهل له ، لا بد من قلب قاس كالفولاذ ، لا كقلب المسيح الذي يخفق في قلب تترى يطير النوم من عينيه وتعاف نفسه الطعام لمرای الدم يجري من طير مذبوح ، اننا يجب ان نسحق الروح العاطفية الحساسة من دون تردد ، فلقد كان احد اسباب عدم الاعتناء وقلة الحذر اللذين بدرا مني في موضوع الموعد مع زيد يعود الى بعض الملابسات والمسائل التي تزامنت مع اللقاء نفسه واخرى سبقته ، كالقلق الناشيء عن عدم حضور الرفيق خسرو في الموعد المقرر ، عدم وصول زيد في الموعد الاول ، الانزعاجات التي تتغلب فيها العاطفة على العقل ولا بد من ان اقر هنا باني بدلا من اجراء التحليل الدقيق للقضية ومراعاة الجوانب الامنية ، اسرفت في اللامبالاة واستسلمت للعاطفة بدلا عن العقل .

كان من الضروري ان اتلقى عدم مجيء زيد في الوقت المقرر بمثابة انذار يدعو الى شحذ اليقظة والحذر ، ثم الانطلاق نحو المكان المقرر مع رعاية كاملة ودقيقة للنواحي الامنية ، بدلا من ان يستبد بي القلق والاضطراب بشكل يتغلبان على نواحي التفكير وقابلية التركيز ... كان بامكاني طرد الوساوس من فكري ومجابهة الاحداث مجابهة منطقية ونشطة، دون الشعور بالاسى والحزن والمرارة لا لشيء لان خسرو لم يات وان زيدا لم يحضر في الوقت المناسب ، وهكذا فلقد كلفتني العاطفة ورقة القلب والاحساس كثيرا كما ترون !!

ما هي المسائل الاخرى التي تسببت في اعتقالي : ـ

وهناك مسائل اخرى ، بجانب ما ذكرت اعلاه ، اوقعتني اسيرا في قبضة العدو منها :

١ ـ عدم تدقيق النظر في مظهر زيد (فلقد كان قد ضعف اكثر من ذي قبل ، عابسا مقطب الجبين قلقا ، منتصبا بشحوب كتمثال ، كل شيء فيه يقول بانه قد تعرض فعلا الى التعذيب) .

٢ ـ عدم الانتباه الى الافراد المشكوكين وعموم الموجودين في المحل .

٣ ـ التوجه مباشرة الى زيد ، بالرغم من انه تظاهر بعدم مشاهدته اياي .

٤ ـ الافتقار الى وسائل الدفاع عن النفس ، فلقد كان مقدار كبير من المادة السامة قد تلف نتيجة تهشم العبوة الحاوية والموجودة داخل السيجارة وتهشم السيجارة نفسها ، مما ادى الى عدم امكان الاستفادة منها ، عند اللجوء الى الانتحار متى ما طلب الموقف ذلك .

وثمة سبب آخر ، الا وهو تعطب ضامن المدية ، وبالتالي عدم الاستفادة منها ... هذا اضافة الى سبب رئيسي وحاسم الى حد كبير الا وهو عدم حملي للسلاح الناري لاستعماله عند الحاجة ... فلو كنت احمل سلاحا ناريا ، لكان بامكاني الوقوف بوجه العدو ، لا الوقوع في قبضته بسهولة ، وكان بامكاني الفرار تحت وابل الرصاص ، وحتى فيما اذا كان ذلك غير ممكن ، فلقد كان بوسعي الاشتباك معهم وقتل البعض منهم والاثبات للناس الذين يشاهدون بأم اعينهم الصراع الدموي الذي يخوضه واحد من الثوار مع رهط من افراد العدو ، بأن هذا العدو قابل لتلقي الضربات القاتلة ايضا !

ان لحظة واحدة من التغافل وفقدان اليقظة في المجابهة مع عدو يمتلك جميع الامكانات المادية ويتمتع بفيض من التجارب والخبرة في الاعمال المضادة للثورة ، في ظرف يسيطر عليه جو من الارهاب البوليسي الخانق ، تعني الوقوع معصوب العينين مقيد اليدين في فخاخ العدو وتسديد الضربة القاتلة الى الحركة من قبله ، وهذا سلوك لا يمكن التغاضي عنه ابدا ، ان اليقظة سلاح بتار ومحبط للمخاطر المتربصة بنا من قبل العدو على الدوام .

ان على النصير ان يكون عميق التفكير ، حاد اليقظة دائما ، يحسب الحساب الدقيق لكل عمل قبل الاقدام عليه ، فمثلا عندما ينوي الذهاب الى لقاء معين ، يجب ان يفكر قبل كل شيء هل انه واثق من عدم وجود العدو خلفه او في محل اللقاء ؟ من هو الشخص الذي سيتصل به ؟ هل هذا الموعد هو الاول ام الثاني ؟هل هناك في الوضع ما يثير الشك ؟ هل يعرف مكان اللقاء بالضبط ؟ هل مظهره وهندامه يلائمان المكان الذي يقف فيه ؟

هل يحمل موادا سامة في جيبه ؟ هل سلاحه صالح وسهل للاستعمال ؟ ما هي البدائل لكل عمل ؟ ما هي المواضيع التي سيتناولانها بالبحث والمناقشة، واخيرا ، الم ينس شيئا ؟ ان مراعاة هذه المسائل تؤدي الى ان ننفذ مهامنا بكفاءة عالية ومن دون ابقاء اي شيء مبهما ... ان الضربات الموجهة الينا لحد الآن والناتجة عن اهمال مبدأ (اليقظة الدائمة) ... توجب ضرورة مراعاة هذه المسائل .

يصف اكبر مؤيد ، احد انصار منظمة « فدائي الشعب » كيفية وقوعه في قبضة العدو على الشكل التالي :

كان مقررا ان اقابل احد مؤيدي المنظمة ، المدعو جعفر نجفي ، كنت قد ارسلته الى تبريز بمهمة استطلاعية وعاد بعد ٥ ـ ٦ ايام من مغادرته الى هناك ، ولست ادري لماذا مشيت معظم الطريق الى المكان المتفق عليه مطرق الراس ، فلم يحدث لي ان مشيت هكذا ابدا ، وكانت هذه المرة الاولى التي ارتكب فيها مثل هذا الخطأ ، ولم اشعر بنفسي الا وانا محاط بثلة من افراد العدو فالقو القبض علي فورا . لقد كنت املك سيارة كان بامكاني الوصول بها ، كالعادة ، الى المكان المذكور ، لكنني كنت شارد الذهن تماما ولم اكن احمل ولو مسمارا واحدا ادافع به عن نفسي عند اللزوم ، ولما صحوت كانت كل الجهات محتلة ، وهكذا استغفلت ، ووقعت في قبضتهم بكل سهولة .

ويقول فريبرز سنجري ، احد اعضاء نفس المنظمة حول كيفية اعتقاله :

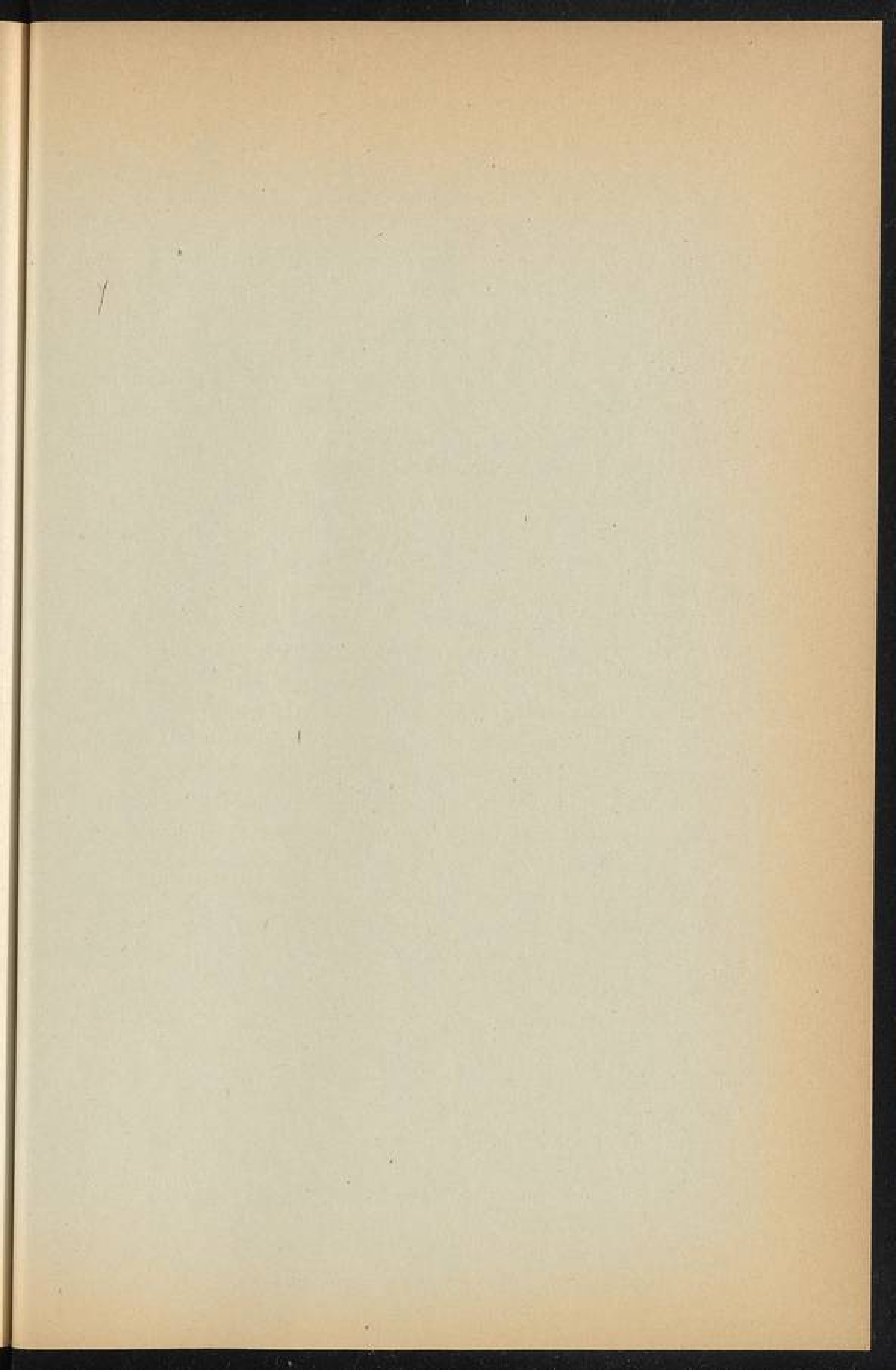
كان بيتنا يقع في الطابق الثاني من احدى العمارات ، وكانت شقتنا في العمارة تقع في مكان لا يسمح بالمراقبة من الخارج ، وفي حالة الانكشاف لدى الشرطة ، لم يكن بالامكان وضع اية علامة تنبه من يشاركني في الشقة ويرتبط معي بعلاقة تنظيمية الى الخطر حتى يتجنبه ، وكنت انا ، والحق يقال ، قليل التجربة في قضايا النضال قليل اليقظة ، وكنت قد اقتربت لتوي من مشارف البيت ، فلاح لي صاحب الشقة واقفا بجانب الباب وهو ينظر الى الشارع ، وبمجرد ان لمحني ، اختفى . وبعد لحظات وصلت انا الى البيت ، ونظر هو الي نظرة ذات معنى وصعد السلم ركضا ، وحتى تصرفه غير العادي هذا لم يثر انتباهي بل ولم يثر في اية شكوك ! وصعدت السلالم مرتاح البال آمن الخاطر ، وكان ليس هناك ما يعكر صفو المزاج مطلقا ! ، اجتزت الممر وفتحت باب غرفتي ، فدوى في اذني على حين غرة صرخة مرعبة اطلقها ساواكي مسلح برشاش : قف والا قطعتك اربا اربا ،

وهجم علي رجال الامن من كل جانب ، وهنا فقط تذكرت ضرورة اليقظة والامعان الدقيق لكل الاطراف ، لكن بعد ماذا ؟

ان ضعف اليقظة وعدم الانتباه يقف ايضا وراء اعتقال اكبر ايزدنباه احد الكوادر المتقدمة لمنظمة « تحرير شعوب ايران » واحد المشتركين في مصادرة بنك (ايران ـ بريطانيا) وخطف السفير الامريكي ، والذي سبق ان اعتقل مرة اخرى سنة ٩٤٨ (١٩٦٩ م) ثم اغفل ماموري الامن وتمكن من الفرار ، فهو يشرح كيفية وقوعه في قبضة العدو على الوجه التالي :

« كنت قد رجعت لتوي من المعمل ، وقبل ان اخلع الملابس التي كنت البسها ، اتصلت تلفونيا بـ (سيمين نهاوندي) . لم يكن صوته اعتياديا بل كان مشوبا بنوع من التهدج وكان حديثه مثيرا للشك وينم عن شيء غير اعتيادي ، لكن هذا لم يثر من شكي ! لبست ملابس غير تلك التي كنت البسها وتوجهت نحو بيت نهاوندي (الذي كان يعد بيتا حزبيا ايضا في الظروف الاعتيادية) ، وقبل الوصول الى الدار توقفت في مطعم صغير فشاهدت هناك اثنين من افراد الشرطة يتجاذبان اطراف الحديث مع صاحب المطعم ، وسمعتهم يرددون عبارة « تفتيش الدار واعتقال من فيها »، لكنني مع كل ذلك لم انتبه الى المخاطر التي قد تنتظرني ولم اربط اصلا بين حديث الشرطيين مع صاحب المطعم وبين طريقة تكلم نهاوندي في التلفون . على اي حال ، غادرت المطعم بعد تناول الساندويج ووصلت باب الدار ، وكان الباب مفتوحا ، وشاهدت في الممر المؤدي الى الداخل ٣ ـ ٤ اشخاص غريبي المظهر ، واقفين وهم منهمكون في الكلام دون الانتباه الى وجودي ففكرت في نفسي ان هؤلاء ربما كانوا من اصدقاء سيروس ولم يدر بخلدي قط ان يكون هؤلاء من ماموري الامن ، ولم اعرف حقيقة الوضع الا بعد ان رايت جوان (جوان احد ماموري الامن ، وقد كان اكبر يعرفه سابقا) ، فمددت يدي الى السلاح وشهرته بوجههم لكن لم يكن قد بقي امامي اي مجال لاطلاق النار ، لان الرهط كانوا قد احاطوا بي من كل جانب وبشكل محكم جدا ، ووقعت في قبضتهم .

*



في المعتقل

كنا نقترب من « اوين » رويدا رويدا ، وبانتهاء شارع « بارك وي » دخلنا شارعا ترابيا يتجه نحو اليسار ، ثم وصلنا قرية بنيت بيوتها من الطين وتتخللها بعض الاشجار ... استطعت من اختلاس النظرات الى الخارج بمختلف الطرق ، فمثلا تارة كنت ارفع راسي ، واعتدل في الجلوس، ثم اوهمهم بانشغالي بعمل شيء الامر الذي كان يجبرهم على دفع ذقني نحو الاعلى والتفتيش بين اقدامي لمعرفة ما كنت منشغلا به ..!) ، وكنت طوال الطريق مشغول الباب بتجارب الرفاق المعتقلين الآخرين ، او معلوماتهم حول موقع السجن ، والمضايقات وتصرفات المأمورين ، وانواع التعذيب ، كل ذلك للتهيؤ لمجابهة الاحتمالات المتوقعة .

بعد مدة ، توقفت السيارة عند باب المعتقل ، وبعد ابراز رخصة الدخول ، دلفت داخلا الى الفناء الداخلي .

يعتبر هذا المعتقل ، لدى ماموري الامن ، قاعدة عمليات سرية لا يجوز ان يعلم احد بموقعها ونوع الاعمال الجارية فيها ، كما ويجب ان تبقى اخبارها بعيدة عن الناس قطعا !! يحرسه جنود ، يعتبر اكثرهم من ذوي السوابق المعروفين ويمتازون عن زملائهم الآخرين بالقوة البدنية والخبرة المسلكية ! ويجري تبديلهم شهريا على غرار ما يجري في سجن «قزل قلعة»، ويشار الى السجناء في المحاضرات اليومية التي يلقيها عليهم راس العرفاء المشرف عليهم او المشرف المعتمد من قبل مساواك او مدير السجن بالذات المدعو حسيني ، بانهم لصوص ، مجرمون ، منتهكون لحرمات المواطنين وكراماتهم ، خونة للوطن ، جواسيس ... ويحذرونهم ، بشدة وتحت

طائلة التهديد باقسى العقوبات ، من اجراء اي اتصال بالسجناء او التحدث معهم مهما كان نوع ذلك الحديث ... « ان وظيفة الجندي هي الحراسة فحسب » « التحدث ممنوع منعا باتا » « الجندي يجب ان يكون ابكم اصم مع السجين » (٥) ، وتشدد الحراسة الدقيقة على الباب الرئيسي ، واضافة الى عدد من الجنود يؤدون الحراسة خلف الباب مباشرة ، يختفي عدد آخر منهم داخل الابراج العالية المستحكمة وعلى الاشجار ولهؤلاء اطلاق النار عند بروز اقل بادرة مثيرة للشك .

وقفت السيارة ، وترجل المامورون وانزلت انا ايضا واوقفت امام السلالم المؤدية الى داخل بناية المعتقل وامرت بأن احني راسي ولا انظر سوى الى امام قدمي ... لكني مع ذلك ، تمكنت من ان اختلس النظرات الى كل ما حولي : ساحة كبيرة جدا تقع في الشرق منها البناية الرئيسية . وفي الجهة المقابلة لهذه البناية ، هناك عنابة صغيرة من اشجار الصفصاف الباكي تتوسط حديقة واسعة . اما المساحة الواقعة بين الحديقة والبناية فهي قطعة ارض مبسطة بالاسفلت تتخذ موقفا للسيارات وكان هناك بالفعل عدد من السيارات واقفة في القسم الايمن من الساحة . وفي داخل الحديقة، نصبت عدة خيام يسكنها معتقلون ضاقت بهم البناية الرئيسية ولم يعد لهم مكان ياوون اليه بالنظر لكثرة عدد السجناء فنصبت لهم هذه الخيام ، ويقوم بحراسة كل خيمة جندي واحد .

تنفيذا لامر احد المرتزقة جيء بسترة والقي بها على راسي ، اقتادني احدهم ، وصعدنا السلالم واجتزنا القسم الاول من الممر ، ثم اوقفت في جهة اليسار عند الحائط الغربي فرفع احدهم السترة عن راسي واخذ يحدق في وجهي ، بينما كنت انا غارقا في التفكير عن الطريقة التي استطيع بها اخفاء اسمي الحقيقي عنهم فصممت على الاصرار على نفس الاسم المستعار المبين على الهوية المزيفة التي احملها ، فقطع سلسلة افكاري صراخ مفاجيء اطلقه احدهم قائلا :

... حسنا ... حسنا ، يا فلان ... اذا اين كنت عند الظهر ؟

فارجعني هذا الى رشدي وادركت بان هذه الكلمات جزء من المعلومات المتوفرة لديهم عني ، ثم اطلق احد المرتزقة الذين شارك في اعتقالي يدي من

---

(٥) بالرغم من كل التهديدات والصاق التهم بالسجناء ، سرعان ما ينكشف للحراس ، حتى اكثرهم تاخرا من المنتمين الى العوائل الفلاحية الساكنة في اقصى البلاد ، بانه كل ما يذكر عن السجناء انما هو زيف باطل ، يؤيد ذلك لديهم نبل السجناء ، تصرفاتهم ، شهامتهم ومقاومتهم البطولية امام اقسى انواع التعذيب .

الاصفاد ودلف الى الغرفة المجاورة .

لم يكن الدم الذي نزف من انفي قد جف بعدما كان وجهي ملطخا بالدم تماما ، وتمزق قميصي وقسم من سروالي بحيث كانت اقسام من صدري ورجلي تبدو منها ،... ازداد عدد المرتزقة الذين تجمعوا حولي رويدا رويدا حتى طوقت من كل جانب وبدا لي انهم يشكلون هذه التظاهرة حولي وفق مخطط معد مسبقا ، اما انا فكنت قد عقدت يدي خلف ظهري واحرك اصابع قدمي ، رافع الراس ادقق في وجوههم الواحد بعد الآخر اذ كنت اشعر بالخجل من نفسي ان اقف مطرق الراس بين ايديهم . نظروا الي جميعا بدقة وكانهم كانوا يبغون حفظ ملامح وجهي عن ظهر قلب ! ثم حولوا النظر عني ، وشرعوا باطلاق السفاسف والترهات ، فقال احدهم : انه غلام طيب ، وتدل قيافته على انه لم يرتكب اية حماقة ، وقال آخر ساخرا : آه فديتك بنفسي ! من اوصلك الى هذا المصير ؟! وخاطبني آخر ، وهو يشمر كفة سرواله ، بصوت لطيف : الا ترى ماذا جلبت على نفسك ايها الابله ؟ وقال رابع : ... ماذا كنت تعمل هناك ؟ اكنت تصطاد النساء ام كان لك موعد مع خطيبتك ؟.. ايها الابليس !

تفرقوا من حولي واتجه كل منهم الى جهة ، وبقيت لبرهة من الزمن في صمت عجيب ، كالصمت الذي يسبق العاصفة ، وفجاة ظهر احدهم : بدين الجسم ، قبيح المنظر ، منتفخ الوجه بحيث يصعب على المرء رؤية عينيه ! يمشي وكانه ذيل شاة يتدلى يسارا ويمينا ، مجمل سلوكه وحركاته يثير الاشمئزاز والتقزز في النفس ، يحمل في يده اوراقا وقلما ، توجه نحوي بدون اية مقدمات كمن يتعامل مع شاة لا حول لها ولا قوة ، امرني قائلا : حسنا .. اذكر كل شيء ، اكتب كل ما يجول بخاطرك ، هيا ...

ـ لا شيء في خاطري لاقوله واكتبه ، قولوا لي لماذا اعتقلتموني ... تتهمونني بتعاطي بيع الهيروين ؟ اليس كذلك ؟

قاطعني ، وقد تجعد وجهه المكتنز لحما ، ثم صاح بصوت ينم عن غضب شديد :

ـ لاتجبرني على الالتجاء الى الخشونة ، قل كل شيء طوعا .

ومن دون ان ينتظر اي جواب ، وبغية مضاعفة تاثير كلامه في ووضعي في حالة ارتباك نفسي ، ترك المكان كمن تذكر شيئا ما فجاة ، ثم اقبل مرة اخرى بعد هنيهة مقطب الحاجبين عابس الوجه قلقا . اقترب مني وامسك بذقني ودفع براسي الى الخلف بقوة قائلا :

ـ لماذا لا تحرك ساكنا ؟ لماذا ؟ ها ؟ ، وتفوه ببعض السباب والعبارات البذيئة ثم رفع يده عني ، فقلت له :

ـ انا لا اعرف شيئا ، وانكم اعتقلتموني من دون سبب اعرفه . ولم تكن هذه العبارة الاخيرة قد خرجت من فمي بعد حتى انقض علي وجرني من شعري بشدة وسرعة نحو الاسفل بحيث تفجرت الدموع من عيني من فرط الالم ، قال وهو يطلق السباب : ـ

ـ يا ابن العاهرة ، هل تتصور اننا سحبنا اسمك بطريقة القرعة ؟.. اذا لم تستجب بسهولة وايجابية فساجعلك تتمنى الموت من شدة الضرب..

قال هذا وتركني كسلفه (عضدي) ، فمسحت الدموع التي اغرورقت بها عيناي نتيجة شد شعري بقوة . وفي هذه الاثناء قدم شخص آخر منهم، وتلا هذا علي (والحق يقال !) ، على العكس من سلفه ، نصائح ابوية ! : انظر الي ... ما اسمك الحقيقي ؟

ـ اسمي ...

ـ انظر ، يا حبيبي ... لا تدفع نفسك الى التهلكة ، هؤلاء يعلمون بكل شيء ، ولقد اعترف زميلك (....) بكل شيء . ارجو الا تتصور بانه ارتكب عملا يطعن مروءته ، او ارتكب خيانة ما .. فلقد عذب لاربعة ايام متوالية بلياليها ، ولم يقل شيئا ، (يا لسوء حظه ، لم يكن يدري بأن هذه المواعظ تزيد من معنوياتي ، فاذني مليئة بمثل هذه العبارات) ، لكنه وثق اخيرا ، شانه شان الآخرين ، ان لا فائدة ترجى من الاصرار على هذا الموقف ، ما الحكمة في ان يعرض نفسه الى كل هذا التعذيب ؟ لماذا يعذب جسده لحساب الآخرين ؟ ماذا سيجني من وراء ذلك ؟ الم يعترفوا عليه ، اذن فعلى من وعلام يعقد الامل !؟

واستمر على هذا المنوال الى ان افرغ ما في جعبته ، وختم حديثه قائلا :

ـ تعال انت ايضا وارحم بشبابك ، اعترف بكل شيء ... وانقذ نفسك .

ولم يكن هو قد غادر الغرفة بعدحتى دخل علي الشخص البدين الذي اشرت اليه آنفا ، فلم يدعني بذلك اشكره على نصائحه الابوية ! واقر بان شعورا ما قد اعتراني وهو يتحدث الي بهذا اللطف ! كدت اجيبه بعبارات تتفق في اللحن مع نصائحه ، ولما رجعت الى رشدي بصقت ارضا وضغطت باسناني على بعضها وبلغ سخطي على نفسي اوجه ، فخاطبت ذاتي متهكما :

ـ اين هو حسك الثوري الفياض وروحك التي تفيض اخلاصا للقضية

وثقة بانتصارها ؟ ماذا دهـاك ؟ هل خدعتك هذه العبارات الثعلبية ودموع التماسيح ؟ اين شعورك الثوري ، ان كل ما يعمله هؤلاء ، كل ما يقولون ، ليست سوى ادوار ، ليست سوى شراك ولعب خادعة مخجلة ، تنفـذ الواحدة بعد الاخرى وفق مخطط وتلقين اعد مسبقا وبكل دقة . والواقع، فان كل شيء كان مرسوما مسبقا ، حتى الادوار والمحاورات ، كـانت كلها محددة بكل دقة وبشكل مدروس ، والويل لذلك المناضل الذي يغفل، ولو للحظة واحدة ، عن المسؤولية الخطيرة التي في عنقه !

تقدم الشخص البدين نحوي ، وامسكني من يدي بيديه الفضتين اللتين كانتا على شبه كبير بأيادي نساء حريم ناصر الدين شاه ، وحملق فيهما بدقة عجيبة وكانه يريد ان يدرك من منظرهما فيما اذا كنت حقا اذهب الى مقر عملي ام كنت مكرسا لاعمال الحركة حصرا عندما وقعت في قبضتهم، اذ انهم يتصورون ان الثوار لا يقومون باعمال يدوية لذا فان ايديهم تظل ملساء من دون اية شقوق !. وفجاة سالني :

ـ حسنا . . ، لماذا لم تكن تذهب الى مقر عملك ؟

ـ وبدلا من ان ينتقل الى سؤال آخر ، سلك معي نهجا مغايرا تماما ، وشرع يهددني ويخوفني ويعاملني بخشونة .

كل ما استنتجته الى هنا ، من كرهم وفرهم وجميع تصرفاتهم ، هو انهم لا يملكون اية معلومات عني وعن نشاطاتي ، لذا فان الامر متوقف علي، وانا مختار ، ان ازودهم بالمعلومات او اطمئنهم باني ايضا ، على غرار ما هم عليه ، لا اعلم شيئا .

هنا ، اود ان اشير الى بعض النقاط التي ادت الـــى اثـارة بعض التساؤلات لدى ماموري السافاك وكذلك الى بعض الهفوات الناشئة عن عدم اعمال الدقة في مواضع كانت من شانها ان تصبح مثارا لتشديد الضغط علي بهدف كسب معلومات اكثر :

عندما كنت اذهب الى لقاء زيد كانت جيوبي تحوي اشياء تعتبر هي بالذات مستمسكات جرميه ضدي لو وقعت في يد العدو ، اي بعبارة اخرى، كان من شانها ان تثير الحجج لاعمال الضغط والتعذيب او ان تصبـح منفذا للوصول الى معلومات اضافية ، كانت هذه الاشياء عبارة عن دفتر مذكرات ، عدة بطاقات تعود للمحل الذي اعمل فيه ، اربعة مفاتيح ، عبوة تحتوي على بعض السموم ، وكنت قد نسيت من اثر الاهمال ان احمل معي فقط الاشياء الضرورية واجتنب حيازة الاشياء التي قد تثير لدى ماموري السافاك علامات الاستفهام ، اذ كان في استطاعتي ، مثلا ، ان اترك،

قبل الذهاب الى الملتقى ، البطاقات والمفاتيح في مكان ما ، كما ان حيازة دفاتر المذكرات (دفاتر الجيب) حتى وان لم تدون فيها اية عناوين ليس عملا صائبا قط ، ذلك لان ما يكتب فيها من عبارات واسماء او ارقام تلفونات قد تصبح سببا لدى الساواكيتي للالحاح في الاستجواب وانزال اقسى انواع العذاب بنا . وهنا يحضرني مثال ارى من الضروري ذكره : كان الساواكيون قد عثروا في جيب احدهم على دفتر مذكرات دونت في احدى صفحاتها عبارة « فلان خطأ » ، فجعلوا هذه العبارة قميص عثمان والحوا عليه بأنه منضم الى مجموعة تنظيمية وانه حتما اشترك في اجتماعات خاصة للبحث والانتقاد وان هذه العبارة تدل على مثل هذه الاجتماعات ، ولقد تسببت هذه العبارة في وضع حامل الدفتر تحت التعذيب الجسدي لمدة طويلة . ولنر الآن ماذا كانت حقيقة الموضوع :

في احدى الايام ، قال صاحب الدفتر لزميله : ارجو ان نترك المزاح اعتبارا من هذه الساعة ، وان ايا منا يخرج على هذا القرار ، يحسب مخطئا وينتقد ولا بد له من ايضاح السبب وتبرير موقفه ، ثم عمم صاحب الدفتر هذا القرار على جميع زملائه الآخرين وهكذا فانه اضطر الى تسجيل الاخطاء على زملائه على ورقة ما في الدفتر بعبارة (فلان ارتكب خطأ) حتى ينتقده ويحاسبه عندما تسنح الفرصة المناسبة ، لكن هذه الفرصة لم تسنح لسوء الحظ الى ان اعتقل وغدت العبارة مستمسكا عليه وسببا للالحاح في التحقيق معه وتعذيبه من قبل الشرطة .

كانت الساعة قد بلغت العاشرة ، ولم يكن قد بقي امامهم مجال كبير للالحاح في الاستجواب نظرا لتأخر الوقت ، وكانت سلسلة طويلة من الاستجواب المتنوع في الطريقة والنوعية قد ذهبت سدى ، اما انا فكنت أعلم علم اليقين بأن المرحلة القادمة ستكون صعبة ، اذ سيغلب عليها استعمال القوة والخشونة . وهذا ما حدث وما تحقق فعلا فلقد طلبوا الي في أول الامر افشاء المحل الذي كنا قد اتفقنا على الالتقاء فيه واسم الشخص الذي يربطني بالمنظمة ! ومحل سكناي ... دفعني احدهم بقوة نحو الغرفة المجاورة ، وكان ينتظرني فيها اربعة اشخاص يحملون اسماء مستعارة ، والقابا (دكتور ، مهندس) ، عضدي ، طهراني ، هو شنك فهمي ، باقري زاده .

طلب الي عضدي ان اخلع ملابسي ، فتظاهرت بالخجل وقلت بأنني اخجل كثيرا من مثل هذه الاعمال اذ لم يسبق لاحد ان رآني عاريا ، وكان جزاء هذا الخجل عدة لكمات وركلات! ، واصبح امتناعي عن التعري سببا

لاستعمال الخشونة والالحاح فيها ذلك لانهم كانوا يفون استغلال الخجل كنقطة ضعف ضدي تمهيدا للضغط علي نفسيا . على اي حال ، اجبرت على خلع ملابسي ، ولم يبق على جسدي سوى لباس واحد يستر عورتي، طرحني احدهم من الخلف على مسطبة طويلة ثم اوثقوني اليها بحبال قوية ، وخاطبني عضدي وانا مربوط بهذه الصورة : ـ

ـ حسن ، قل لي الآن ، ايهما احب اليك البيبسي او الكانادادراي .

فاجبته بكل هدوء :

ـ ان حلقي قد جف ، شكرا !

فابتسم عضدي ابتسامة صفراء ، وقال لي محاولا تفسير قوله السابق :

ـ اكثر زملائك حملوا الببسيات !! اذ ان حجم زجاجة الببسي يعتبر قياسيا على المستوى الدولي ! لم اعلق بشيء ، وتوقعت انزالي من المصطبة ليبدا التعذيب بالسوط الذي كان في يده ويلوح به في الهواء تخويفا لي . . . كانت جواربي لا تزال في رجلي ، فقام عضدي بخلع جواربي ، ورفع حاجبيه الى اعلى وضغط باسنانه على بعضها وانزل باقصى قوته سوطا على جسمي وارتعشت عضلات انفه ، كما يفعل الكلب قبل النباح ، وصرخ :

ـ لا تتكلم ؟ ها ؟ لا تتكلم . واكتفى بعدة ضربات متتالية ثم خرج مسرعا من الغرفة وتبعه الاخرون وكان شخصا ما طلبهم جميعا ! . . . وقبل ان يخرج آخر واحد منهم كلف جنديا بحراستي . . .

كان الم شديد ينهشني ، ونيران الحقد تسعر في قلبي ، توجهت نحو الجندي لكنه ادار وجهه عني ثم التفت الي وفهم بانني اريد ان اقول شيئا، فقلت بدون مقدمات وبانفعال شديد :

ـ هل تعرف ما هو هذا المكان ؟ انه سجن اوين . . . قل لي ماذا اتى بك الى الجندية ؟ من ارسلك الى هنا ؟ لمصلحة من تخدم ؟ لماذا لا تفر من الجندية ؟

كانت سيماؤه تدل بجلاء على ان اصوات السياط وانين المعذبين وصياحهم والضحكات الهستيرية التي يطلقها الجلادون في حفلات التعذيب قد تركت فيه تاثيرا بالغا ، فقال والكلمات تختنق في حنجرته والعبرات تتدفق من عينيه ، وبعد ان اجال بعينيه على ما حوله :

ـ من اجل شرفي . . . صيانة لشرفي .

قلت له :

ـ اي شرف ، ان شرفك هو ابوك ، امك ، اخوانك واخواتك الذين يرزحون في القرية تحت سياط الدرك وغدر الاقطاع الذين لا يترددون في التطاول حتى على اقدس المقدسات ، ولا يحصلون من كدحهم طوال اليوم حتى على لقمة العيش الكفان ، ان شرفك هو انا ! حيث اقاسي من العذاب الشديد الذي تراه بام عينيك على ايدي هؤلاء الوحوش القتلة ! الم يكن في مقدورك التكسب وتامين حياة كريمة لنفسك ؟ الم يكن في مقدورك فتح دكان خضروات بدلا من اداء الخدمة لهؤلاء المرتزقة ؟ هل كان عملك مهما وثمينا بحيث خشيت فقدانه ؟

قاطعني وقع اقدام مقبلة نحونا ، فانسحب هو الى مكانه ورجعت انا الى وضعي السابق وكان القادم هو عضدي يتبعه كل من طهراني وباقري زاده وفهمي وتجددت المحنة واستؤنف الضرب ثانية ، لكنني كنت اشعر بفرح شديد يغمرني ، وبدا لي تمرغي في الارض والتفافي حول نفسي ضربا من التصنع ! عجيب ، ان ضربات السياط هذه المرة لا تحدث نفس الالم الذي احدثته في المرة السابقة ، وبعد مدة حلوا وثاقي واجبروني على المشي صعودا على السلم ونزولا ، وكانت قدماي تؤلمانني بشدة بحيث غدا هو الآخر نوعا حديثا من التعذيب بل وافظع من الضربات ، اما التردد او التوقف او التماهل فكان من شانه ان ينزل علي باللكمات والركلات ، فمشيت مدة وزال الالم من رجلي ...

ربطوني ثانية الى المصطبة ، وتغير المعذب ، فلقد حل طهراني محل زميله عضدي ، وكان هذا هائجا كالثور كأن غروره قد جرح ، فانزل على جسمي السياط بكل وحشية وهو يطلق السباب والتهديدات . كنت قد صممت في نفسي ان امتنع عن الكلام لمدة من الزمن ، كنت ارسم في ذاكرتي ، والسياط تنهال على جسمي ، الهدف النبيل الذي اناضل من اجله ، الذكريات الجميلة مع رفاقي ، اتذكر الرفاق الذين ختموا حياتهم الغالية بايديهم لكي لا يقعوا في قبضة العدو ، تذكرت الهدف من الاشتباكات الدموية التي حدثت مرارا بين رفاقي والعدو ، وكانت صور الرفاق الابطال بويان ، اسكندر ، بيرونذيري ، ابطال هذه الاشتباكات تمر من امام عيني ، تذكرت تضحياتهم ونكرانهم لذواتهم وسمو الكثير منهم الى مرتبة الشهادة انتحارا مفضلين ذلك على الوقوع اسرى بين براثن العدو ، وتجسمت في ذاكرتي المقاومة البطولية التي ابداها الشهيد بهروز دهقاني ، وكانت جميع هذه الافكار والتصورات تلهمني القوة والمعنوية وروح المقاومة ، وتمتمت

مقاطع من قصيدة الرفيق ماو « اصابع الاوراق متدلية » ، وكانت مشاهد من المقاومة البطولية التي يبديها في كل مكان ثوريو العالم تمر من امام عيني كشريط سينمائي لا ينقطع ، كنت اتصور كيف كسر ذلك الثوري الاسباني اصبعه لئلا يقدر على كتابة شيء وقطع لسانه الى قطعتين بأسنانه لئلا يقول شيئا ، اتصور كيف ان صب الماء المغلي والمجمد وزبد الصابون في الافواه والتعليق الى الاشجار و ... لم تحرك من عزيمة وايمان ذلك الثوري الفيتنامي والمناضل الفيني ، كنت ارى راي الفؤاد كيف ان اساليب التعذيب المسماة « كون طوطي » التي تمارسها الرجعية البرازيلية تقف عاجزة امام صمود رفاق ماريجويللا ... نعم كل هذه المناظر والمآثر النضالية كانت تلهمني الاصرار والعزيمة ، وكانت حرارة الايمان تسري في اجزاء جسمي وتحملني على الضحك على محاولات الجلادين المحمومة ، وتخاذلهم وارتدادهم بذلة امام الثوريين الصادقين .

كنت لا ازال انتظر استئناف التعذيب ، عندما سلم طهراني السوط الى باقري زاده الذي شرع يضربني بشدة : ـ

ـ الم تزل تمتنع عن الكلام ؟ ها ؟ حسنا .. هذا سيحل عقدة لسانك فلما تعب هذا تناول عضدي السوط ثانية ، وحل وثاقي وكان باطن قدمي قد ازرق من فرط الضرب ، وامرني بالسير صعودا ونزولا ... طرحوني على المصطبة ثانية ، ودخل طهراني فجاة وفي يديه ثلاث هويات ، واشار الى عضدي بالذهاب اليه ، فهمس كلمات مبهمة في اذنه لم افهم منها شيئا، وهو يختلس النظرات الي في نفس الوقت ! ووقع على مسمعي اسم خسرو ردده طهراني ، واستمر الهمس ، فادركت بان هذا لا يتعدى مشهدا تمثيليا ليس الا ، فقلت بصوت عال :

ـ لماذا تتهامسون فيما بينكم ، اذكروا ما يتعلق بي بصوت عال حتى افهم انا ايضا ، او اسالوني حتى اجيب ... وكان هذا اول لعبة لهم تم افشالها وابطال اثرها بهذه السهولة ... ولم ينطق طهراني باي شيء ، وقفز نحوي وسدد الى فمي لكمة قوية وتابعها بعدة منها على وجهي ، وسحب السوط من يد عضدي وانهال علي بجنون من دون تحديد ، وكان كالذئب الجريح يندفع نحوي ويوجه ضرباته اينما كان من غير مراعاة حتى لاصول التعذيب ... ابتداء بالساق ، مارا بفخذي ومنتهيا بمنطقة العانة لذا فان اكثر الضربات كانت تصيب عضوي التناسلي مما يؤلمني بفظاعة ، وكان راسي ينقلب يسارا ويمينا من فرط الالم ، وسمعت عضدي يخاطبه بلهجة الامر ، متناولا السوط منه :

ـ ماذا تعمل ! لقد افقدته وعيه ! . بقيت على هذا الحال بلا حراك لمدة دقائق ، فاقترب عضدي مني وقال ساخرا :

ـ ها ؟ كيف حالك ؟ هل تتكلم ام نستمر ؟

وحلوا وثاقي للمرة الثانية واجبروني على السير على القدمين ، فشق علي السير كثيرا لكنني مع ذلك ذرعت الغرفة جيئة وذهابا ، وتعثرت فوقعت ارضا ... اوثقوني مرة اخرى الى المصطبة ودخل الغرفة شاب يحمل حقيبة تحت ابطه وتوجه الي مباشرة فجثا على صدري . كان ينظر الى كفريسة ثمينة وعلى شفتيه ابتسامات تنم عن الشعور بالانتصار ، فلقد كان هذ قائد العملية التي تم القبض علي فيها .

لكنني لم اكن بنيانا هشا يهتز بهذه الرياح رغم قوتها ! وشعرت بقوة عظيمة وايمان عميق في نفسي ، على عكس ما توقعه هذا ... وعندما قام من (مقعده !) خاطبهم قائلا :

ـ عجيب ! لقد تشوه وجهه من اثر الضرب، لكنه لم يقل شيئا بعد!؟

قال هذا ، وغادر الغرفة من دون ان ينتظر جوابا ، وتبعه الآخرون جميعا باستثناء باقري زاده ، الذي حملق في وجهي قليلا ، وخاطبني بالتركية :

ـ ايها الفلام، الا تشعر بالشفقة على نفسك ؟ لماذا تدعهم يركلونك بكل هذا الضرب ؟ من اجل من هذا العذاب ؟ قل لي بماذا تفكرون انتم وماذا تبغون ان تعملوا ؟ اي مكان تستطيعون احتلاله !؟ لن تكونوا في اي حال من الاحوال اقوى من فرقة اذربيجان الديمقراطية (المقصود هو الحزب الديمقراطي الاذربيجاني ـ المترجم) ، قل لي كم عاما هو سنك ؟ فأجبته :

ـ سني ثمانية وعشرون سنة .

ـ حسنا ، انت لا تدري ، فلم تكن قد ولدت بعد ، كنت انا بالذات عضوا في الفرقة ، تقدمت قواتنا حتى وصلنا الى قافلانكوه واحتللنا زنجان، في تبريز اسسنا جامعة ، لكن ما الفائدة وماذا كانت النتيجة ؟ فقدوا كل شيء اثر هجوم واحد من قوات الدولة ، فهرب بيشه وري واريق دم اناس من امثالك ، كان هذا ما حدث في تلكم الازمان ، واليوم فان لدولة مثل امريكا قواعد هنا ، وتساندها بريطانيا ، فمن الذي سيساعدكم انتم ؟ الاتحاد السوفياتي ؟ الصين ؟ انت لم تزل طفلا لا تعي حقائق الامور فلهؤلاء ايضا مصالح كثيرة هنا ...

اطال الكلام ، واورد كثيرا غير ذلك من الترهات والسفاسف ، حقا انه لما يثير الضحك ، شخص كان قبل ساعة او اثنتين يستعمل القوة معي وينهال علي بالاسواط بأعلى قوته ، لكنه الآن يبغي ان يسوقني نحو الهاوية

بهذه السهولة ومن خلال تزييف الحقائق التاريخية !. اجبته بكل بساطة وهدوء : ـ

ـ لست ادري ماذا تريدون مني ، وكان هذا بمثابة احباط لمساعيه الشريرة ، اذ لم ينبس ببنت شفة . كنت اتوقع عودة الجلاد السفاك طهراني ، وصدق توقعي ، فلقد دلف الى الغرفة بسرعة وجثا ، كزميله الشاب ، على صدري وخاطبني قائلا :

ـ حسنا ، ماذا تقول ؟ ماذا نعمل ؟

فاجبته : ـ

ـ لا اعلم شيئا .

ـ انتفض هائجا ، وانهال علي بالسوط بأعلى ما يملك من قوة .

كانت الساعة قد اقتربت من الواحدة ، وكان طهراني قد تعب من الضرب تماما ، فدخل حسيني (شعباني) الى الغرفة . ويعد حسيني هذا من اشرس وحوش « اوين » ، ولقد تحولت حركات عضلات وجهه الى ارتعاشات عصبية لا ارادية من اثر اعمال التعذيب الكثيرة التي اضطلع بها ، ومعايشته لظروف السجن القاسية لمدة طويلة كجلاد بحيث غدا التعذيب والقتل جزءا من حياته اليومية ، جزءا من لحمه ودمه !، يطلق صيحات عصبية يبعث على النشاط والارتياح له ! صاح بي ، وهو يتناول السوط من يد طهراني : ـ الم تنطق بعد، وانهال علي ضربا بشكل جنوني، وكانت قدماي قد تورمتا تماما والدم يجري من قدمي الايسر ، اما ضربات السوط فكانت شديدة بحيث تسري حتى نخاعي ، لكن ايماني بقي ثابتا وعزيمتي فولاذية ، وبعد مدة تعب شعباني ايضا ورمى السوط ارضا . حلوا وثاقي وربطوني لعدة مرات اخر ، لكنني لم اعد اقدر على السير بعد ، وبمجرد ان اطأ الارض بقدمي كنت اشعر وكان آلاف المخارز المستدقة تغرز فيهما ، تأبطني اثنان منهم لكي يساعداني على المشي ! حتى استعد للسياط التالية، لكنني لم اكن اقدر على ذلك بل ولم اكن احس بأن لي رجلين فحسب فلقد تخدرتا تماما ، لكن ما شأن الجلادين بذلك ؟ انهم يبغون مني تزويدهم بالمعلومات . التفت عضدي نحوي وخاطبني :

ـ هكذا ... هذا غيض من فيض ... فلم نعذبك بعد الا النزر اليسير !

والواقع ، فلقد صدق عضدي ، والضرب الذي تلقيته لم يكن ليقدر بواحد في المائة من التعذيب الذي مارسوه مع المناضلين الابطال عباس

مفتاحي ، سعود احمد زادة ، وعلي اصغر بديع زاد كان وسيروز هتاني وغيرهم ...

طرحوني على المصطبة مرة اخرى ، بالركلات والسباب ، ولم يلبثوا ان غادروا الغرفة تاركين معي حارسا واحدا ، فالتفت طهراني الي واذ هو يغادر الغرفة ، مطلقا آلاف السباب قائلا : شغل مصنع اكاذيبك ! يا ابن العاهرة ...

كان الجلادون يقضون ايام خير ! فلقد كانت جميع الغرف تزدحم بالمصاطب والضحايا وتجري في هذه الغرف على قدم وساق عمليات التعذيب بالسياط والتعليق بالحبال الى السقف . نعم ، في هذه الغرف ، كان الامتحان العسير يجري ، هنا مقياس المقاومة والايمان بالشعب والقضية ، كان يخرج منه اناس وقد هشمت اجسادهم ، لكن في ثناياهم ضمائر مرتاحة حية ، ورؤوسهم شامخة ، لانهم لم يسمحوا للعدو بالوصول الى اسرار الحركة ... وفي الطرف الآخر ، كان يخرج آخرون ، كسيري الخواطر ، تثقل اوزارهم ذنوب كبيرة ، لانهم ضحوا بمبادئهم من اجل ان يجنبوا اجسادهم لسعات السياط ، وبين هؤلاء واولئك نفر ثالث داخل الممر ، وقد طرحوا ارضا ولا تغطي ظهورهم الا اسمال بالية ، تمهيدا لادخالهم الى غرف التعذيب ، بعد ان تفرغ المصاطب ! ، ليقدموا هم الآخرون امتحان الارادة والاخلاص للشعب . كان مامورو السافاك يتجولون في الممرات والزوايا ، فالسجون ملأى ، وهذه دلالة واضحة على ان السنة ذاتها حبلى باحداث جسام وانتفاضات جديدة ... لم يتقطع الصراخ لحظة واحدة ، ويكاد قلبي يتقطر الما من انين المعذبين ... ولم يكن الجلادون قد رجعوا بعد الى الغرفة التي انا فيها ، اما الجندي المكلف بحراستي ، فهو الآخر ياتي حتى لينظر الي ! اغتنمت الفرصة فاطلقت احدى يدي وطفقت احاول اطلاق الاخرى ، لفت نظري عودة طهراني فارجعتها الى حالتها الاولى ! لكن طهراني اكتشف حقيقة الامر ، فأحكم وثاقي بعد ان اشبعني لطما وركلا وشتائم . لست ادري ، في الواقع ، ماذا كنت ساعمل ، فيما لو افلحت في اطلاق يدي ، وكل ما اعلمه بهذا الخصوص ، هو اني كنت احاول القيام بشيء ما حتى لا احس بالياس والتخاذل وبهذا تغلبت على شعور الوحدة والضعف .

احتشد الرهط المتوحش مرة اخرى في الغرفة ، تنحى طهراني جانبا واندفع عضدي نحوي بسرعة ماسكا بيده قلم حبر مستدق النهاية وشرع يغرز طرفه المستدق في كف قدمي ويحركه شمالا وجنوبا ، وكان هذا يبعث

في شعورا بالالم المبرح والدغدغة في آن واحد ، لكنه كان على شدته اهون بكثير من عملية الجلد ، صممت في نفسي ان ابدي رد فعل ما حتى تحل هذه العملية محل الجلد بالسياط فاوهمهم بانها اشد الما من السياط ، وهكذا بدات اتلوى واتقلب واطلق الصرخات العالية ، ونجحت الخطة واخذوا يلحون في الاستمرار على هذه العملية ، متوهمين بانهم اكتشفوا نقطة الضعف في ! اما انا فكنت طوال الفترة غارقا في تفكير عميق ، يدور حول كيفية امكان الخلاص من براثن الجلادين دونما ان اكشف لهم عن شيء ، وكنت قد كررت لمرات ، قبل الاعتقال ، على الرفيق خسرو عند المناقشة عبارة « وهل لا يمكن التلفيق للعدو حول الموعد ؟ » ، فتذكرت هذا السؤال مرة اخرى والقيته على نفسي : هل لا يمكن التلفيق للعدو حول الموعد ، مكانه وزمانه ؟ فالعدو لا يعرف انا صادق فيما اقول ام غير ذلك .

ان هذا التعذيب ، مهما اشتد وبلغ من الضراوة ، يهدف الى اخراج المعلومات منا وفي المقدمة من هذه المعلومات : افشاء الملتقى ، اي المكان الذي تواعدنا على اللقاء فيه مع رفاقنا ، حسنا ، ما الضير في ان اذكر مكانا خياليا؟ وكانت هذه الفترة خير فرصة مؤاتية لذلك اذ انهم كانوا يظنون بأنهم انما توصلوا الى نقطة الضعف عندي ، ولكي اضمن امكانية التفكير بشكل طبيعي حتى اختار المكان الملائم من كل الوجوه بين عدة بدائل ، واصلت التلوي والتقلب المصطنع بشكل مبالغ فيه ، فكان هذا ، علاوة على توفيره فرصة جيدة لي للتركيز في التفكير ، يحملهم على الاقتناع شيئا فشيئا بصدق ما اقول نظرا لطول الفترة الزمنية التي استغرقها التعذيب .

كانت الساعة قد بلغت الواحدة والنصف ليلا . صممت في نفسي على القيام بعمل ما ، قد يخلصني من التعذيب حتى الصباح ويضمن لي فرصة التفكير بدقة في احسن الاماكن ، بين مختلف البدائل ، لاذكر للمحققين بانه المكان الذي اتفقنا على اللقاء فيه ... كان هذا التصميم يستند على ركائز داخلية من الايمان الذي لا يتزعزع بعدالة القضية التي نناضل في سبيلها وتفكيرنا ونضالنا وقلعة الفكر الماركسي ـ اللينيني الشامخة التي لا تقهر . كانت كل هذه العوامل مصدر الهام لي ، للمقاومة مهما كلفتني ، تظاهرت بالاغماء التدريجي ، وصرت اتنفس بسرعة ، وقلت لهم متحشرجا : كفى ، كفى ، سأتحدث ، لا تضربوني ، لا تضربوني ، ارجوكم ، ساقول كل شيء (٦) ... ومنذ هذه اللحظة ، بدات دورا آخر ، دور عنصر شاب

---

(٦) ان الاعتداد بالنفس واتخاذ المواقف الصارمة والمعاندة مع العدو والامتناع عن الامتثال لطلباته هي احدى السبل الايجابية التي يجب سلوكها منذ اول لحظة من الوقوع

ساذج تورط بالسياسة ! لكنني احتفظت بكامل وعيي ويقظتي ... حلوا وثاقي ، وقبل السماح لي بالنهوض طلبوا الي الوعد المطلق بأني ساذكر كل ما اعرف ! لكنني لم التفت الى تهديداتهم ، وتظاهرهم بالجدية فاجبتهم : ساقول ... ساقول ، ولم اضف اية كلمة اخرى ...

مسكني طهراني من ابطي وساعدني على النهوض والسير !! اما هوشنك الذي كان ، منذ ادخالي غرفة المقابلات !! ، واقفا كالصنم في احدى زوايا الغرفة ويراقب بدقة تصرفاتي واقوالي وحركات جسمي (حيث كان ما يسمى بمامور البحث في حالاتي السايكولوجية ، فانه اخذ يحثني على السير قائلا : سر ، سر ، لا تخف .

سبحان مغير الاحوال !! لقد تغيرت قيافاتهم ، ووجوههم ، حتى التهديدات واعمال الخشونة والسباب البذيئة تحولت الى عبارات ودية وابراز للتاسف وعبارات تتضمن نصائح ابوية !!. اخذوا يداعبونني ويلحون علي في المزاح ... : قل ما شئت وسوف تدرك قريبا اي اصدقاء اوفياء لك في وسعنا ان نكون نحن ، ونقلب كل تصوراتك السوداء عنا الى اوهام فحسب !! ولقد غدوت انا ايضا في مستوى الحدث ! وكاني لم اكن من يتقلب ويتلوى قبل دقائق تحت ضربات السياط واللكمات والرفسات ! قلت لهم :

ـ الحق معكم ، ما السبب في ان اعرض نفسي لكل هذا الضرب ؟ ففلان قال كل شيء وسلم فما شاني انا ؟!! في الواقع، ارتكبت حماقة كبرى عندما اصررت على عدم الاعتراف ، فعرضت نفسي الى كلّ هذا العذاب !-.

كان افهمي يتفرس في وجهي .. صامتا اخرس ، ... امر طهراني ان يأتوا بماء ساخن وشيء من المروّح ، سحب احدهم كرسيا وعرض على

في الاسر ، وخصوصا من قبل الرفاق الانصار الذين « لا شكوك حول انتمائهم الى الحركة » ـ على حد تعبير رجال الساواك ـ وكلما كانت ردود الفعل من جانب الانصار اشد واحزم، كانت الفائدة أعم واهم ، وتتراوح ردود الفعل هذه بين توجيه السباب الى الجلادين ، وانتزاع السياط من ايديهم ، وضربهم بها ... ان مثل هذه التصرفات لن تؤدي الى اجبارهم على اللجوء الى خشونة اكثر بحيث نفقد شعورنا منذ الساعات الاولى للتعذيب على اثر اللكمات والركلات الشديدة ونتخلص بذلك من التعذيب الطويل فحسب ، بل انها تؤدي ايضا الى ابتعاد مشاعر اليأس والقنوط عنا ، وعدم فسح المجال للعدو لايجاد ثغرة مهما صغرت في قلاع عزائمنا الثورية ، لكل ذلك فان النصير الذي يمضي فترة من حياته في الاسر لا يحق له مطلقاالتوسل باللطف المصطنع والمداراة ، تخلصا من التعذيب وحتى ان جرى ذلك بهدف اغواء العدو ، ذلك لان من يقع في قبضة العدو ، والاخير على يقين بأنه واحد من الثوار ، فانه لا يتخلص من قبضته بهذه الاساليب .. وخير مثال على ذلك ، هو ان بين الانصار الذين نفذت بحقهم احكام الاعدام اناسا تخاذلوا ، الى حد ما ، امام السلطة .

بلطف وادب ، ان اجلس، ثم اتاني شخص آخر بفنجان من الشاي وحملني على شربه .

ركع طهراني امامي وشرع يدلك لي قدمي داخل الماء الحار . حقرت له نفسي !! فقلت له : كلا، كلا ، لا يمكن هذا ، ارجوك ان تنهض !! لاتوسخ يدك فاني ساقوم بنفسي بذلك ، ارجوك !!

سالني وهو يدلك رجلي : ايها الوغد ! كنت تتردد على الجبل ايضا فتصلب رجلك بهذا الشكل ؟!! اليس كذلك ؟

هنا التفت عضدي نحو طهراني قائلا : ـ كان الضرب شديدا ، آه ، لو كان اي شخص آخر محل هذا ، لكان قد اغمي عليه لحد الآن ستة مرات ، لكن المقابل ايضا قوي ومتحمل !

قلت لطهراني : اي جبل تقصد ؟ انا مجرد لاعب كرة قدم ، ولا اخفي عليك فاني كنت بطل الساحة بين جميع زملائي . فانبرى احد المامورين المشتركين في عملية القبض علي وقال بجدية كانه وجد ضالته المنشودة :

ـ حسنا ، اذا غباؤك ليس ابن اليوم ، حتما كنت تلعب دور المهاجم في اللعبة ، اليس كذلك ؟ نعم . . . اما كان خيرا لك ان تلعب دور حامي الهدف ، فتقف مدافعا عن الهدف دون ان تكلف نفسك عناء الجري والعدو واللهاث وراء الكرة ، لكن غباءك حدا بك ان يكون نصيبك التعب كله ، ونصيب الآخرين الراحة !!

ضحكت (رغم انفي) وقلت : اي والله ، انك لصادق .

كان طهراني ، في هذه الاثناء منهمكا في نثر مسحوق طبي على ساقي. نهضت لاسير ، مشيت قليلا ، وانا اعرج ، نحو المدفاة حيث كان سروالي موضوعا عليها . قلت لافهمي ضاحكا ، وانا البس السروال : ان وجهك يذكرني بابن عمي فكلما رايتك تذكرته ، انكما تتشابهان كثيرا وكانكما تفاحة واحدة شطرت الى نصفين متساويين !! لمحني بطرف عينه ، فقرات في وجهه الاندهاش الكبير الذي اعتراه حولي، ولقد صدقت قراءتي ، فلقد فضح ما في قلبه عندما هتف قائلا لزملائه :

ـ انظروا ، بالله عليكم ، اي فنانين يربون ، اولاد العاهرة هؤلاء ، فلقد بزوا جميع ممثلي السينما !

ثم وجه الحديث الي مهددا : ـ الويل لك ان كذبت !

هنا يتبين لنا ان مرتزقة الامن لا يتوقعون سماع الصدق والحقيقة منا مطلقا ولا يحسبون كل ما نقول سوى ضرب من الاكاذيب والاضاليل ، وتظل جميع المعلومات التي تصلهم عنا نوعا من التلفيق ما لم يطمئنوا وفق

معاييرهم الخاصة الى صحة اقوالنا وحقيقة انفسنا ، واذا كان الامر كذلك، فلم يجب علينا تجنب الكذب معهم وتضليلهم ؟ لماذا يجب تغذيتهم بالمعلومات الصحيحة عن انفسنا ؟ ونبطل تصوراتهم عنا باننا كذابون ؟ اليست الحقيقة هي اننا في نظرهم اناس ملفقون من الدرجة الاولى ، وليست اقوالنا سوى ضروب من الاضاليل والاباطيل والفبركات ؟ علينا ان لا ننسى باننا يجب ان نقاوم اساليب هذا العدو ولا نتخاذل امامه مهما كانت الوسائل والسبل!!. كانت غرفة التعذيب قد فرغت من نزلائها باستثنائي انا ، ورجع عضدي مرة اخرى وخاطبني :

حسنا ، ماذا بحوزتك ، ما هي الاشياء الاخرى التي توجد في جيوبك غير تلك التي اخرجتها ؟.

لم ادعه يبادر الى تفتيش جيوبي ، اذ كان ذلك ليكلفني الكثير ولاسقط كل حساباتي واخرجني خاسرا ، الامر الذي استلزم سرعة البديهة والحركة ... شرعت افتش جيوبي واخرجت كل ما كان فيها : عدة قطع نقدية من فئة الريال الواحد ، اربعة مفاتيح ، اريتها جميعا اياه قائلا : لا احمل في جيوبي سوى هذه الاشياء ، هذه مفاتيح دارنا ، وهذه نقود حملتها مصروفا لجيبي ، وقضيت بالعبارة الاخيرة على احتمال ان يتساءل حول المفاتيح ويلح في الاستفسار عن عائدية كل مفتاح منها ، وهكذا تم حسم المسالة لصالحي ، فلقد كنت مستعدا لتزويدهم بعنوان دارنا ، فما هي شانهم بعد بالمفاتيح ؟ وهكذا لم يستفسر عن الاشياء الموجودة في جيبي والتي كنت اخشى اكتشافها ، وعندما اطلق سراحي ، اعادوا الي نقودي ايضا ...

بدا التحقيق ، جلس هو وراء المنضدة وجلست انا قبالته ، وشرع بطرح الاسئلة ، اما انا فبموجب المخطط الذي كنت قد اعددته في ذهني والاكاذيب التي كنت اعددتها ، اجبت على اسئلته على النحو التالي (٧) :

س – مع من كنت قد تواعدت على اللقاء ؟ اين ؟ ومتى ؟

ج – مع شخص لا اعرف اسمه الحقيقي ، لكنه يحمل اسما مستعارا هو كريم ، موعد لقائنا هو في الساعة العاشرة من بعد غد في المنطقة الواقعة

---

(٧) قبل الاجابة على اسئلته ، قدم لي اطراءات كثيرة ووعودا باطلاق سراحي ، ولكي اصدق وعده قال بعد تفكير قليل : في الحقيقة ، انا لا استطيع ان اعدك باطلاق سراحك، لكنني سأعمل مستفيدا من تاثيري الشخصي ، على الا يحتفظوا بك معتقلا لاكثر من شهرين او ثلاثة ، وهذا عقوبة لحملك المادة السامة والا لكنت قادرا على اطلاق سراحك هذه الليلة ، طبعا ، بعد ذكر الحقائق !!

بين ميدان خراسان ومسكر آباد ، سيلقاني هو بعد ان امشي انا مسافة عن الطريق بمحاذاة الساقية لمدة عشرين دقيقة ، ابتداء من ميدان خراسان.

س ـ باية واسطة نقل سياتي هو ؟

ج ـ لست ادري ، فهو ياتي في كل مرة بطريقة مختلفة ، فتارة ياتي مشيا على الاقدام ، واخرى ممتطيا دراجة بخارية ، ومرة اخرى بالدراجة الهوائية .

س ـ حسنا ، ماذا كان نوع دراجته البخارية وما لونها ؟.

ج ـ دراجة من نوع هوندا (٩٠) ، زرقاء اللون ، حديثة .

س ـ هل للدراجة حقيبة ؟

ج ـ نعم لها حقيبة سوداء جديدة .

س ـ لو فرضنا انكم اخفقتم في اللقاء وفق الموعد الاول ، متى سيكون الموعد الثاني ، واين ؟

[هنا ارى من الضروري ان انوه بأن المقاومة التي ابديتها اول الامر وامتناعي عن الاجابة في ساعات التحقيق الاولى ، سهلا اغواءهم وتضليلهم من دون حدوث اي تناقض بين جوابين]

ج ـ في الواقع ، سبق وان حدث لعدة مرات ان لم يحضر في الموعد المقرر ، اما انا فاعترف باني لم اكن طوال حياتي جديا ، لذا تكرر عدم ذهابي للقاء في المواعيد المقررة لعدة مرات ، اما لقاؤنا مرة اخرى بعد هذه الاخفاقات، فانه يعود الى انه كان يعلم بجميع الاماكن التي كنت ارتادها انا وكذلك عنوان داري ، وكلما اخفق في اللقاء بي ، قدم الى دارنا او احد الاماكن التي ارتادها ، وهناك تقابلنا . . كان عضدي يصغي الي وعلى وجهه علامات الارتياب ، ويلح في استجوابي مبديا بعض الملاحظات ، وخاطبني ذات مرة ، وهو يحذرني ، جاحظا عينيه ، ومحكما اسنانه على بعضها قائلا : يا . . . . ويلك ان كذبت ! اتدري اية عاقبة سوداء تنتظرك ان ثبت انك قد قلت ما يخالف الحقيقة والواقع ؟ فطمأنته ، باني لا اقول غير الصدق وان كل ما اذكره له هو عين الحقيقة !! فقال عضدي :

حسنا .. . لنرجع الى حديثنا ولنر ، كنت تتكلم عن الموعد الثاني .

ج ـ كان قد ابلغني بانه اذا لم يات في الموعد المقرر ، فيجب ان اذهب في اليوم التالي الى مسكر اباد في الساعة الثانية عشرة ومن هناك اتجه شمالا الى ان اصل برج شاهيسند ثم اعرج يسارا نحو الجنوب .

س ـ اين هو ملتقاكم الدائم ؟

ج ـ شارع الفريق رزم آرا ، البدء من ساحة فرح اباد جنوبا والسير على الجانب الايمن من الشارع لمدة خمسة عشرة دقيقة ، وحيث انه من الممكن الا ياتي هو شخصيا لسبب من الاسباب ، فيرسل شخصا آخر ، اما علاقة التعارف مع هذا الشخص فهي : اسير انا بمحاذاة الساقية ماسكا باحدى يدي اطار دراجة هوائية وسيمر بجانبي شخص يمتطي واسطة نقل (لم يكشف عن نوعها) وحالما يمر بي ، اقول بصوت يستطيع سماعه : ما بالك ، لا بد انك اعمى ، فيجيب : « انت لا تملك عينين من الخلف فما ذنبي انا ؟ » هذه هي « كلمة السر » .

س ـ اين ومتى يجب عليك ان ترسم اشارة اللقاء التالي ؟

ج ـ في اليوم التالي للموعد الثاني ، كان يجب ان ارسم بطبشور اخضر علامة « لا نهاية » على اطار المصرع الايسر ، من باب « امام زادة معصوم » وعلى ارتفاع متر واحد من الارض ثم آتي الى الموعد في الساعة الخامسة من اليوم التالي لليوم الذي ارسم فيه العلامة (٨) .

اما المرحلة الثانية من التحقيق فلقد جرت بشكل تحريري ، وتطرق فيها الى كيفية تعرفي على كريم ، الكتب والكراريس التي طالعتها ، الاماكن التي تواعدنا على اللقاء فيها ، نشاطاتي وعلاقاتي مع الاشخاص الآخرين ، واستفسر فيها عن كل شيء بدءا من النشاطات الى اصغر عمل سياسي قمت به ، واورد ادناه نماذج من الاسئلة المطروحة علي في التحقيقات التحريرية :

١ ـ السؤال الشائع : ان هويتك مكشوفة لدينا تماما ، اكتب جميع نشاطاتك ، ذاكرا جميع هذه النشاطات ، صغيرها وكبيرها .

٢ ـ اكتب نوعية علاقاتك مع « أ » مع ذكر التفاصيل .

٣ ـ اذكر جميع الصفات الشخصية والمميزات البدنية لـ «ب» مع بيان محل سكناه .

٤ ـ اكتب اسماء جميع الكتب والكراريس التي طالعتها ودرستها (٩) .

٥ ـ انت متهم بالعضوية في منظمة او مجموعة ذات ميول وافكار اشتراكية ، اشرح نوعية نشاطاتك بهذا الصدد .

---

(٨) هنا لا بد ان اذكر بأن ، حيث لم يكن رجال السافاك اغبياء قد اهتدوا بعد الى طرق عملنا واشكال ارتباطنا مع بعضنا ، ولم تكن معلوماتهم عنا قد زيدت من قبلنا ، لم يكونوا يقدرون على ادراك الدور الذي كنت أمثله بل ان هذا الدور كان قد جعلهم يتخلون تماما عن اساليبهم التقليدية ..

(٩) ان الاجابة على الجزء الثاني من هذا السؤال (أي ما يخص الدراسة) يعني الاقرار بنشر الافكار الاشتراكية .

٦ ـ بين واشرح موقعك التنظيمي بالنسبة للاشخاص الذين انت متهم بالعمل معهم ، مبينا موقعك في السلم التنظيمي .

٧ ـ اشرح بالتفصيل جزئيات العمليات التي اشتركت فيها .

٨ ـ اشرح بالتفصيل ما يتوفر لديك من معلومات حول الاماكن السرية ، البيوت ، المخازن ، مكان تواجد الاسلحة والمتفجرات ، مكائن الاستنساخ والطبع ، الكتب والكراريس والرسائل ، وكيفية الاستفادة منها (١٠) .

وتطرح دائرة التحقيقات العسكرية نفس الاسئلة على المتهم او ما يشابهها . والآن لنر كيف تخلصت انا من هذه الاسئلة :

كان الموعد الذي ذكرته للمحقق من « فبركتي » انا ، والشخص المدعو كريم الذي كان يجب ان يحضر هذا الموعد هو الآخر من « خلقي » ، وهناك نقطة يجب ذكرها ، وهي اني انتفعت الى حد بعيد ، في اختلاق هذه الاسماء والتواريخ ، من الواقعيات القديمة لايام النضال ، ذلك لان الضغط المستمر والتعذيب المتواصل لم يكونا يسمحان لي بالتفكير ولو للحظة واحدة ، ولم اكن قد جربت سابقا تهيئة مثل هذه العناصر للانتفاع منها في الوقت الحاضر (١١) ، فمثلا عندما كان يطرح سؤالا حول المكان المقرر للالتقاء ، كانت تمر امام عيني جميع الاماكن التي كنا نتقيها سابقا مع رفاقي للتواعد وكانت الفرصة الوحيدة السانحة لي، هي ان اذكر ، في حدود الامكان ، الاماكن التي سبق وان اكتشفت ، او قل احتمال تردد الرفاق عليها ، اما كيف تعرفت على كريم وعن طريق اي شخص فتلك كانت مسالة بالغة الاهمية يستلزم حلها دقة متناهية ، ولقد استنتجت الطريقة التالية بهذا الصدد :

كنت اعرف ، فيما سبق ، شخصا باسم (ج) ، تعرفت عن طريقه الى شخص ثان لم اره بعد ذلك سوى في مناسبتين ، ويمكن القول جازما بان التعرف عليه لم يكن ينطوي على اية علاقة او صبغة سياسية قط اذ كان هو في حالة اختفاء عند القاء القبض علي لذلك لم يكن هناك اي احتمال لالحاق الضرر به من جانبي ، وكان (ج) ، وهو شخص سياسي اعتيادي ،

---

(١٠) ان عدم الاستماع بدقة وانتباه الى الاسئلة واعطاء الردود السريعة ، يعني اقرارا صريحا بالعضوية في المنظمة (عقوبتها السجن من ٣ ـ ١٠ سنوات) .

(١١) ان تصور المواعيد والعلاقات المصطنعة (الوهمية) في الذهن قبل الوقوع في قبضة العدو من المسائل البالغة الاهمية والتي يجب اعارتها الاهتمام اللازم ، ذلك لانه عند الاستجواب او اثناء التعذيب لا تتاح للمرء الفرصة الكافية للتفكير في هذا الامر ولا الاستعداد الذهني اللازم له الامر الذي ينطوي على احتمال الوقوع في التناقض .

قد اعتقل قبل ان اعتقل انا ، وحقق معه حول هذا الشخص ، فانتفعت انا من هذه المسألة وتمكنت من الاستناد عليها وتعريف كريم بصفة حلقة الوصل بيني وبين المنظمة وحمل العدو على تصديق صحة الادعاء ، لكنني اصبت بخيبة امل وعذاب نفسي شديدين اذ ادى ذلك الى استدعاء (ج) مرة اخرى الى التحقيق ، وكنت اشعر بان ما قمت به من اجل اخفاء علاقاتي مع منظمة « فدائي الشعب » هو نوع من الخيانة ، بالرغم من ان (ج) كان قد وقع في قبضة العدو في قضية اخرى وكنت على اطلاع تام بهذه الحقيقة . . .

اما فيما يخص الصفات المميزة ، وتاريخ بدء الاتصال وقطعه ، مدة النشاط والمواعيد فاني قدمت ابسط الاجوبة واقلها تعقيدا ، فلقد ذكرت مميزات يمتلكها الانسان الاعتيادي عيون وحواجب سوداء ، شعر قصير نسبيا ، جسم متوسط ، قوام ممشوق ، وجه طويل وضعيف . لم اذكر اي تاريخ ، فمثلا كنت اذكر ان الوقت كان في منتصف الصيف . . . او منتصف الشتاء .

صبيحة اليوم الثالث (١٨ شهريور ـ ٢ سبتمبر (ايلول))

كان يوما مشمسا والسماء صافية ، وكان نعيق الغربان وصفير الحراس ايذانا بانتهاء حراسة وجبة منهم وابتداء حراسة وجبة اخرى والاصوات المنبعثة عن توقف السيارات والصيحات الحيوانية من وراء سماعة التلفون ووقع اقدام الجنود وقرقعة البندقية الاوتوماتيكية (ززس) وهدير ينبعث من ماكنة بلدوزر تحفر الارض في مكان مطل علي ، كانت كل هذه تقطع جميع الاتصالات مع العالم الخارجي ، وتصرخ في وجه السجين ، ان انتبه ! فهنا معتقل « اوين » او منتزه صاحب الجلالة الاريامهرية !!

ان « اوين » لا تنام ولا تهدأ للحظة واحدة ، ويرن في الاسماع بصورة متواصلة وقع اقدام المارة طوال الليل والنهار ، صوت موقف السيارات، صيحات كرباسي او اي مرتزق آخر ، الوقع الثقيل الرتيب لاقدام الحراس ، وقرقعة البنادق وهدير البلدوزر لا تنقطع ابدا ، نعم لا تنقطع هذه الاصوات مطلقا ، حتى الغربان لا تطيق هذه الجوقة المزعجة القاتلة لصفاء الذهن ، فتترك « اوين » ليلا لتعود غدا مع اولى خيوط الفجر مبشرة !! ببزوغ شمس جديد في « اوين » !!

× × ×

كنا في السابق ، نرتكب اخطاء جسيمة وعديدة في كثير من النواحي، بسبب قلة التجربة وحداثة العهد بالنضال والافتقار الى النظرة الواقعية نحو الشرطي ، والتفكير المطلق في اعمالنا الذاتية والابتعاد عن مراقبة حركات العدو عن كثب والوقوع في احضان التفاؤل الفارغ ، وتتقدم جميع هذه الاخطاء في الاهمية والتأثير ، خطأ الاستهانة بالعدو من النواحي التكتيكية ، الامر الذي يؤدي بالتالي الى اهمال مراقبة تحركاته وردود فعله ، ومجابهتها بشكل حاسم والوقوف بوجه المخططات والشرك التي يهيئونها لنا والنشاطات اليومية التي يبديها ضدنا .

قرانا كثيرا واستوعبنا ولمسنا لمس اليد ، مرات ، الحقيقة التاريخية القائلة بأن هدف العملية الثورية هو احراز النصر لصالح القوى التقدمية في المجتمع ، وان هزيمة العدو امامنا شيء حتمي وان النصر الستراتيجي المؤزر في الصراع الطبقي هو حليفنا ، لكن كل ذلك يجب الا يؤدي الى الاستهانة بالعدو والتقليل من شانه والاستخفاف بقدراته وقابلياته ، فالواقع الحي هو ان العدو يمتلك امكانات جسيمة لمجابهتنا ونحن نرى بوضوح كيف ان الدكتاتورية السوداء تستطيع ان تدوس بالقدم وبكل سهولة ومن دون شعور ما بالخجل جميع القوانين والاعراف والمقاييس التي وضعتها هي ، من اجل قمع اية حركة معادية لها ، فهي تصدر الاوامر بتفتيش البيوت ، واحتلال الشوارع ومنع المارة من المرور وايقاف الناس في صفوف طويلة وتفتيشهم ، وتعبيء باستمرار رجالها الذين يتجولون في كل مكان بسياراتهم ودراجاتهم البخارية ، وتشكل المفارز المتعددة لمراقبة العابرين ، وتزود دوائر التسجيل العقاري باوراق واستمارات تدون فيها معلومات عن هوية المستأجرين ، تلقي القبض بشكل كيفي على اي مواطن عن ذنب او بدونه ، وتستغل جميع وسائل الاعلام والمطبوعات ووسائل الاتصال العمومية من اجل تحقيق اهداف الطغمة الحاكمة ، وتمنع نشر الاخبار عن الوضع الداخلي ، وتتمادى في نشر الشائعات المضللة وتمجد انتصارات النظام الضئيلة والعديمة القيمة وتثير الضجيج حولها وتزمر وتطبل لها طويلا ، وتجبر رجالها على العمل من اجل احباط النضالات التحررية بكل السبل، بالرشوة ، بالمكافآت ، بتامين الحياة المرفهة ، ببسط السلطة والهيبة الاجتماعية لهم ، بالارعاب والتهديد (واجهت في اوين وقائع من هذا القبيل اثارت استغرابي ، كان رجال الامن منهمكين في العمل المتواصل لمدة ٢٤ ساعة بدون مبالغة ، لا يتركون المعتقل لايام متتالية وهم معتكفون على اعمالهم تبدو على سيماء اكثرهم امارات التعب والارهاق الشديدين ، وقليلا

م) يحصلون على فرص قصيرة يضطجعون فيها علـــى المساطب وهم في ملابسهم الرسمية يطلقون السفاسف والسخافات ، كثير منهم قد فقد لونه تماما جراء السهر المتواصل واحمرت عيونهم لنفس السبب، ويعاد ارسال القناصة العائدين لتوهم من مهمة ما الى مهمات اخرى ، ولا ساعات عمل محدودة لهم مطلقا ، ولا يعرفون لايـام العطـل الرسمية والراحة معنى) (١٢) .

وهكذا نرى ان العدو قوي من الناحية التكتيكية ويتمتع بمواقع قوية لمجابهتنا ، لكننا نحن ايضا نملك امكانيات تكتيكية وتكنيكية لا تتيح لنا قابلية احباط خطط العدو وسحق امكانياته فحسب بل وتساعدنا في اكتساب قوة اكثر ونضوج فكري اكبر ... ان الافكار الثورية ، المعنوية الثورية الجبارة، الوعي الحركي ، التشخيص الصائب ، الاعتماد على النفس والتاكتيكات الحديثة التي ابتكرناها ، هي مميزات عظيمة تتفوق بها على العدو ، لكن ذلك يجب الا يقلل من شأن العدو في نظرنا ، لا بد لنا ان نمتلك رؤية صحيحة له وتقديرا صائبا وواقعيا لامكانياته خصوصا في المرحلة الراهنة ، لا بد لنا من مجابهة واعية مع تحركاته ونشاطاته ، دون ان نصاب بالهلع والخوف من عمليات عرض العضلات التي يجريها في بعض الاحيان ، ودون ان نسيء التقدير ، فتستمر فعالياتنا تاركين جانبا اخذ امكانات العدو وقواه الحقيقية في الحسبان ..

في الساعة الثانية عشرة من ظهر هذا اليوم ، يجب ان اكون قد درست واخترت ساعة معينة كموعد مزيف اذكرها للمحقق ، كنت مضطربا بعض الشيء ، وكان فكري يعمل كالرحى باحثا عن اسباب وحلول لبعض المسائل الدقيقة ، وكان سريري يقع في موقع لا يمكن منه رؤية ما في خارج الخيمة اثناء الاستلقاء ، مددت قدمي نحو باب الخيمة ورفعت النصف العلوي مـــن

---

(١٢) طبعا ، يجب ان نعلم بأن هدف مرتزقة السـاواك هو الوصول الى الحياة المرفهة ، الثروة والمال والجاه ، تحقيق الملذات الجسدية وارضاء الغرائز الجنسية ، كسب الشهرة والافتخار لدى اساطين النظام وكبار الجلادين والبسطاء ، ارضاء العقد المكبوتة من قبيل الثرثرة ، حب السيطرة ، اضافة الى الخوف على ارواحهم ، وتظهر الميزة الاخيرة ، على الخصوص ، لدى الكوادر القديمة في السـاواك كعامل حاسـم واساسي ، ولقد طرح اكثر المأمورين ــ سواء القائمون بأعمال التعذيب او الذين ساهموا في عمليات القبض على المناضلين ــ اسئلة على ضحاياهم في كثير من المناسبات وبلحن ينم عن الخذلان والانهيار : لو كان بيدك سلاح الآن ، هل كنت ستقتلني ؟ لو كنت قد وقعت في قبضتك ماذا كنت ستعمل بي ؟ فيما لو اعطيتك السلاح الآن ، هل ستقتلني ؟

اما الذين لا تساورهم الشكوك بأن اجوبة جميع هذه الاسئلة ستكون «نعم» فان سؤالهم الوحيد اثناء التعذيب هو : ــ لو كنت قد وقعت في قبضتك هل كنت ستعاملني بأسوأ من هـذا ؟

جسمي وتمكنت من القاء نظرة على ما يحيط بالخيمة من الخارج ... جندي قوي البنية يحرس خيمتي ، يتمشى ، على عكس الحالات السابقة ، بجوارها ، وحالما ادركني القى علي نظرة تفيض عطفا وحنانا ... ناديته ، فأجابني ، وفتحت معه الحديث بالسؤال عن المدة التي مضت على وجوده هنا ، فأجابني بان مدة من الزمن انقضت على انهائه للخدمة وانه الان يمضي خدمة اضافية لان الدولة لا تسمح بتسريحه ، واستنتجت من اللكنة التي تعتور حديثه بأنه اذربيجاني (تركي) ، ثم القيت عليه بعض الاسئلة حول « اوين » : كم عدد الحراس ؟ اين يتمركزون ؟ كم هي المسافة بين الخيم وباب المعتقل الرئيسي ؟ ما هو نوع سلاحه ؟ كم عدد العيارات التي بحوزته؟ هل يمتلك شاجورا اضافيا وما نوع العيار ؟ وغير ذلك .

سألني : هل تنوي الفرار ؟

سكت ... ولم اجبه بشيء ، بينما هو واصل الكلام : ان الفرار محفوف بالخطر بل ولا يمكن التفكير فيه مطلقا ، فالحراس يملؤون المنطقة، وأي حراس ؟، انهم جميعا من ذوي الخبرة والقوة ، ولا تخطيء طلقاتهم ابدا.

كان يتكلم بطلاقة ومن دون وجل ، كانت كلماته تنساب كجدول ماء صاف ، سألني عن سبب اعتقالي ، قلت ان السبب ليس بذي اهمية بالغة ، فأنا معتقل بتهمة مطالعة الكتب المعادية للحكومة ، قال : من باب الصدف ، انا ايضا لا اشعر بالود تجاه هؤلاء . كانت اشعة الشمس قد بدات تؤثر علينا شيئا فشيئا ، سألته عن الوقت ، اجابني بهدوء ، وبعد ان نظر جيدا حواليه ، بأنها العاشرة والنصف .

قلت : هل لي ان اطلب منك شيئا ؟ عملا تقدم به من اجلي ؟ فقال بلحن يبعث على الاطمئنان في قلبي : ما هو ، ماذا تريد ؟

طلبت اليه ان يضرب بحذائه العسكري بقوة على مفصل قدمي . تراجع الى الخلف وقد ساورته دهشة كبيرة ، واكتفى بهزة من راسه ، دون ان ينبس بحرف .

قلت له بالحاح ولهفة : ان هذه لاكبر خدمة في استطاعتك اسداؤها لي ، ان عملك هذا ، سيؤدي الى فشل خطة دبرها هؤلاء لي ، بهذا سوف لن اذهب الى موعد لقاء وسوف لن يجبروني عليه ايضا .

قال ، بلهجة تفيض عطفا : كلا ، قلبي لا يطاوعني ، انت مسكين ، ان هذه الضربة ستؤلمك جدا ، انت الآن لا تقدر على المشي وان قدميك متورمتان ومشختتان بالجراح . قلت له : ايها الاخ، ان الامر قد يتجاوز هذه الاحاسيس، فان لم تضربني انت ضربني هؤلاء ، فتعال وساعدني .

قال : ان رجلك ستنكسر ، قلت : وهذا هو ما اريده انا .
فخطا نحوي بلطف وتردد ، رفع رجله لكنه انزلها مرة اخرى ، قال من الاعماق : لا استطيع ، لا استطيع ، فالتمست منه بالحاح ، ومددت رجلي من تحت جدار الخيمة ، واخذت اشجعه ، وكمن يبغي الخلاص من العذاب والالم باسرع ما يمكن ركلني على رجلي ، لكني لم احس باي الم — ربما كان رجلي قد تخدر — فقلت له : هذا لم يؤثر قطعا ، ارجوك ، اضربني بقوة اكبر ... لكنه كان قد ابتعد عني ، مستانفا حراسته وظهره الي ...
كنت اهدف من وراء هذا العمل ، ابتكار جواب مقنع للسؤال الذي سيطرح علي حول عدم حضور كريم في الموعد المضروب ، وهو انه ، اي كريم ، شاهدني وانا اعرج واسير بصعوبة بالغة ، فساورته الشكوك وترك المكان فورا .
بلغت الساعة الخامسة ، ودخل علي الرهط وانهضوني من السرير بسرعة ، لبست سترة كانت قد طرحت على احدى الاسرة (كانت تعود الى آنوش مفتاحي) وادخلت الى السيارة من قبل اثنين من المامورين . لم اكن البس جوربا ، فخلع احدهم جوربه والبسني اياه ، سالني طهراني عما اذا كنت اقدر على المشي ام لا ، فاجبته بان الضرب لم يكن من الخفة بحيث تلتئم جروحي بهذه السرعة ، ولم تكن هناك حاجة للاصرار من جانبه ، فلقد كانت جروح رجلي تعطي الجواب الكافي ... كان ابطال هذه العملية كل من : جوان ، خسروخان ، برويز ، آقارضا ، والسيارة تغص بالركاب ، تتبعنا ٢ — ٣ دراجة نارية ، ويحيط بي من كل جانب اثنان منهم ، اما مقود السيارة فكان في يد جوان ويجلس بجانبه احد المامورين . تحركت السيارة وسارت بنا باتجاه شارع خراسان ... وصلنا المكان الموعود قبل الموعد الذي حددته لهم بربع ساعة ، كانت مواقع الافراد الموجودين في ثلاثة من السيارات التي كانت تتبعنا وركاب الدراجات النارية قد عينت سلفا ، لكن المامورين الذين استقلوا ثلاثة سيارات اخرى ، كانوا يحتاجون الى تحديد المواقع وادوارهم كبقية زملائهم ! وقفت ثلاثة من السيارات في الشارع الفرعي الموازي للقسم الشمالي من شارع خراسان ، ترجل الركاب وتجمعوا حول قائدهم الدكتور جوان ، بقيت انا لوحدي في السيارة ... كنت اتمنى من الاعماق لو ان هذا الموعد كان فخا ينصب لهم ، اذا لكانت قنبلة يدوية او صلية من رشاش تمحيهم جميعا من الوجود .
حدد جوان دور كل واحد منهم وواجبه بدقة ، وحدد لهم المواقع التي ستخضع لمراقبتهم ، تفرقوا واتجه كل منهم صوب المحل المعين له ،

خرجنا ، انا وثلاثة من ركاب السيارة ، من الشارع وبعد ثلاثة دورات حول الساحة قطعتها بما لا توصف من الصعوبة ، توقفنا امام ثاني قهوة من تلك الجهة من شارع خراسان ، وحيث اني لم اكن اقدر على السير بعد لحسن الحظ ، فلقد اعفيت من مواصلة السير ، وقدمت قدما بهذا نحو النجاح في الخطة ... وقفت سيارة اخرى على مقربة من المقهى ، وقف ركابها امام المقهى . كان الشخص الجالس في صدر سيارتنا بجانب الدكتور جوان ، رجلا متوسط السن ، قوي البنية ، اسود الشعر ، جنكيزي الشارب ، يلبس سروالا خاليا وقميصا احمر اللون قصير الردان يتبين من ورائه مسدسه الكولت يحمل باحدى يديه شيئا ملفوفا بقطعة من القماش (تبين لي فيما بعد ان هذا الشيء لم يكن سوى رشاشة) ، على احدى يديه اثر جرح قديم ، ولقد سمعت ان هذا الشخص هو الذي دبر امر القبض على كاظم سلامي وانه جرح في المصادمة .

كانت قيافاتهم ملفتة للنظر ، فمثلا ذو القميص الاحمر الذي وصفته لكم توا ، كان يشبه قصابا اكثر من ان يشبه اي ذي مهنة اخرى ، وهكذا خذ هيئات الآخرين . ترجلنا من السيارة ودلفنا الى المقهى، اجلسني احدهم امام اول منضدة خلف الباب ، حيث كان بامكاني مشاهدة خارج المقهى بشكل كامل ، وامروا لي بماعون من الثريد الايراني المسمى – ديزي – ، كرروا علي سؤالا ، كانوا قد القوه علي في داخل السيارة لعدة مرات اخرى ومفاده : من اية جهة سياتي كريم وباية وسيلة ؟ كنت اجيب دوما بصيغة استفيد منها عندما تطرح علي اسئلة اخرى ، صيغة قابلة للتفسير والتغيير . قلت جوابا على هذا السؤال : – لا اعرف من اية جهة بالضبط سيقدم ، قد ياتي ممتطيا دراجة هوائية ، او دراجة بخارية ، او قد ياتي بواسطة تاكسي ، او قد يتربص في احدى زوايا هذا الشارع منتظرا ظهوري .

وكنت بعد هذه الاجوبة اتوقع قدرا من الاستجواب وطلب التوضيح كما واعددت لكل شيء جوابا ملائما بحيث لم اكن افكر في الوقوع في مازق ما .

جلس برويز ، وهو شاب قصير القامة ، متمرس ، لم يزل في اوائل عهده في العمل لدى الساواك ، وهو يظهر لياقة جيدة في الاداء مما ينتظر له مستقبل باهر في هذا المسلك ! جلس وراء المنضدة وقال لي : – انظر خارجا كلما نقرت على المنضدة وحاول ان تشخصه بين راكبي الدراجات الكثيرين !.

يعرف القارىء الكريم ، باني قد ذكرت لهم بأن كريما قد ياتي من اية

جهة من الجهات المؤدية الى المكان الموعود وقد يأتي بأية واسطة نقل من الوسائط الكثيرة المعروفة ، وهذا كان يجعل من المستحيل عليهم التركيز على جهة واحدة دون غيرها او على واسطة واحدة دون غيرها ، كما ان مراقبة جميع الجهات والوسائط كانت من رابع المستحيلات وتحتاج الى امكانيات هائلة جدا ، وحتى فيما اذا حاولوا اجراء مثل هذه المراقبة الشديدة ، فان تجمعهم بهذا الشكل المفضوح كان كافيا لكي يشعر حتى الاعمى بأن المنطقة تعيش وضعا غير اعتيادي جدا وهي موضوعة تحت المراقبة الدقيقة .

والآن لنلق نظرة على الوضع خارج المقهى ؛ كان شارع خراسان ، وخصوصا القسم الامامي منه الذي يبدأ من الميدان ، شديد الازدحام بالباعة المتجولين الذين يتجمهرون عادة هناك ويبيعون ما يحملون بأيديهم ، هذا اضافة الى محطة الاوتوبيس ، مواقف التاكسيات وما يتسبب عن ذلك من تهالك الناس وازدحامهم للحصول على السيارات بسبب عدم تنظيم مواقف خاصة لهذه السيارات ، كما ان مصادفة الوقت للساعة الثانية عشرة ظهرا حيث يزداد عبور ومرور الاشخاص الذين يرجعون الى منازلهم ، ووجود اماكن الاختفاء الكثيرة كالمقاهي ، المطاعم ، المطاعم السيارة ، مواقف الاوتوبيس ، كاراجات المسافرين ، كل ذلك عوامل مساعدة لاختفاء المامورين بين صفوف الجمهور دون ان يشك احد بأمرهم بالرغم من ان تعدادهم كان يصل الى الثلاثين شخصا .

كانت احدى السيارات تقوم باعمال الدورية ، تصعد شمالا لمسافة عدة كيلومترات على طول شارع خراسان ، تدور حول الميدان ، ثم تعود ثانية الى مقرها الاول ثم تقوم السيارتان الاخريان بنفس هذه العملية ، اما الدراجات ، فكل واحدة منها تربض في احد اطراف الشارع في حالة استعداد تام .

كان جوع شديد قد استبد بي ، والشعور بالفوز في اغوائهم يزيد من شهيتي كثيرا ، سحبت الديزي الى ومزجت محتوياتها ببعضها صانعا بذلك ثريدا ممتازا ، وشرعت آكل بنهم ، وكاني لم افش بسر ما !!

وكلما نقر برويز على المنضدة ، رفعت راسي لاشاهد شخصا يركب دراجة بخارية ، فيتأهبون جميعا وابصارهم شاخصة نحوي ، ثم يرجع كل شيء الى حالته الطبيعية مع هزة من راسي نافيا ما توقعوه !... وتبقى عيونهم مربوطة الى الشارع في انتظار دراجة اخرى لتتكرر العملية ! وهكذا انقضت دقائق عشر من الوقت ، ويظهر ان وضعي اللااعتيادي قد لفت انظار

الجالسين في المقهى ، وادركت من عيونهم ان استنتاجاتهم لما يدور حقا داخل هذا المقهى تختلف من احدهم الى الآخر ، فالبعض ينظر الى بعيون ملؤها العطف والحنان ، وآخرون استبدت بهم الدهشة فجحظت عيونهم وآخر يحملق في وجهي وعيناه تلمعان وكأنه يلهمني العزيمة وينفخ في روحي القوة

اما صاحب المقهى ، فكان طوال الوقت منهمكا في سحق القند لكنه يختلس الي النظرات السرية بين اللحظة واللحظة ، انتهى ثريدي وشرعت آكل اللحم ، وفجاة امرني احدهم بأن انهض ، ففعلت تاركا الطعام ، ورأيت اثنين منهم يلتهمان اللحم الذي تركته في الماعون ، غادرنا القهوة ، وشعرت بأن سلوكهم معي ينطوي على شيء من الرقة !! واعتذروا لي على مزاحمتي ! في الطعام ، وعرضوا علي ان نسير قليلا في الشارع ، ساعدني اثنان منهم على الصعود الى السيارة التي تحركت بنا شرقا ، كان الوقت يسير بسرعة، ونقترب شيئا فشيئا من الموعد ، بينما يسري حتى نخاعي تيار شديد من الغبطة ! كانوا يشجعونني على تدقيق النظر فيمن حولي ، واعلامهم حالما تقع عيني عليه ، يتبعنا من الخلف احد المامورين ممتطيا دراجة بخارية ، ما اشبه منظره بمنظر ممثلي السينما ، يغطي رأسه بقبعة خاصة وعينيه بنظارتين سوداوين . هزني الساواكي الصغير ، برويز ، على حين غرة من كتفي قائلا : انظر خلفا ، اليس ذلك هو كريم ؟ وبعد ان نظرت الى الشخص الذي اشار اليه بهدوء ومن غير اكتراث ، قلت : كلا ، كلا هـذا ايضا ليس بالشخص المطلوب ! التفت مرتين او ثلاثا ، فلم يزل يتبعنا ، فسألت انا برويز هذه المرة قائلا : من هذا ؟ اخشى ان احدا منهم . . . يتتبع خطانا!. تقمص الجميع قيافة عابسة ، لئلا ينفضح هزؤهم بما قلت ، فأجاب برويز بعصبية واقتضاب : !

ـ لست ادري ، لا اتصور !

ثم اشار الى رفاقه بحركة من حاجبيه ، فاقتربوا منه ، وهمس شيئا في آذانهم ، فقهقهوا جميعا . . . اما انا فلقد تظاهرت بأني لم افهم ما يجري اصلا ؟!

كان وقت ما قد مضى على ساعة اللقاء ، وكان يجب اعلام اختتام العملية لكننا مكثنا في المكان لمدة تتراوح بين ١٥ ـ ٢٠ دقيقة اخرى ، على امل ان يكون قد تأخر لسبب من الاسباب ! لكنه لم يظهر قط ! فسألني برويز عن سبب عدم مجيئه ، وبعد ان تفرست في وجهه قليلا متظاهرا بالذهول ، قلت :

ـ حتما انه اتى ، لكنه لما لم يجدني راودته الشكوك وغادر المكان بسرعة .

لم ينبس احد ببنت شفة ، وشعرت ان فرحا شديدا يسري في اعماقهم سرا بسبب عدم حدوث شيء قد كان ينطوي على خطر كبير علـى حياتهم! طلب الدكتور جوان باللاسلكي ان يتجمع الجميع في ميدان قزوين ، وبعد تعداد الافراد والتاكد من وجود الجميع اتجهنا شمالا نحو (دروازه قزوين) حيث وصلناها في الساعة الواحدة وتوالى وصول السيارات الواحدة بعـد الاخرى ، فترجل البعض منهم وتوجهوا الـى اعمالهم ، وبعد مدة قصيرة من التوقف ، تحركنا شمالا ، وحال وصولنا لفردي على حسيني وسلمت اليه . لم يقترب مني احد وكان هذا مثارا للاستغراب عندي !! سالني حسيني عن زنزانتي ، فاشرت الى الخيمة قائلا بانني لم ادخل الزنزانة بعد ، ساعدني على الوصول الى الخيمة واستفسر مني فيما اذا كنت قد تغديت ، فاجبته بالنفي ، واوتي لي بالطعام بعد مدة ... لكنني لم اكن قادرا على الاكل من شدة الفرح ، لكن هذا الوضع لم يدم طويلا اذ سرعان ما تغلب علي الجو الخانق الكئيب الذي يلف السجن والصمت القاتل الذي يسود جميع ارجائه في مثل هذا الوقت ، دفعت الطعام جانبا ، وغرقت في تفكير عميق ... اقبل نحوي احد الحراس ، كان الرفاق قـد لقبـوه بالعنكبوت ، فالبسني النظارات واقتادني الى غرفة التحقيق . كانت حمى شديدة الوطاة قد راودت رجلي بحيث كان باطنها قد غدا جمرة نار ، الامر الذي ازعجني كثيرا . سالني باقري وعلى وجهه امارات الارهاق الشديد :

ـ تبدو شديد القلق ، ما الخبر ؟ قلت : ـ ان رجلي تؤلمانني بشدة قال : انهض وسر . اقتربت منه وسالته بصوت خافت يبعث على الاسى

ـ هل سيعاودون تعذيبي ؟ قال : اين انت من الضرب بعد ؟ فهم لـم يضربوك بعد شيئا . قلت : لماذا ؟ الم اذكر لهم كل شيء ؟ قال : صحيح ... لكن حتى لا تقدم على مثل هذه الاعمال مرة اخرى ما دمت حيا !! وشرع يتكلم بصوت لا ارادي ، حتى اقترب من سرير كان بالقرب منه وطرح نفسه عليه وسرعان ما غط في نوم عميق ...

اصطدم الفرح الشديد الذي كان قد تملكني جراء نجاح هذه العملية بالشكل الذي خططت له ، بالجو الكئيب الذي يسيطر على جميع مرافق السجن والصمت الثقيل الذي يتحكم في جميع ارجائه وسرت امام عيني كل مظاهر التعذيب وشرعت افكر مرة اخرى باحتمالات التعذيب الجديدة ومجابهة المحققين وساعات التحقيق التي لا تنتهي واسترسلت في الاستسلام

للهواجس بحيث كدت انفجر بالبكاء (١٣) . فلما رجعت الى رشدي شعرت وكان كابوسا ثقيلا من المخاوف والقلق الشديد قد جثا على صدري وانـي على ابواب الاختناق ، فنهضت بسرعة وضربت الحائط براسي بقوة وجذبت من شعري بشدة لكي اخرج من هذا الوضع النفسي . ويبدو ان احدهم سمع صوت اصطدام راسي بالحائط فاقبل علي وهزني من راسي بقوة قائلا : ماذا دهاك ، هل اصبت بالصداع ؟ لماذا تضرب الحائط براسك ؟ فاجبته بصوت خافت والكلمات تختنق في حلقي : لا شيء . ولكي اتخلص منه بسرعة قلت له : نعم ، اني اعاني من صداع شديد ، فولى من حيث اتى .

بقيت على هذه الحال مدة من الوقت لا اتذكر مبلغها ، وفجاة برز طهراني ، وبيده قلم وبعض الاوراق الخاصة بالتحقيق ، فانهضني وقال بلحن يفيض لطفا ورقة ، وهو يتنهد : ـ

ـ حاول ان تمشي ورائي مهما كلف الامر .

تبعته ودخلنا سوية غرفة على اليمين وسحب لي كرسيا واجلسني في الطرف الآخر من المنضدة بينما جلس هو خلفها . ولنتذكر ، ايها القارىء، فهذه الغرفة هي نفسها التي سبق لطهراني ان عذبني فيها بكل وحشية وغلظة ، والآن تمثل في الغرفة ذاتها المشاهد الاخوية التي تنضح لطفـــا ومحبة !! وليس بطلا المسرح سوانا نحن الاثنين : طهراني الجلاد القاسي وانا .. الضحية ...

على اي حال ، وضع الاوراق امامي وناولني القلم ثم قال برقة متظاهرا التاثر الشديد : يا حبيبي ... ، اكتب جميع نشاطاتك منذ البداية ... وعندما رآني غير مقبل على الكتابة ، قال بنفس اللحن الاخوي الحنون !! : ها ... ماذا بك ، اداهمك القلق مرة اخرى ؟ قلت : حقا ، انـي اخجل

---

(١٣) ان هذه الحالات النفسية الصعبة التي تنتاب الانسان نتيجة ظروف الاعتقـــال والتعذيب ، هي من الاخطار المحدقة بالسجين وقد ينجم عن الاستسلام لها اصابة الانسان بالانهيار العصبي والنفسي فيما لو لم يعد الى تنبه والتصدي لها ، فاليأس ، فقدان الامل ، الضعف ، الشعور بالبؤس والنقص والحقارة تعتبر من مصادر حدوثها لذا يجب الامتناع عن التوغل في ما من شانه خلق مثل هذه الحالات حفاظا على صلابة الايمان وقوة الارادة وتعزيزا للمعنويات امام العدو ، كما ان الافراط في اظهار الضعف اثناء التعذيب والاكثار من التأوه والصراخ ، ضعف المقاومة والايحاء للعدو بانك ضعيف للغاية ، الالتماس منه ، واظهار الغباء والجهل حتى وان كان مقصودا ، قد يؤدي بالمرء الى الانزلاق والغرق في الخطة المرسومة بحيث يعطي نفس النتائج التي يرجوها العدو . ذلك لان جميع العوامل هناك تعمل ضد المرء وفي غير صالحه وهو يجابه العدو : المكان ، الاشخاص ، الوضع السائد، وليس اللعب على الحبلين في مثل هذه الحالات المعقدة بتلك السهولة ، لذا لا بد من الاهتمام الشديد بمسألة الاحتفاظ بالوعي والبصيرة النافذة ، والهدوء النفسي والفكري بالرغم من الظروف البالغة الصعوبة التي تحيط بالسجين .

من نفسي لاني اعترفت على رفيقي ! (على فرض ان اعترافي ادى حتما الى القبض على هذا الرفيق واني لذلك اشعر بالاسى له) .

هنا اعتدل في جلسته ، وكانه كان يتمنى حجة للكلام ، قال بلهجة تنم عن الجد : انظر .. يا حبيبي (....) ، دعني اصارحك بشيء ، نحن لا نحسب افرادا في مثل وضعك خونة للوطن ، ولم يسبق ان اتهمنا ايا من امثالك بهذه التهمـة ، نحـن نحسبكم انـاسـا مضحين ومناضلين وتقدميين يعملون مثلنا ! (كما شاهدتنا بأم عينيك) بروح لا تعرف الكلل في سبيل الوطن ، انت تهدف الى خدمة وطنك بصدق دون ان تتوقع جزاء ولا شكورا ، وهكذا نحن !! نعم نحن ايضا ، الم تشاهد بعينيك اية صعوبات ومشاق نتحمل ونحن بعيدون عن الوالدين والاطفال ؟. غير انه هناك مـا يميزنا عن بعضنا ، ويجعلنا نقف قبالة بعضنا البعض كخصمين ، وهـو شيء واحد ، خلاف واحد ، انت مثلا ، على رغم قدسية اهدافك، كنت قد سلكت طريق الضلال ، كنت قد غدوت العوبة بيد اناس لا يفكرون في غير منافعهم الشخصية اناس باعوا انفسهم للاجنبي وعملائه ، وكما ترى فالآن تغير كل شيء ، نحن لسنا عدوين فحسب، بل نستطيع ان نتعارف بروح اخوية ! على آراء بعضنا البعض وطرق تفكيرنا ، ونتعمق في بحث اعقد المسائل السياسية ... فمثلا كنت قد كتبت في مقدمة اوراقك التحقيقية ان لك اما عجوزا واخوين صغيرين لا يملكون سواك راعيا لهم ومعيلا (يلاحظ انتقال طهراني فجأة من موضوع الى موضوع آخر يختلف تماما عن الاول) .. اني اريد ان اعرف ، دعنا عن نفسك ، ما هـو ذنب امك العجوز واخويك الصغيرين الذين لا يملكون راعيا واملا في الدنيا وملاذا غيرك ؟ ولماذا يجب ان يكتوي هؤلاء بلظى نار اشعلتها انت ؟ هل فكر اولئك الذين يتباكون على الشعب ولو مرة واحدة بحال عائلتك ؟ (طوال المـدة التـي كان طهراني مشغولا خلالها بايراد هذه السفاسف ، كنت انا غارقا في التفكير عن نفسي ووجوب المقاومة ونكران الذات وابداء الرجولة ، افكر في المقاومة البطولية التي ابداها رفاقنا الآخرون ، بحيث غدا كل وجودي يغلي حنقـا وغضبا على العدو وتمنيت لو تمكنت من خنق طهراني بيدي ، لكنني مـع كل ذلك احكمت السيطرة على نفسي ولم اظهر اي رد فعل من هذا القبيل تمشيا مع الخط الذي كنت قد رسمته لنفسي) ... واصل هو الكلام : اجل ... يا (....) المحبوب لا بد للذين يعدوننا جلادين ، سفاكين ، كفرة ، مجرمين ، ان يأتوا يوما الى ساحة الحساب مثلك ! ليفهموا باننا ليس في وسعنا ان نجلس على طاولة واحدة نتناول جميع القضايا السياسية

بالبحث فحسب ، بل في وسعنا ان نصبح اصدقاء لبعضنا البعض وسمارا جيدين ايضا !! نحن ايضا ، ملتزمون بالسنن والعقائد الوطنية العريقة في وطننا ! نحن اناس دينون ولكن اعمق الحب والاحترام للامام حسين وتتقطع قلوبنا الما عندما نتذكر المصائب التي لحقت به وببقية الشهداء ! نعم ، هنا توقف الاستاذ طهراني ولم يستطع ان يضيف اية كلمة اخرى الى سلسلة احاديثه ، اذ اختنق صوته وانسابت دمعة حبيسة على خده واجهش بالبكاء !!

حقا ، ليس بالبساطة والهون ، ان يجهش هكذا بالبكاء ، هذا الجلاد الذي سلخ جلد الرفيق الكبير عباس مفتاحي ولم يبق من جسمه الا العظم ، وان يتحول هذا المخلوق الذي كان قبل يومين فقط وحشا لا يقل فظاظة وغلظة عن شمر ذي الجوشن ، الى ناحب على الحسين وآله امامي . لكن من ذا الذي يطيق البقاء صلبا كالصخر امام هذه الصرخات والتأوهات ، ويظل متمسكا بموقفه المبدئي ، فيتحول الى نار حامية تنصب على اجساد هؤلاء العملاء محبي الجاه والمال والفساد ؟ انه ليس غير النصير الفدائي الصادق ، الذي وضع روحه على كفه ، يغلي بالحقد الطبقي المقدس ، النصير الذي غدا كتلة من الحب والوفاء نحو الشعب ، فهو وحده يستطيع ان يقاوم بثبات صنوف التعذيب الوحشي التي يمارسها هؤلاء ، ويخرج من هذا الامتحان العسير عالي الجبين شامخا كالطود ، يبصق في وجوههم الكالحة دون ان يأخذ في اي اعتبار تأوهاتهم وتحسراتهم الكاذبة ودموعهم التمساحية !! .

واذا كان علينا الاقرار بان اعمال ساواك ومخططاته يخضعان ، الى حد بعيد ، لاسس وقواعد وحسابات ثابتة ومعلومة ، فان اقدام طهراني على تمثيل هذا الدور يرجع، هو الآخر ، الى تخطيط خاص . فبعد ان رجع بخفي حنين من شارع خراسان ولم يحصل على شيء سوى التعب والارهاق ، بدات الشكوك تراوده في اعترافاتي ، وهل اني حقا ذكرت (كل الحقائق) — كما توقعوا في اول الامر ؟ — والواقع ، فانه كان عليهم مواصلة التحقيق والتقصي ، فهم لم يحصلوا بعد على راس الخيط في حقيقة موقفي وسوابقي النضالية حتى يكتشفوا البقية الباقية ، ويستندوا عليها للحصول على كل المعلومات التي يبغونها ، لذلك راودتهم تصورات مفادها، انه في حالة التهديد بالتعذيب او بسبب الخوف منه ، قد اصر على اعترافاتي السابقة ولا اعطيهم شيئا جديدا حتى لا يصروا على المزيد ، فلم يقصروا معي في التعذيب (بقدر ما تستحقه القضية) ، والآن لا بد من اللجوء الى

CODE NO.	ORDER NO.	ACQUISITIONS DEPARTMENT COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES 535 West 114th St. New York, N. Y. 10027	L. C. CARD NO.
175	13497 F		

ZARKAR, YUSUF.
MUDHAKKIRAT FIDA'I ASIR. DAMASCUS, N. PUBL., 1974?

LIST # 28

DEALER	
SULAIMAN	

RECOMMENDED BY	LIST PRICE	DATE ORDERED
	$2.50	4/29/75

TITLE NOTED ABOVE HAS BEEN ADDED TO LIBRARY

RIDER COPY

GC LC42 42-7 48-52 53-7 58 PS

وسائل اخرى من اجل الحصول على اكبر قدر من المعلومات ، ومن هذه الوسائل التاثير على عواطف واحساسات الاسير ، ولقد حانت الآن اللحظة الانسب لذلك ، لذا فلقد وضعوا السوط (الذي يخلق كل شيء من لا شيء — كما يسميه الساواكيون) جانبا ، وسلكوا سبيل استدرار العطف والولوج في المكامن العاطفية واثارة الحالات النفسية الخاصة ، لذا فان رويتهم هذه لا تخلو من حكمة ، فهم لا يستطيعون تحقيق رغباتهم واهدافهم ، فيما اذا بداوا التحقيق باستعمال هذه الطريقة دون اللجوء الى التعذيب الجسدي وادخال الرعب والفزع في نفس الاسير ، لذا تبدا العملية بخلق مستلزمات انهيار معنوياته وتهيئة الجو اللازم لذلك (غرفة التعذيب ، المصطبة ، السوط المعلق على الحائط ، الشتائم ، الهرولة بعد الفلقة الشديدة ، وخز باطن القدم بالاشياء المستدقة) ثم تبدا الاساليب الاخرى (التي هي في الواقع عوامل مساعدة وامتداد للعملية الرئيسية وتحتل مكانا ثانويا على الاكثر بالنسبة لها) . والواقع ، فان المرء لا يستطيع بيان مدى زيادة تاثير اي منهما على الآخر بدقة ، ذلك لان كلا الاسلوبين لهما اصولهما الخاصة المتميزة ، ويجري تنفيذهما وفق تخطيط مسبق ، واذا كنا نرى نماذج من الاسرى تخاذلوا بتاثير العامل الثاني ، فيجب ان ندرك بان التعذيب المسبق قد مهد الطريق لذلك ، او نرى اشخاصا يعترفون تحت تاثير التعذيب ، فلا يجب اهمال تاثير الوسائل الاخرى التي رافقت التعذيب وهي ما تطرقنا اليها آنفا .

واذا كانت ساواك تلجا دوما الى وسائل الخداع والمناورات ، فان ذلك يعود الى ان الجلادين خرجوا من المجابهة مع بعض المناضلين السذج والمفتقرين الى الخبرة الجيدة ، باستنتاج مفاده ان بوسع هذه الوسائل ان تكون عاملا ذا تاثير بالغ لصالحهم خلال التحقيق ، وفي الواقع فان الشخص الذي لم يعش الاحداث ولم يشارك الشعب سراءه وضراءه ولم يتصلب عوده في بوتقة النضال ولم يتعلم من الشعب الدروس ، هذا الشخص سرعان ما يقع فريسة هذه المناورات والشراك الخبيثة ، وهنا تحضرني مقولة مشهورة لاحد الرفاق تقول « انه في مثل هذه الظروف الصعبة ، على الفرد الشيوعي ان يكون مثال الانسان الذي يتقد وعيا وذكاء وابداعا ، الانسان الحاذق في جميع انواع الفنون ! » . وترينا التجربة بان كل من اختلط اكثر خلال حياته ، بيوميات طبقات ومراتب المجتمع المختلفة وعايش اوضاعهم ودرس من خلالها جميع خصائصهم ومميزاتهم ، ثم استنتج الدروس القيمة منهم ، بل واشترك بشكل مباشر في وقائع

حياتهم اليومية ، مشاجراتهم ، دعاويهم ، هرجهم ومرجهم ، معاملاتهم في حقول البيع والشراء ، كان اكثر هدوءا وقدرة على التفكير والتوجيه الصائب ، وتصرف بكل صواب وبراعة عند الازمات والتقلبات .

لنرجع الى غرفة التحقيق : بعد هذه المناورات ، وضع امامي ورقة الاستجواب وقلما ، وخاطبني بصوت متهدج غضبا ولهجة تنم عن الخلق الشديد : هاك .. خذ واكتب طبيعة نشاطاتك والاسباب التي دفعتك الى تعاطي هذه الاعمال ، تذكر ان ذكر الجزئيات له اهميته الخاصة بالنسبة لنا ، قال هذا ، وغادر الى الغرفة المجاورة ليشرح لزملائه طريقته الرائعة في التعامل معي !

استغرقت عملية تدوين خلاصة ما كنت قد كتبته لهم سابقا في ورقة اخرى (١٤) ساعة واحدة كان خلالها ، يدخل طهراني وغيره من المحققين عني لعدة مرات ويقفون على راسي او يسحبون الاوراق التي كتبتها من تحت يدي ويدققون النظر في ما دونته فيها ويوجهون الي استفسارات من قبيل : هنا ، لماذا لم تشر الى فلان ...؟ لماذا لم تذكر التفاصيل بدقة ؟، وغيرها سعيا لخلق حالة من الارتياب والتوتر النفسي لدي حتى اتخلى عن فكرة ذكر اي شيء ملفق واقنع نفسي بأن هؤلاء شديدو الذكاء ، ويقراون المخي ، ويحللون المواضيع بدقة ولا يفوتهم اي شيء لذا فمن الاصلح ان اتخلى عن اضفاء الحقائق والتلفيق ، لكنني على العكس تماما من استنتاجات هؤلاء ، كنت اقول لنفسي : ماذا ادراهم بكذب وصدق ما اكتب لهم ، فهم

---

(١٤) ادركت في السجن فيما بعد وخصوصا بعد اجراء المحاكمة ومشاهدة نماذج كثيرة من الاسرى ، بأن التفصيل في البيان اثناء التحقيق سواء أكان ذلك شفاها او تحريرا ، واخيرا الاعتراف على الاشياء والاشخاص الكثيرين ، بخلاف ادعاء العدو لا يتمخض عن اطلاق سراح الشخص فقط بل ان جرمه يزداد طرديا مع ازدياد حجم الاضبارة والقضية ، وكم يشبه وضع مثل هذا الشخص وضع ذلك الذي يقع في مستنقع وكلما جاهد اكثر في سبيل الخلاص كلما زاد نزوله الى الاسفل ، او وضع شخص غرزت ابرة تحت ذقنه وكلما قال (بلى) زاد ولوج الابرة في جسمه ... وهناك مثال يتناقله السجناء وهي « ان الاضبارة ـ اضبارة القضية ـ يجب ان تكون من الخفة في الوزن بحيث يسهل طيرانها مع الريح كلما هب ! كما ان ما يكتبه السجين يجب ان يخضع للدقة الكاملة والتقييم الصحيح كلمة بكلمة مع حفظها على الغيب حتى يسهل تكرارها بسهولة عند اعادة التحقيق وتجنب التناقض في الاقوال . فمثلا عندما كنت اذكر انا المواعيد المصطنعة ، كان عضدي يكتب اوقات واماكن هذه المواعيد بدقة ، ذكرت ثلاثة مواعيد بأوقاتها ، لكنني عندما كررتها مع نفسي وجدت فجأة بأني قد نسيت الاول ، لكن حادثا عرضيا ساعدني وهو المناداة على عضدي وخروجه بدون ان يأخذ الاوراق معه ، فالتقطت الورقة التي كتب فيها المواعيد وقرأت الساعات التي ذكرتها وحفظتها عن ظهرت قلب ، ولو فرضنا اني نسيتها ، لكان ذلك من شأنه افساد الخطة بأجمعها واستئناف التحقيق والتعذيب من جديد (ان ذكر المسائل والمواعيد الواقعية القديمة تساعدنا الى حد بعيد في عدم نسيان المواعيد المصطنعة) .

لا يعلمون بالعيب ! ولقد تعمقت في التلفيق معهم بحيث غدت التلفيقات والمواعيد المصطنعة تتحول رويدا رويدا الى حقائق عندي بالذات !

بعد انتهاء الاستجواب ، سلمت الاوراق الى اول مامور مر من امامي، وبت انتظر ، وبعد مدة قدم احدهم وامرني بأن اتبعه فقادني الى خيمة من الخيام المنصوبة في فناء السجن ، ولم يمض دقائق ، حتى اتوا واخذوا رفيقا آخر كان في الخيمة التي كنت انا فيها ، كانت الخيم باكملها تعج بالسجناء ، واخذ ضجيج السجناء ومجيء الحراس ورواحهم ، يكسر رويدا رويدا جدار الصمت الذي يلف كافة ارجاء السجن ، ولم يمض وقت طويل حتى قدموا الي ثانية وامروني بان اتبعهم ، ففعلت وانا اعرج وسار بي الدليل باتجاه القسم الثاني حيث مبنى الزنزانات ... وثمة شخص كنت قد صادفته ذات مرة في احدى المعامل بلباس العمال ، وحصل هناك بيننا نوع من التعارف ، كان منهمكا الان ، وهو في لباس حراس السجن ، بتفتيش امتعة السجناء وحاجياتهم الواحد بعد الآخر ، ولما وصلني الدور ، تفرس في وجهي قليلا ثم خاطبني بلهجة تنم عن الاستغراب الشديد :

ـ هه ... وماذا تعمل انت هنا ؟ انت الذي كنت تعمل لدى الاسطة عباس ، قلت : الانسان معرض لكل شيء ، ...

توقف برهة ، لكنه سرعان ما استعاد استمراريته على عمله ، وكأنه انتبه فجاة الى الخطأ الذي ارتكبه بتحدثه مع احد السجناء وهو امر محظور في السجن . وشرع يحل ربطات الاحذية ، ويفتش جيوب السراويل وثناياها، وطيات الياخات، وبطون الجوارب والاحذية ويتسلم الاشياء الفلزية كالنقود والدكم (الازرار) ، ويسجل اسماءنا في السجل الخاص ويقسمنا الى مجموعات حسب الشواغر الموجودة في الزنزانات . ارسلني انا الى الزنزانة رقم (١) التي هي احدى الزنزانات القديمة في (اوين) اذ لم تكن الزنزانات الحديثة قد بنيت بعد . كان ثلاثة من السجناء يسكنون هذه الزنزانة ، ولقد كان استقبالهم لي مزيجا من الفرح الطاغي والخيبة، ومصدر الفرح هو انني سجين جديد بموجب قضية جديدة ، كما وساصبح زميلا جديدا لهم وفي كل جديد ، لذة ، ومن جهة اخرى ، ساءهم ان يروني مثلهم اسيرا في زاوية من زوايا الزنزانة ...

اما انا فلقد سرني كثيرا نقلي الى الزنزانة ، حيث هؤلاء الرفاق وما ينطوي وجود هؤلاء على تخليصي من حالة الوحدة والانعزال على الاقل . هنا يمكن التحدث مع الآخرين ، التمشي ، التباحث، وقضاء الوقت بقلق

اقل .. كان المكان بالغ الضيق ولا يتسع لاربعة اشخاص ، لذلك اضطررنا الى فرش الاغطية حتى الباب وعند التمشي ، كان يجب علينا التمشي مثنى ، لم يكن في وسعي السير الا بعد يومين من شدة الالم ، لذلك كنت اجلس في احدى زوايا الزنزانة واستمتع برؤية الرفاق الثلاثة الآخرين وهم يزرعون الغرفة جيئة وذهابا ... كنا نعرف الوقت ، بحركة الشمس ، فمثلا كان الرفاق قد وضعوا عدة اشارات على الحائط تدل كل واحدة منها على ساعة معينة من النهار . هذا بالرغم من ان اشعة الشمس لم تكن تقع سوى على القسم العلوي من احدى حيطان الغرفة فقط . كان صمت طاغ يسود كل ارجاء السجن ولم يكن يسمح للسجناء بالكلام مع بعضهم ، لذا كنا نتكلم مع بعضنا همسا او بالاشارات ... اما الخروج من الغرفة لقضاء حاجة ما ، فلقد كان مليئا بالتعقيد ، يجب نقر الباب اولا ، ثم اعطاء رقم الغرفة الى الحارس ، لكنهم منعوا اخيرا حتى ذكر رقم الغرفة لئلا يدرك الرفاق اماكن بعضهم البعض . عند حلول ساعة توزيع الطعام ، كانت العادة الجارية هي ان يدس الحارس براسه من البوابة الصغيرة الى الداخل ويحسب عدد نزلاء الزنزانة ، ثم يذهب غالقا هذا الباب الحديدي بقوة ليكرر نفس العملية مع الرفاق الآخرين في الزنزانات الاخرى ... في الايام القليلة الاولى كان يسمح لنا بالخروج يوميا لاثنتين او ثلاث من المرات قبل الغداء او بعده لقضاء حاجة ما وكنا في بعض الاحيان نصطدم بعناد الحارس او تضجره ، عند الرغبة في الاتصال بالآخرين والتحدث معهم ، كنا نستطيع الخروج في غير الاوقات المحددة لخروجنا ، بحجة الذهاب الى المرافق والتحدث مع الافراد الموجودين هناك ، لكن المسؤولين انتبهوا اخيرا الى ذلك ، وتقرر عدم السماح لاي شخص بالذهاب الى المرافق ما دام هناك شخص آخر ، لم يكن في الغرف اي اثر للمواد الخشبية والمعدنية والصلبة على العموم ، ولم نكن نعرف الوان الصحون الا اثناء تناول الطعام فيها ، اما الملاعق فلا وجود لها مطلقا ، وكانت محتويات الزنزانة عبارة عن عدد من الوسائد والبطانيات وقطع من الملابس تتخذ كمخدات من قبلنا لعدم وجود المخدات اصلا وفتات من الخبز ، وكانوا قد سلبوا من احد الرفاق نظاراته الطبية بالرغم من حاجته الشديدة اليها . ولا بد ان اقر ان الطعام الذي كان يقدم الينا هو من نفس الطعام المقدم الى الحراس والجنود مع فارق واحد هو ان الجنود كانوا ينهبون ما فيه من اللحم قبل تقديمه الينا ولما كان الجنود هم الذين يقسمون الطعام ، فان ما كان يقدم الينا عبارة عن ما تبقى من بين ايديهم ليس الا ، وحتى هذه البقايا لم تكن تكفي لاشباع

بطن عصفور صغير ... في الايام الاوائـل ، كنـا نتناول الخبز المصنوع بالمكائن (الصحون) الحاوي على كمية كبيرة من الخميرة ، ثـم وجدنا ان من الافضل ان نترك اكل الخميرة ، اذ انها تسبب لنا سوءا في الهضم ونصاب بآلام البطن والحموضـة والقبوخية ، لقلة الحركة وعدم وجود الاغذية المقوية والحاوية على الفيتامينات والتوتر النفسي الناشيء عن ظروف السجـن القاسية والتعرض الى التعذيب والاستنطاق ... والواقع ، فاننا كنا نفكر في بعض الاحيان بأن الامتناع عن تناول الخميرة مع الخبز هو الآخر تصرف برجوازي صغير !

لم تنم الليلة الاولى التي حللت فيها انا ضيفا على الرفاق الثلاثة الا في ساعة متاخرة قضينا جل الوقت نتحدث ونتناقش ، وكانت هذه ليلتي الاولى التي اقضيها في زنزانة .

اليوم الرابع (١٣ شهريور — سبتمبر)

اليوم ، يجب الذهاب معهم الى اللقاء الثاني مع الرفيق كريم (حسبما خططت له انا) ، انتابني توتر عصبي شديد ، وقلق بالغ يزداد شدة باقترابنا من الظهر ، وكان قلبي يخفق مع كل صوت ياتي من الخارج . ومع كل نقرة على الباب كنت اتوقع ان يدس احدهم راسه الى الداخل ويدعوني الى الخارج ... واخيرا حدث ما كنت اخشاه ، فلقد فتح باب زنزانتنا ، ودخل منها حارس طويل القامة ، ضعيف البنية ، يدعى احمد وسال عني ، فاجبته باني انا من يقصده ، فطلب الي التهيؤ بكل سرعة ومرافقته الـى الخارج ، ساعدني زملائي على النهوض بينما مسكني هو من ابطي واعانني على السير خارجا وقفل الباب خلفه ، مشينا قليلا ونزلنا من السلالم المؤدية الى الاسفل ولم يكن قد حمل معه شيئا يعصب بها عيني لذا قال انكس راسك وانظر امـام قدميك فقط ، اتجهنـا جنوبا ، مررنا بالباب الحديدي ودخلنا القسم الاول من البناية ، وشاهدت مجموعة من السيارات واقفة وراء بعضها ومحركاتها تشتغل وهي على اهبة الاستعداد للتحرك حالا ، وحالما ادركني المأمورون تقدموا نحوي واقتادوني الى داخل احدى السيارات ، فتحركت بنا . سالني خسرو ونحن في داخل السيارة عن قيافة الشخص المنتظر ؟ هل انه بدين ورهيب ؟ هل يحمل سلاحا ام لا ؟ هل انه بارع ومتمرس ؟ واعاد تكرار السؤال الاخير لعدة مرات بينمـا كان زملاؤه يصغون الى اسئلته بانتباه ، ولقد اعدت على مسمعه المشخصات التي كنت

قد ذكرتها عنه سابقا ، واكدت على براعته وتمرسه الفائقين . كان هناك بينهم عدد من الوجوه الجديدة ، بينما تخلف الدكتور جوان هذه المرة في القاعدة ! منهمكا في اعمال مشابهة اخرى طبعا ، اما هذه العملية فيقودها المدعو خسرو خان ، الذي ذكرت اسمه في مكان آخر ، رجل في الخامسة والثلاثين من العمر ، طويل القامة رفيع القد ، اسود الشعر لماعه .

وصلنا المكان الموعود ، وهو موقع يقع في شارع خراسان ، وخلافا لما جرى في المرة السابقة ، فانهم لم يتجمعوا في مكان واحد ليجري فيه توزيع الادوار والواجبات ، بل ان التعليمات صدرت اليهم من داخل السيارة وبلغت الى الافراد الجدد المشتركين في العملية عن طريق اللاسلكي . اما الباقون فكانوا يعلمون جيدا ما عليهم ان يعملوا ، وقد خبروا العمل الذي نحن بصدده من التجربة السابقة . عند حاول الساعة المعينة للقاء انزلت بالقرب من المكان المعين حتى اتجه اليه ، ويبدو ان عدم استطاعتي على السير لم يكن ذا اهمية بالنسبة لهم اذ ان الضرورة تقضي ان اصل الى المكان الموعود سيرا على قدمي مهما كلف ذلك من صعوبة لي . بدات السير من بداية شارع خراسان يمينا وبمحاذاة ساقية الماء واتجهت شمالا ، وتسير خلفي المفرزة التي ترافقني على الشكل التالي : احدى السيارات تتحرك امامي وعلى بعد خمسين مترا مني ، وسيارة على نفس المسافة مني من الخلف ، وكانت هناك عدة سيارات اخرى اوقفت في نقاط مختلفة من المنطقة ، وثمة شخصان يتحركان بنفس اتجاهي احدهما على بعد خمسة عشر مترا امامي والثاني على بعد نفس المسافة خلفي ، وكان هذا الترتيب ملفتا للنظر جدا خصوصا اذا نظر اليه من الجهة المقابلة من الشارع ... اما خسرو خان نفسه فكان جالسا داخل سيارة (آريا) زرقاء اللون يراقب المنطقة بدقة وتركيز . لم اصل برج شاه بسفد الا بعد ما يقارب العشرين دقيقة ، تقدم خسرو بسيارته نحوي وقرات من وجهه المتجهم كم كان حانقا علي ، وقبل ان يقول شيئا سبقته قائلا : ـ حسنا ، ماذا علي ان افعل الآن ؟ حملق في وجهي قليلا ثم قال : يا اخا العاهرة ، ... نويت ان اقول شيئا ، فقاطعني صارخا : اخرس يا ابن العاهرة ، اعبر الى الطرف الآخر من الشارع، وتوجه من هناك نحو الغرب، افهمت يا ابن العاهرة ؟

عبرت الى الطرف المقابل من الشارع ومن هناك سرت نحو الغرب كما امرني ، وعادة ما يكون القسم الشمالي من شارع خراسان ، اي ما يقع منه شمال الميدان ، اقل ازدحاما من اقسامه الاخرى ، اما القسم الواقع شمال مسكراباد فانه عديم الازدحام ، بل يخلو من المارة تقريبا في كثير من

الاحيان وبالامكان مشاهدة جميع الاماكن المحيطة بالمنطقة بوضوح ، وهذا مما يوفر امكانية جيدة للفرار . ولقد سنحت لي مثلا فرصة جيدة لذلك عندما كنت اسير في القسم الشمالي من الشارع وخصوصا عند الباب الثاني من مقبرة مسكر اباد فيما لو كانت قدماي سالمتين اذ حينئذ لم يكن اسهل من القفز الى داخل المقبرة واغلاق الباب خلفي ثم التواري عن الانظار .

وهكذا واصلت السير الى ان اقتربت من ميدان خراسان ، وعند ذاك ناداني خسرو خان ملوحا بيديه بانفعال ان اذهب اليه فورا ومن فمه تنهال الشتائم ، كانت قيافته تدل على الغضب الشديد ، صعدت الى السيارة وسلكنا الدرب عائدين .

كم هو مفرح حقا ان ترى العدو يجر وراءه اذيال الخيبة والخذلان ، ان تستنفر ٢٤ ـ ٢٥ من مغاوير السافاك للقبض على شخص واحد ويمضوا ساعتين كاملتين من الوقت في حالة هلع وارتباك وخوف شديد وتوتر نفسي قاتل دون ان يحصلوا على نتيجة ايجابية ، ثم يرجعوا ، في خاتمة المطاف، بخفي حنين ومن حيث اتوا ! كنت انا ، في هذه المرة ، من يرقص قلبه طربا، نعم لقد نسيت نفسي تماما من فرط الابتهاج والشعور بالانتصار . . . هكذا كنت انا ، اما افراد العدو فكان على رؤوسهم الطير ، وتغطي وجوههم سحابة داكنة من الحزن المشوب بالغضب ، كنت اخاطبهم في نفسي : لماذا لا تقفزون الان من اماكنكم طربا وجذلا ، كما فعلتم عندما قبضتم علي ! لماذا لا تصرخون هذه المرة ان « اسرنا نصيرا » ؟ ، لماذا لا ترتفع قهقهاتكم عاليا هذه المرة ايها الجبناء الذين لم تعرفوا للراحة حتى ولا لدقيقة منذ ان وطات اقدامكم المكان الذي تسمونه « منطقة العمليات » خوفا من مجابهة احتمالية مع احد الانصار ؟

يا رفاقي ! اليكم اوجه كلامي ، انتم لا تدرون كم هو مفرح وعظيم ان ترى هؤلاء الخونة في حالات التخاذل هذه ! . . .

سارت بنا السيارة ، ولم يكن احدهم ينطق حرفا واحدا ، ولما وصلنا احدى الساحات ترجل خسرو خان من سيارتنا ودخل سيارة اخرى، وجلس شخص آخر وراء المقود ، وحال مغادرة « قائد العملية » لسيارتنا ، انفتحت اسارير المامورين وطار من وجوههم العبوس وبداوا يبادلون بعضهم البعض الحديث ويضحكون ، فاستنتجت من ذلك ، ان كل تلك المظاهر المهمومة لم تكن سوى نوع من التمثيل مجاملة ! لقائد العملية الفاشل ، ليعبروا بذلك له عن مشاركتهم اياه في شعوره بالخيبة نتيجة الاخفاق في

« العملية » ، واني على يقين ، بأن كل واحد منهم يتمنى من الاعماق ان ينتهي كل شيء بسلام دون ان يروا الشخص المطلوب مطلقا !. فتح احدهم باب الحديث معي وسالني بكل جدية : قل لي اي منصب كانوا قد وعدوك به فيما اذا استلموا السلطة ، فانت لا تحمل شهادة الاعدادية ولست طبيبا ولا مهندسا ، وقال آخر ساخرا : حتما كانوا ينوون ان يعينوه بوابا لسفارة الصين في اوستراليا ، واردف آخر بلهجة تفيض حنانا ! : الم تشعر بالحيف لشبابك فأوصلت نفسك الى هذا المصير التعس ، قل لي ما فائدة هذه الاعمال ؟ ، هل يمكن مجابهة كل هذه القوات الهائلة من الشرطة والجيش التي تحرس الدولة بيقظة ، وقهرها ؟، وقال آخر منهم : كان بوسعك ان تصبح مهربا ، فهناك هذا العدد الهائل من المهربين الذين يعملون بنشاط في هذا البلد ، ويفوق بعضهم رئيس الوزراء ابهة وترفا ، وانبرى رابع قائلا : لا يا سيدي ، ان حياة المهرب في خطر دوما ، فهو ان قبض عليه فان مصيره الموت رميا بالرصاص . فاجابه الثاني : كفاك هذيانا ، اليس من الافضل له ان يصبح مهربا محترفا فيجمع مبلغا محترما من المال خلال صفقتين او اكثر ، ثم يترك العمل ليعيش حياة هانئة وسعيدة ؟ اما ثالثهم فقال : كلا من الافضل له ان يسير على دربه مطرق الراس كالناس الآخرين ولا يتدخل فيما لا يعنيه ، ثم التفت نحوي قائلا :

ــ يا بني ، الم تكن تعمل في السكك ؟

ــ نعم .

ــ كانوا يعطونك اجرا شهريا يبلغ ۲۰۰ ــ ۳۰۰ تومان ، اليس كذلك ؟

ــ نعم ، في هذه الحدود .

ــ حسنا ، ما الذي كنت تبغيه ؟ انا شخصيا اعرف اناسا يعيشون في هذا البلد لا يحصلون على غير الخبز والماء ولا يحركون ساكنا ، وهم يعرفون انه ليس من حقهم التدخل فيما لا يعنيهم، هكذا جرت الامور منذ الازل ...

كنا قد وصلنا محل مرطبات اكبر مشدي ، وبناء على اقتراح احدهم اوقفت السيارة ، واشتروا بعض الدوندرمة ، ثم واصلنا السير ، ولدى وصولنا مشارف سجن قزل قلعة احنوا راسي دفعا الى الاسفل حتى لا ارى ما حولي ، ولما وصلنا السجن ، ترجلنا من السيارة واقتادني احدهم الى مكتب ساقي (احد مسؤولي السجن) واوقفوني مدة من الزمن في الممر الواقع امام غرفته بينما دلفوا هم داخلا ... ولقد سمعت اصوات السياط وهي تتوالى على شخص في الغرفة المجاورة وهو يطلق صرخة مع كل ضربة سوط . خرج احد المامورين من غرفة ساقي دخل غرفة اخرى ، فتح

بابها جيدا لكي ارى جيدا المسطبة الخالية ، الحبل، السوط ، وغيرها من وسائل التعذيب الموجودة فيها ، التفت يسارا ، فرايت الشخص الذي كان مع المفرزة في العملية الاولى وهو يحمل رشاشة ملفوفا بقطعة قماش واقفا بجانبي . خرج خسرو خان فجاة من الغرفة وتوجه الي قائلا :

ـ يا ابن العاهرة ، يا اخ العاهرة ، اهكذا تسخر بنا ؟ وصفعني على وجهي بقوة ، فتظاهرت بالتاثر الشديد بالظلم واطرقت راسي ... وهجم علي فجاة جميع رجال الساواك الموجودين هناك وتوالت الصفعات والركلات واللكمات على وجهي وظهري وجميع اجزاء جسمي ، بينما تنطق افواههم باقذع السباب والشتائم : اذن هكذا ؟ ها ؟ اذن اتى زميلك المجرم الى الموعد لكنك غافلتنا ولم ترنا اياه ، لماذا ؟ تراه وتطرق براسك الى الاسفل ايها الكلب اللعين ؟ وهكذا ذرعت واياهم المر عدة مرات مساقا بركلاتهم وصفعاتهم ولكماتهم ، يا الهي ماذا دهاهم . هل جن جنونهم ؟ لكنني مع كل ذلك كنت اشعر بالقوة والايمان يغمران قلبي ، وتوحي لي هذه الضربات الشديدة بانهم لم يعودوا يشكون فيما قلته لهم واني حقا قد هديتهم الى المكان المقرر للقاء بيني وبين رفيقي ، لذلك اتتني فكرة ما ، وهي الاصرار على اني مظلوم وانه لا مدعاة لكل هذه المعاملة القاسية ما دمت قد اعترفت بكل شيء لهم ، فقلت بصوت عال مختنق (مجهشا بالبكاء) : ـ

ـ من الذي رايته ولم ادلكم عليه ؟ هل كان من الممكن النفاق على احد كذبا ؟ فلقد تفرست في جميع الوجوه ودققت النظر في جميع الدراجات البخارية لكن احدا منهم لم يكن بكريم ، فما ذنبي انا ؟ .

صفعني احد المامورين بقوة على وجهي وهو يصرخ :

ـ اقطع لسانك ، اخرس ، يا ابن الكلب ، اذا كيف وعدك بالمجيء ولم يات ؟ ايعقل ذلك ، ثم شرع يهددني بمختلف انواع التعذيب ، وكرر على مسمعي عدة مرات : تريث ، فوالله لادخلن اغاظ عصا في دبرك . ثم تركني لوحدي وولى ، ولما انتهت هذه المراسيم! ، تقدم نحوي احدهم ، من غير المشتركين في هذا الهجوم الغادر علي، ولما رآني في اضطراب وحزن شديدين، اراد ان ياخذ من خاطري ! فقال : قل لي بالله عليك احقا رايته ولم تدل رجالنا عليه ؟ وسواء لم يات المذكور او اتى دون ان تراه انت ، فالامر لم يعد متعلقا بك ، وان طلبوا اليك تعليل عدم مجيئه ، فلا تخف ووضح لهم كل شيء ! وزاد اقوال هذا الساواكي الساذج من اطمئناني حيث تاكد لدي بشكل قاطع بان لا شكوك تساورهم بعد حول صحة اقوالي ، فارتاح فؤادي، وطلبت منه ان يلتمس من زملائه للاقلاع عن مواصلة تعذيبي وان يبين لهم

بانه لا مبرر في ان اكذب عليهم بعد ان كشفت لهم كل الحقائق ومنها مسالة الموعد .

على اي حال فشلت هذه العملية ايضا في ادخال الرعب والهلع الى قلبي ، وبقيت واقفا في مكاني بلا حراك لمدة اخرى من الزمن ، ولم يزل باب الغرفة المقابلة مفتوحا ، وكان عدد من الجنود الاقوياء البنية العابسين يراقبونني وهم يعانقون رشاشاتهم ، ومع انهم كانوا يحاولون اظهار عدم الاكتراث بهذه المشاهد ، لكنني استنتجت من حركاتهم وسحناتهم بانهم يكنون نوعا من الشعور تجاهي وانهم ينظرون الى تصرفاتي ووضعي بنوع من الفضول وكنت اقرا من وجوههم بأن مواقفهم تتفاوت بين حكم لصالحي وحكم ضدي من خلال سلوك الساواكيين معي ...

ان الجندي الذي يساق الى الخدمة كارها وعن عدم رضا منه ، وتتسبب خدمة سنتين في الجيش في تشريد عائلته ، او على الاقل ، تخلفه بالذات في مضمار الكسب وضمان معيشة عائلته ، وقضاء حياة الجندية القاسية تحت سيطرة حفنة من ذوي الرتب والامراء والمراتب الثرثارين الذين يتعاملون معه بالسباب والقسوة واعمال السخرة ، ان هذا الجندي، لا يمكن ان يكن اي حب او احترام نحو السلطة واجهزتها ، وان يكن قد سكت عن الحق ، فان الهلع من بطش السلطة والرعب من القوة الغاشمة لاجهزتها هما اللذان قد اخرساه ، ومن خلال هذا التحليل نتوصل الى السبب الكامن وراء تاثر الحراس والجنود بسلوك السجناء وتصرفاتهم ، فمثلا عندما يعكف هذا الجندي بامور الحراسة في سجن سياسي مثل سجن قزل قلعة فانه بالرغم من قصر مدة مهمته هناك ، وحملات الدعاية القوية التي تشنها اجهزة السلطة ضد المناضلين السجناء ، وتعريفهم بانهم لصوص وقتلة وجناة تعاقبهم العدالة وبالرغم من اعمال غسل الدماغ المستمرة والتربية العسكرية الفاشستية وتلقين الجندي بان لا يفكر في غير واجبه العسكري ، يظل متسائلا ما هو السبب الحقيقي وراء اعتقال هؤلاء الشبان ، وكثيرا ما يعبر هؤلاء عن فضولهم وتنهال اسئلتهم على السجناء عند النقل من والى السجن او شراء الحاجيات لهم او غير ذلك عن السبب الكامن وراء تحملهم كل هذا العذاب ، كما ان وقائع حياته المادية ومئات الصور التي يشاهدها يوميا والتي لا تعكس غير فساد النظام وطغيانه ، تدفعه الى ان يشعر بالعطف نحو هؤلاء الشبان الطيبين ، وعندما يرى بأم عينيه كيف ان هؤلاء يرفعون لواء التحدي والكفاح ضد السلطة ولا ترعبهم جميع اساليبه واجهزته الفاشستية ، فانه لا يملك سوى ان يشعر بالتقرب

اليهم وتفند لديه جميع ادعاءات السلطة عن كون هؤلاء قتلة ولصوصا ... اجل انه لا يشعر بغير الفخر عندما يرى هؤلاء الناس الذين تقيد ايديهم وارجلهم السلاسل ، يسخرون امام ناظريه من مأموري الساواك ومراتب الجيش وجميع الرؤساء المنفورين في السجن ويحقرونهم . وهكذا فان مبدا مواصلة النضال في ظروف السجن والاسر ، وكسب الانصار والمؤيدين للحركة الوطنية يقتضي عدم سلوك ما ينطوي على الضعف والتخاذل امام العدو حتى يصبح المناضل الاسير قدوة في التحدي والمقاومة لدى جميع ابناء الشعب ، اقول ذلك ، وانا رايت بأم عيني كيف كان الجنود ينظرون الي بحقد وشزر وانا واقف بذل في ممر من ممرات سجن قزل قلعة . فلم يكونوا يدرون بأني انما انفذ مخططا مرسوما ليس الا . لقد كانت نظراتهم القاسية كالسهام تخترق قلبي ، وانا لا استطيع ان اقول شيئا ينيرهم ، لقد كانوا يتصورون باني قد خنت رفاقي وتخاذلت امام العدو !

غادرنا سجن قزل قلعة وتوجهنا نحو معتقل « اوين » ، وعندما وصلنا الاخير وترجلنا من السيارة التي اقلتنا سلمت الى احد العرفاء وامر بأن يقتادني الى زنزانتي السابقة ، ويظهر بان الكيفية قد ابلغت من قزل قلعة الى مسؤولي المعتقل لذا لم تبق ثمة حاجة لاعادة التحقيق معي مرة ثانية .

كان الرفاق ينتظرونني بفارغ الصبر ، وعند دخولي ظلوا ينظرون الي دون ان يسألوني شيئا وبقيت ابصارهم شاخصة الي للحظات تستفسر « انني اسد ام ثعلب ؟ » ، لم اقل شيئا لكني محياي كان يدل على انـي اسد فلم اتمالك نفسي من هذا الصمت العجيب الذي يلف الزنزانة وقهقهت عاليا ، وتعالت ضحكاتهم وامتزجت ببعضها بشكل لاشعوري وتعانقنـا ورقصنا بشكل عفوي لدقائق ... ويبدو ان كل هذه الضحكات والرقصات لم تعط الجواب الشافي لتساؤلات الرفاق ، فانبرى احدهم قائلا : يكفينا رقصا وضحكا ، قل لنا ايها الرفيق العزيز بصريح العبارة ماذا جرى لك ، وماذا عملت ، وماذا كانت النتيجة ؟ قلت مبتسما : لا شيء ... هـزم الفريـم .

ويبدو ان احد الرفاق ، وهو شخص لم يتمرس بعد في النضال السري ولم يخبر بعد مسالكه ودروبه واساليبه ، يبدو انه لم يستطع اقناع نفسه بهذه العبارة ولم يتأكد حقيقة الامر وفيما اذا تسببت في الايقاع بناس آخرين في براثن العدو ، فظل يطلب مني توضيحا اكثر ... فطمأنتـه بطريقة ما ، ومع اني اعتبر الآن ذلك العمل ، اي البوح للغير بما عملته وانا لا اعلم بحقيقتهم وارتباطاتهم ، نوعا من السذاجة والتسيب ، فاني شرعت

بعد ذلك بالتكلم بصراحة لغير الساواكيين الرسميين ، خصوصا بعد ان نجحت الخطة التي اشير اليها آنفا وطمئنت الى عدم وجود خطر يهددني من قبل الساواكيين ينطوي على الالحاح علي للحصول على المزيد من المعلومات ، ولقد ارتكبت في هذا المضمار خطأ عدم التقيد بأصول العمل السري ـ اخطاء جسيمة ومحفوفة بالخطر بسبب الافراط في التفاؤل ، وكان من شأن هذه الاخطاء ان تكلفني الكثير في حالة وجود اناس ضعاف النفس (الذين يفتحون قلوبهم للساواكيين تحت تأثير شتى الاساليب المستعملة من قبلهم) ، فمثلا تولدت لدي ثقة مبكرة لا مبرر لها بنزلاء الزنزانة التي كنت فيها ، وكنت كثيرا ما ادلي لهم بمعلومات عن اتجاهي وكيفية تفكيري ، عند تناول القضايا العامة موغلا بذلك في السذاجة والمخاطرة ، اذ كان من المحتمل ان تنتقل هذه الكلمات بطريقة او باخرى الى الساواك ، لذلك فان بعض المعلومات التي ادليت بها الى احد الزملاء ، وهو شخص نشط مفعم بالحيوية ، دائم التحرك ، حول الاحتيال على الساواكيين وتضليلهم ، غدا فيما بعد ، مبعث قلق لي خصوصا بعد ان نضج ادراكي السياسي ووعيت القضايا بوضوح اكثر ، اذ كنت اخشى ان هذا الشخص قد تحدث عن الموضوع عن حسن نية وبسبب قلة التجربة ، واخلاصه للقضية بحيث جعلها اطراء لي وهو يتحدث عن رفيق ثوري يشاركه الزنزانة !! وان يكون هذا الحديث قد وصل الى آذان الساواكيين بوسيلة ما ، ان هذا التصرف اللامسؤول نجم ، بطبيعة الحال ، عن قلة الخبرة والممارسة الثورية وضعف الوعي والضبط التنظيمي لدي .

على المناضل ان يصون في كل الظروف ، مهما تعقدت هذه الظروف، التزاماته التنظيمية وان يعمل بجد وفق المبادىء والاسس الثورية المكتسبة خلال التجربة العملية والمدفوع ثمنها بالدم ، عليه ان يعمل بشعور عال بالمسؤولية وان لا يسمح لاي خرق للمبادىء التنظيمية وما دمنا تحت رحمة العدو ، ولم يتقرر مصيرنا بعد ، فانه يجب ان نصون الاسرار والمعلومات بنفس الدقة التي عماناها مع الساواكيين ، حتى وان كان الطرف المقابل هم رفاقنا في السجن .

وبطبيعة الحال يجب ان اقر ، بان الرفاق المتمرسين جيدا في النضال الذين تحول العمل المنظم والانضباط النضالي الى جزء من وجودهم ، كانوا يتصرفون بصواب في هذه المجالات ولا تغيب عنهم اليقظة الدائمة عند التعامل والاختلاط مع السجناء ، فعلى سبيل المثال يقال ان الرفيق مسعود احمد زاده ، لم يكن يتطرق عند التحدث مع مشاركيه في الزنزانة ، الا عن القضايا

العمومية للنضال وفي نطاق ضيق جدا ، ذلك لانه ما توضح بعد مصيره ومسار قضيته ، ولا اكتسب بعد معرفة جيدة بمن حواليه . اما احد رفاق فرع تبريز فبقي مدة طويلة بعد اعتقاله معروفا كاي شخص اعتيادي واخفى حقيقة ارتباطاته وافكاره الى مدة غير قصيرة ، اي الى ان تقرر مصيره وحكم عليه وانكشف امره لدى السجناء والساواكيين على السواء ، ولقد تحمل جزاء سلوكه هذا الذي ينطوي على شعور بالمسؤولية ، تحمل كثيرا من العذاب لكنه لم يتخل عنه بحيث الساواكيين وجميع السجناء على السواء كانوا قد صدقوا بأنه ليس غير شخص اعتيادي ! وارى من واجبي ، لكل ذلك ، ان اؤكد على وجوب التعرف مع السجناء الآخرين بحذر شديد ويقظة عالية ، ذلك لانه ، على حد قول احد الرفاق ؛ هؤلاء السجناء ليسوا جميعا من رفاقنا وانصارنا بل وهناك احتمال كبير ان يكون بينهم من تواطأ مع العدو وباع نفسه له ، ففدا عينا للعدو بيننا يترصد حركاتنا ويراقب اتصالاتنا وينصت الى اقوالنا ثم ينقلها جملة وتفصيلا اليه ، كما وهناك اناس لا دخل لهم في السياسة وقد اعتقلوا على اساس الظنون والشبهات فقط ، وكثيرا ما يتحول هؤلاء الى عيون للعدو وآلات بيديه ، وبنفس الطريقة التي يغدو بها التظلم للعدو والثرثرة مصدرا للمتاعب ، فان الاطمئنان الى كل شخص وفتح ثنايا القلب له ، في وقت لم يتقرر مصيرنا بعد ، قد يكون هو الآخر مصدر خطر جسيم لنا ، وكما تعلمنا التجارب السابقة فان المعلومات التي قد ندلي بها لاي شخص في ظروف واحوال معينة يجب الا تخرج عن حدود المعلومات الموجودة في الاضبارة لا اكثر مطلقا ! ان الرفاق الذين مارسوا النضال طويلا وعرفوا ظروف السجن كثيرا ، غالبا ما جوبهوا ، وهم يؤكدون على هذه التوجيهات ، بسؤال مفاده : حسنا متى وكيف يجري انتقال التجارب ؟ فكانوا يجيبون :

ـ ان انتقال التجارب ، يجري بعد انجلاء مصير القضية حيث يصبح السجين حرا في ان ينقل خلاصة خبرته النضالية الى الغير .

× × ×

لنرجع الآن الى اصل الموضوع ، ولنر كيف تطورت القضية ؟ كنت قد اصطنعت موعدا ثانيا وابلغت رجال الساواك بانه في حالة عدم مجيء كريم في الموعد الثاني لسبب من الاسباب ، فان علي ان ارسم بالطباشير الازرق خلال المدة الممتدة بين صباح وظهر اليوم التالي للموعد الثاني علامة لا نهاية ∞ على اطار القسم الغربي من باب (امام زادة معصوم) ،

وسنلتقي في الساعة الخامسة من مساء اليوم التالي ليوم وضع العلامة في شارع الفريق رزم آرا .

كانت رجلاي لا تطاوعانني على النهوض لشدة الالم خصوصا بعد فترة جلوس طويلة ، وكان الالم على اشده في مفصل رجلي ، وهذا جعل علي من المستحيل ان اخرج لقضاء حاجة ما الا بعد ان يعينني شخص على النهوض والمشي ، كانت هذه الوضعية مبعث راحة لي ذلك لانها كانت تعطيني حجة مقنعة مقابل استنطاقات الساواكيين المتكررة وسؤالهم العتيد : « — حسنا، والآن لماذا لم يات ؟ » وكان هدفي هو اظهار المسالة بشكل طبيعي محض، والا اعطيهم ، بهذه الوسيلة ، مستمسكا حول نفسي واتخلص من قيد الاسارة . ولقد تكرست لدي هذه الفكرة بشكل اقوى بعد تنفيذ الموعد المتفق الثاني ، ذلك لانني بعد الاختلاط مع الرفاق وطرح المواضيع الموجودة في اضبارتي ، توصلت الى استنتاج مضمونه انني لو سرت قدما بهذه الطريقة وابقاء القضية في نفس الحدود والحيثيات ، فانهم لن يحتفظوا بي طويلا رهن الاعتقال .

١٤ شهر يور – سبتمبر (ايلول)

قضيت فترة الصباح بالحديث والمناقشة مع الرفاق . بلغت الساعة الحادية عشرة ، ثم انتصف النهار ولم يظهر من يطلبني او يسال عني، شرعت الابواب تفتح وتغلق وتحدث في كل مرة الصوت المزعج المعهود ، ووزع الطعام ، وبعد الفراغ من تناول الغداء حان وقت خروجنا ، اذ كان علينا ان نغسل الصحون والاطباق بانفسنا ، ولما كنت انا عاجزا عن القيام بهذا الواجب ، فان الرفاق الآخرين كانوا يهتمون به نيابة عني . الخروج يجري عادة بشكل متسلسل ، يذهب شخص ، وعند رجوعه يتلوه ثان وهكذا الى ان يقضي آخر سجين حاجته .

كان الرفاق يمشون في داخل الزنزانة بالتناوب ، ويستمرون في التمشي لساعة وجزء من الساعة ، وكنا نرسم خطا على الحائط بعد مضي كل اربعة وعشرين ساعة ، مضت ساعة من الوقت بعد انتهاء الغداء ، وفتح احدى مصراعي الباب ، ثم فتحت البوابة الصغيرة التي تتوسط المصراع الآخر وادخل شخص راسه يسميه الرفاق تندرا بـ « العنكبوت » ، وطلب الي ان أهيء نفسي للذهاب معه ، ولم يكن في هذه المرة على عجل من امره فتريث برهة الى ان هيات نفسي ، وربت الرفاق كثيرا على ظهري

وشجعوني ، على عادتهم ، على التمسك ببرودة الاعصاب والثبات وودعوني الى الباب واكفهم ترقص ربتا على كتفي ، ساعدني « العنكبوت » على السير وانزلني من السلالم ، مررنا بباب حديدي وتوجهنا نحو سيارة كانت تنتظرنا . كان المرافقون لي هم : بيروز رجل الساواك ذو الوجه المنمش (نتيجة لاصابة قديمة بالجدري) ، واثنين من المرتزقة الآخرين ، وحيث ان المسألة لم تكن في هذه المرة بنفس اهمية المرة السابقة ، فانه لم يستنفر ذلك الحشد ، الذي اشرت اليه ، من رجال الامن بل اكتفي باربعة اشخاص يحمل احدهم حقيبة سوداء كبيرة اضافة الى الثلاثة المذكورين آنفا ، صعدنا الى السيارة التي سارت بنا الى المكان الموعود وامروني بأن احني راسي ففعلت الى ان لامس راسي ركبتي ، حتى لا ارى بهذا الترتيب ما يحيط بي من اماكن واشخاص وغير ذلك ، ولم يسمحوا لي برفع راسي الا بعد الدخول في طريق (ونك) الرئيسي .

كانت الشمس قد مالت تماما الى المغيب وقد اختفى نصفها تقريبا وراء الافق مشكلة نصف كرة حمراء ، وكانت الظنون والوساوس قد غالبت الساواكيين ودخل الرعب الى قلوبهم ، وحاولوا عبثا اخفاء واقعهم هذا عني فأخذوا يتحدثون فيما بينهم عن جمال هذا المنظر وخصوصا كرة الشمس واصطنعوا مرحا وجذلا لا مبرر لهما ! لكن كل ذلك لم يستطع اخفاء الاضطراب والارتباك اللذين غالباهم وانعكسا على وجوههم الطالحة مع اقترابنا من المكان المعين ، فلقد اصفرت وجوههم تماما وبحت اصواتهم وغالب بعضهم السعال الحاد !

اجتزنا منطقة (اميرية) ، وفي منطقة (ملك) اوقفوا السيارة ، واشترى احدهم من احدى الدكاكين طبشورا اخضر ، ورجع الى السيارة التي واصلت سيرها ، مررنا بدروازه قزوين ، واجتزنا جسر (الامام زادة معصوم) ، وعند وصولنا مقدمة الطريق المؤدي الى صحن (الامام زادة) ، اوقفوا السيارة وترجلوا منها بتحفظ وحذر بالغين ، نظروا مليا الى الاطراف ثم امروني بأن اتقدمهم ، ففعلت ، وساروا هم خلفي . كان احد باعة المواد الانشائية (الابواب والشبابيك) يتحدث مع احد جيرانه بصوت عال ، فاستلفت نظره منظري وانا بهذا اللباس الممزق والشعر الكث والوضع الباعث على العطف ، وبقي محدقا في لدقائق ، ثم استأنف الكلام مع زميله بعد ان ابتعدت عنهما قليلا ...

كان مأمورو الساواك يجرجرون ارجلهم بصعوبة بالغة وراءهم وكان قوة طاغية تجرهم الى مصير محتوم رغما عنهم ، كانوا يمشون خلفي وكأنهم

اشباح ، وقد اصفرت وجوههم وجفت الدماء في عروقهم فبدوا كالاموات تماما ، كنت اسير امامهم ببطء وبصعوبة بالغة . اقتربنا من الامام زادة وناولني برويز الطبشور فرسمت العلامة على المكان المعين . دخلنا ضمن المسجد ، وشرع الساواكيون يؤدون مراسيم الزيارة ! فاخذ احدهم ، وهو شخص بدين قبيح المنظر ، يقرا بصوت هزاز دعاء الزيارة ورفع يديه الى السماء ليكفر عن سيئاته ثم تضرع الى الامام ان يشفع له ذنوبه وخطاياه ، وكان الباقون يتمتمون بكلمات غير مسموعة الادعية والصلوات .... حقا ان الكفرة والفاسقين لا يعرفون الله الا عندما تداهمهم الاخطار !!

كان الجو حارا جدا ، والصيف في عنفوان حرارته ، وكان خادم الحرم قد نشر سفرته في وسط الصحن واجتمع هو وافراد عائلته حولها ، كدت اختنق من شدة العطش ، فتقدمت منهم وطلبت ان يعطوني ماء ، فاندهشوا لمنظري وارتابوا كثيرا ، ونهض غلام ليعطيني الماء فبقيت عيناه معلقتين بي ، فمد الي بالطاسة خالية ظنا منه انها مليئة بالماء ، ولم ينتبه الى ذلك الا بعد ان قلت له انها لا تحوي شيئا ، فهز راسه ، ثم دخل الغرفة مسرعا فملأ الطاسة وناولني اياها . كان احد المامورين يراقبنا بدقة شديدة ويبدو انه فاق زملاءه ارتعابا فخشي ان يكون الولد قد ذهب الى الغرفة ليأتيني بشيء قد يحوي خطرا عليه وعلى الآخرين .. تركنا الحرم بعد ان شربنا الماء وتوقفنا هنيهة ، وفي الطريق اقترب مني المامور المذكور وسالني : ـ

ماذا همست في اذن ذلك الغلام ، اخشى انك اعطيته اشارة من نوع ما !!!! ، قلت : عم تتحدث انت، الم ترني اطلب ماء وهل اتاني بغير الماء ؟ فسكت ولم يضف شيئا آخر ، لكنه سرعان ما اقترب مني مرة اخرى ، وقال لي همسا : ـ

ـ قل الصدق ، هل تملكون هنا مخزنا للاسلحة او غيرها ؟ قلت :

ـ صدق بانه لم يسبق لي ان اتيت مرة اخرى الى هذا المكان ، وهذه اول مرة في حياتي اشاهده ، فعن اي سلاح تتحدث ؟

صعدنا الى السيارة وتحركنا ، ولاحظت بوضوح انه كلما ابتعدنا عن موقع الخطر ، كلما استعادت وجوه (الابطال !) لونها الطبيعي ، ورجعت الى اصواتهم نبراتها الاصلية ، وهكذا تنفسوا الصعداء بعدما خرجنا من دائرة الخطر تماما ! كم كان منظر برويز ، وهو قائد العملية ، مثيرا للسخرية ، فلقد كان يشبه الديك اكثر من اي مخلوق آخر ، يتكلم باختيال وقد انتفخت اوداجه ، فهو يستصغر الثلاثة الآخرين ، قائلا دون

ان يوجه الحديث الى اي منهم : اية طريقة للترميز هي هذه ؟... وراء احدى اكشاك التلفونات ... على احدى اعمدة الكهرباء ... الم يكن هناك مكان افضل من اطار باب الامام زاده معصوم ؟ حقا اني اشك جدا في حقيقة الامر ، نعم اشك في مغزى انتخاب هذا المكان بالذات !! فلزمت الصمت وكاني لم اسمع ما قال قط . وعرفت من تغيير فجائي في سير السيارة اننا نسير نحو معتقل (اوين) ثانية ، ولما اجتزنا حديقة (وي) احنوا راسي مرة اخرى ، ودخلت السيارة شارعا ترابيا يتجه نحو الغرب ... وبعد مدة اصبحنا على مشارف (اوين) ، ولما وصلنا الباب توقفت السيارة كعادتها ، وبعد اعطاء كلمة السر واستحصال الموافقة دلفت داخلا ... توقفت السيارة بنا ، فترجل الساواكيون بينما امرت ان اقف في مكاني دون ان اتحرك الى ان ياتي العريف فيتسلمني !! ولحسن الحظ لم يطل انتظاري كثيرا ، فلقد اقبل علي عريف اسمه (كيقبادي) واقتادني نحو احدى الزنزانات بعد ان وضع على عيني النظارة السوداء التي لا يمكن رؤية اي شيء خلالها ، وفي الممر رفع النظارة عن عيني وفتح باب الزنزانة وادخلني اليها وقفل الباب ... كان الرفاق ينتظرونني بفارغ الصبر عند عتبة الزنزانة كعادتهم ، وبعد قليل من السؤال والجواب آتوني بشيء من الطعام كانوا قد استبقوه لي ... قضينا الليلة الى وقت متاخر منها بالحديث حول المواضيع المختلفة ...

١٥ شهريور – ٦ سبتمبر (ايلول)

استيقظنا صباح ذلك اليوم على وقع اقدام العريف وهو يذرع الممر جيئة وذهابا ، ويفتح ابواب الزنزانات الواحدة بعد الاخرى ثم يغلقها خلفه وتبعث الابواب اللعينة هذه صوتا في غاية الازعاج وهي تغلق بينما يدفعها العريف بقوة بحيث يحرم من النوم حتى من في اذنه صمم ، ... كان احد الرفاق الدينين هو الوحيد الذي لا تزعجه هذه الاصوات الى حد بعيد ، اذ انه يستيقظ مبكرا كل يوم لاقامة الصلاة ، ويبقى في اكثر الايام يقظا بعد الصلاة منشغلا بالادعية وتلاوة القرآن الكريم ...

كان الم شديد في رجلي يقض مضجعي ، وعلاوة على ذلك اعاني من الم شديد في القسم الايسر من مؤخرة راسي ... وثمة شيء آخر يزيد في الطين بلة ، ففي الساعة الخامسة من هذا اليوم ستنفذ آخر فقرة من الموعد المصطنع ... وكان هذا بمثابة آخر عارضة يجب اجتيازها من

قبلي ، لذا فاني غارق في التفكير بحثا عن طريقة للتملص من الموعد المذكور بشكل اصولي وكامل حتى اعطيهم بذلك حجة مقنعة لعدم مجيء كريم الى الموعد وفق الاتفاق ...

قبل كل شيء ، يجب ان اعيد الى الاذهان ، بان طهراني كان قد ابلغني بعد احدى العمليات ان اطلب حضوره او حضور الدكتور جوان عند شعوري باقل انزعاج ، وكان يتصور في نفسه بانه قد فعل هذا كشيء من قبيل البراعة المسلكية ، فقررت في نفسي ان اقوم بما يفشل براعته هذه وعلى الوجه التالي : ـ

في « اوين » لا يسمح للجندي بان يكون له مع السجين اية علاقة مهما صغرت ، ولا يغتفر له اذا تجاوزت اتصالاته مع السجناء اكثر من فتح الابواب لهم وغلقها عليهم ، وفي بعض الاحيان اشعال الكبريت (الشخاطة) له ، اما تنفيذ طلب للسجناء كنقل الرسائل الشفوية بينهم او حتى الكلام معهم فيعد من المحظورات التي تضع مرتكبها تحت طائلة العقاب الشديد ... ومستفيدا من تقنين العلاقة بين الجنود والسجناء بهذا الشكل ، شرعت الح عليهم لعشرات المرات ، تارة بالصياح وتارة بدق الباب بقوة وبشكل متواصل ، ان يسمحوا لي بالذهاب الى الدكتور جوان ليعالج لي الما شديدا في رجلي ، ولم اكن اذكر هذه الطلبات بلحن ينم عن الجد او الالم الحقيقي بل وفي بعض الاحيان كنت اصرخ وعلى شفتي ابتسامة عريضة !! كنت ادق الباب بقوة واصرخ قائلا : خذوني الى طهراني ، فلقد قال لي هو بالذات ان اذهب اليه اليوم، او خذوني الى الدكتور جوان فهو طلبني بالامس ، لكنني لم اجد اذانا صاغية من الجنود الذين كانوا يكتفون بالقول :

ـ حسنا ، سنخبرهما بذلك عندما نراهما ...

كنت احس بأن الرفاق يشعرون بالضيق عندما الح في طلب طهراني والدكتور جوان ولا يجدون لهذا الالحاح تفسيرا ، لكنهم لم يعلقوا ولم اقدم انا اليهم اي توضيح .

مر بعض الوقت ، ومرت ساعات اخرى وانا انتظر ، واخيرا انفتح الباب في الساعة الثالثة والنصف من بعد الظهر ودس عريف راسه فناداني وطلب الي الخروج ... كانت رجلي تؤلمني بشدة بحيث لا استطيع السير اطلاقا وكان اشتداد الالم بهذه الصورة يعود الى مكوثي وقتا طويلا وانا جالس ... ساعدني العريف ، مكرها ، في السير وعندما اوصلني الى السيارات وهي على اهبة الاستعداد للحركة ويحيط بها رهط من رجال الساواك ، نظر الجميع الي نظرة ذات مغزى وبادلوا بعضهم البعض مثلها

وساد المكان صمت ثقيل ... ثم كسر احدهم جدار الصمت قائلا : بوه ، ان هذا يعرج ، بل ولا يقدر على السير اصلا ..

طلبوا حضور طهراني ، اما انا فلقد كنت متظاهرا باضطراب وتضايق شديدين ، ووجهي ينضح براءة ، قدم طهراني ، وحالما شاهدني اعترته دهشة شديدة وغالبه الارتباك ، كمن اصيب بصدمة عنيفة فصاح بـي قائلا : ماذا بك يا (....) ، هل من احد ضربك مرة اخرى ، انـت كنت في اتم الصحة بالامس وكنت تستطيع السير بشكل جيد ، اخشى انك قد جلبت على نفسك مكروها ، قل لي ، تحدث ..

فقلت بارتباك : لقد طلبت حضور الدكتور لعدة مرات وطلبتك مرات اخرى ، ومنذ الصباح الباكر وانا اصرخ واستغيث بالجنود بانني اريـد الذهاب الى الدكتور ... اريد الذهاب الى طهراني !! لكنني لم اجد هناك من يسمعني مطلقا !! لم يكن بوسعه ، وانا في هذه الوضعية البائسة ، ان يتردد في تصديق ما اقول ، فصرخ كالثور الهائج : قل لي ، من اي من الجنود طلبت ذلك ؟ ما اسمه ؟ ما شكله ؟ ثم هدأ فجأة وقال : ولماذا لم تطلب ذلك من العرفاء ؟ لماذا لم تناد عليهم ؟

قلت : بعد كل دقائق من نقر الباب ، كان الجندي يستفسر مني عن الشيء الذي اريد ، فاخبره بما اريد ، فيكتفي بالقول : حسنا سنخبرهما اذا قدما ، ولم اجد احدا من العرفاء ...

تقدم الي طهراني ، وكمن يلتمس ان اسدي اليه خدمة كبرى ومعروفا لا ينسى فاجعله وعائلته شاكرين لي مدى الدهر ، قال لي متضرعا :

ــ يا (....) الحبيب ، انظر الآن ... انظر انك تستطيع السير ، فتعاون معنا ولا يتطلب الامر سوى عشرين دقيقة من السير الطبيعي ، تعال واعمل المعروف وسر لهذه الدقائق العشرين مهما كلفك ذلك ، انـا اعرف ، بل واشعر بالالم الذي تعاني منه ، لكننا نحتاج الى مساعدتك ... ان هذه افضل خدمة تستطيع اسداءها الينا ...

حقا انه ليبعث على الهزؤ والسخرية ، يطلب مني التضحية والمروءة !! لاي شيء ؟ لاساعدهم في ايقاع رفيق لي في شركهم !! يحتاجون الى مساعدتي ويعدون انفسهم مدينين لي فيمـا اذا استجبت لطلباتهم الشريرة وكانهم نسوا من انا ! ترى ما الهدف من هذه التضحية والمروءة المتوقعتين مني ! لمن اقدم انا هذه المساعدة ؟! لقد كانوا يتحدثون وكأنهم يطلبون الى اقرب اقاربهم ليستضيفهم الى بطل عرق !! انهم نسوا بانهم انما يتحدثون مع عدو طبقي لهم ، وان من يطلبون اليه ايقاع رفيقه في الشرك ، الرفيق الرمز

الذي يرمز الى الآلاف من المناضلين الذين يضطلعون الآن في أصعب الظروف باعباء الثورة ، انما هو بالذات عدو لدود لهم ، الا تبا لهذه الوضاعة وتبا لهذه الحماقة !!

بعد ان قدم الي طلبه الوحيد بهذا الشكل ، ثم شعر بأن الاستجابة اليه صعبة التحقيق ، ساعدني على الصعود الى السيارة التي تحركت بنا. وحالما وصلنا الشارع الترابي المؤدي الى (اوين) وضعوا النظارات السوداء التي سبق وان اشرت اليها في مكان آخر من هذا الموضوع ، على عيني ، وبعد برهة من الزمن وقفت بنا السيارة وكنت استطيع من طرف النظارة ان اتبين سبب هذا التوقف اذ وقع حادث اصطدام بين سيارتين بحيث انقطع السير ورايت رافعة كبيرة تحاول رفع احدى السيارات ووضعها جانبا ، لكن الذي بدا لي هو ان الرافعة هي الاخرى كانت قد انحسرت بسبب ضيق الشارع بحيث لم تكن تستطيع التحرك في الاتجاه المطلوب ، اما السيارات التي ازدحم بها الشارع فظلت تدق على الابواق بحيث طغت على الشارع ضوضاء عجيبة . اختلست نظرة الى اقارضا قائد العملية فرأيت وجهه يفيض قلقا وقد تضاعفت لذلك تجاعيده . اما انا فكنت اتمنى الا ينفتح الطريق الى ان يمضي وقت على ساعة الموعد ... قائد العملية ، كما ذكرت في مكان آخر ، هو شخص اسمه اقارضا رجل طويل القامة ، اسود العينين والحاجبين ، اسود الشعر وقد مشط شعره بعناية بالغة ، يبلغ من العمر حوالي الـ (٣٤) سنة تقريبا ... كان يفقد صبره رويدا رويدا وكان يتقدم بالسيارة ويرجع بها الى الوراء سعيا للحصول على مفر يخرج منه ، وحاول الانتقال الى شارع آخر خصص للسير في عكس اتجاهنا ، لكنه اعلم بأن ذلك غير مسموح به وان الطريق الذي سلكناه هو الطريق الوحيد الممكن سلوكه ، فزاد هذا من قلقه ... ولم يكن بوسعه ان يرجع الى حيث اتى فيقول لهم بأن الطريق مسدود اذ عند ذاك سيسخرون منه ويحقرونه ويعدونه جبانا وغير لائق للوظيفة ، ففي نظر هؤلاء المتغطرسين لا يمكن ان تشكل موانع مثل انغلاق الطريق وشدة الازدحام سدا امام رجل السافاك !!

انفرجت اسارير اقارضا فجاة ، اذ تنحت الرافعة جانبا وكان الطريق قد انفتح فاندفع بسرعة وطوينا طريق (ونك) الرئيسي في وقت قليل ، اقتربنا من سجن (قزل قلعة) ، الزقاق رقم ٦ ... الزقاق رقم ٥ ، توقفنا امام الزقاق رقم ٤ ودلفنا داخلا وفي نهاية الزقاق نحى اثنان من الحرس الخشبة المانعة للدخول جانبا ودخلت السيارة الى مكتب ساقي !. كانت الساعة قد بلغت الخامسة والنصف ، وشاهدت سيارات على أهبة

الاستعداد لمرافقتنا ورهط من رجال الساواك يحيطون بها ، توقفت سيارتنا وترجل من عليها الواحد بعد الآخر باستثنائي واغلقوا الباب وراءهم فانسحبت الى زاوية داخل السيارة اتكات باطمئنان على العارضة . . . وعيناي تسرحان في الخارج . شاهدت الدكتور جوان متكئا على سيارة (بيكان) بيضاء اللون وهو يتطلع الى المامورين الذاهبين اليه بهدوء ، وعندما وصلوه ، تبادل مع اقارضا بعض الكلمات التي لم افهمها لبعدها عني ، ورافقت احاديثهما اشارات باليد الي ، وبعد ان استمرا في الحديث قليلا اقبلا نحو السيارة التي كنت فيها ، فنهضت مترصدا ردود فعلهم ، فاشار الي اقارضا ان اخرج من السيارة ، قال ذلك بلحن يحمل في طياته ما ينذر بالشر واليأس المسبق من الحصول على اي شيء من هذا الموعد . فتحت الباب وخرجت متكئا على السيارة . تصدى لي جوان ، وكرشه البغيض يتدلى ، وتقدم نحوي والشرر يتطاير من عينيه المحمرتين غضبا فقال لي وفي نظرته مغزى :

ـ لدينا ربع ساعة من الوقت فقط . سر هنا قليلا لارى مشيتك .

فمشيت ، لكنني لم استطع ان امشي تلك المشية التي يريدونها هم ، وشعرت عند السير بان رجلي تؤلمانني اكثر عندما ادوس صخرا او شيئا ناتئا عن الارض وحينذاك يظهر عرجي على شكله الطبيعي ، لذا اخذت ادوس برجلي جميع الاشياء البارزة من الارض حتى يبدو العرج طبيعيا . . .

كان جمع من الجنود يلعبون كرة السلة (فالي بول) في الساحة الجنوبية لمعسكرهم ، ولاحظت ان بعض النظارة قد استلفتهم التجمع فاخذوا ينظرون الينا بدلا عن الجنود اللاعبين ، كنت محاطا بماموري الساواك من كل جانب لكنهم مع ذلك طلبوا جنديا لحراستي ، فجيء بجندي اسمر اللون طويل القامة يبدو شديد العصبية وكانني انا الذي تسببت في اقحامه في هذا العمل ! على اي حال ، كنت اعرج اثناء المشي وكان الجندي المسكين يمشي خلفي كظلي حاملا بيده بندقيته الـ (G-C) فاقترب مني الدكتور جوان وبعد ان حملق في قليلا قال : ايها الفلام ، سر جيدا ، فهم لم يسحقوا عظام رجلك . قلت : ـ لو كنت استطيع لمشيت ، فلم يكن الضرب بشكل يبق لي القدرة على المشي ! قال : ـ حسنا ، كان هذا من الطبيعي ، اذ لولاالتعذيب والضرب ، لما كنت تتكلم ، اذا فلقد كان هذا تقصيرا منك بالذات ، كان بامكانك ان تعترف بكل شيء وتتجنب التعذيب . لكن ما مضى مضى ، والآن حان الوقت لكي تؤكد لنا بانك تريد

اثبات الصداقة وابداء التعاون معنا ، نحن نعرف بانك غلام طيب ، وكما ترى فانك منذ ان بدات تتعاون معنا ، لم تواجه اي تصرف متسم بالخشونة من جانبنا فحسب ، بل اننا ابدينا تجاهك ، في حدود الامكانيات المسموحة والوقت المتوفر ، كل لطف ومرونة ، فلا توجد بيننا عداوة شخصية او عائلية ، والآن حيث ابديت الاستعداد ان تظهر الرجولة والتضحية ، فان من واجبنا ايضا ان نغير من وجهة نظرنا وطريقة تصرفنا معك بشكل جذري اذن فمفتاح الحل في يديك : بامكانك اجبارنا على العودة الى نفس الاسلوب السابق معك ، وبامكانك ان تواصل اظهار الصداقة والتعاون معنا وتستمر في تزويدنا بالمعلومات المتوفرة لديك دون ان تخفي اي شيء او تهمل صغيرة تعرفها . ونحن نريد منك سلوك السبيل الاخير ، سبيل التعاون المطلق ، نحن نطالب منك ان تضاعف من جهودك فتسير بشكل طبيعي فالطريق ليس طويلا والوقت الذي نريدك ان تمشي فيه هو عشرون دقيقة فقط . . . حتى وان فرضنا ان المشي يسبب لك بعض الالم ، هل ان مقاساة الالام لعشرين دقيقة فقط لا يكافيء تعميق وتوثيق صداقتنا باطراد ؟

كنت ، طوال الحديث ، مطرق الراس افكر بعمق وتركيز فيما يجب ان اعمله وكنت اسير وانا اعرج ، ولا تزيدني نصائح عميل العدو هذا سوى نفور منه ، تقدم نحوي وهمس في اذني قائلا : ـ

انظر يا (. . .) ، اني لم التمس احدا طوال حياتي ، لكنني ، لكي اثبت لك صدق نواياي تجاهك وباننا لسنا سوى اصدقاء اوفياء لبعضنا ، فاني اتقدم اليك برجاء حار ان تحاول السير باحسن ما تستطيع خصوصا عندما نصل الى المكان المحدد للقائكما ، لقد حان وقت الانطلاق ، فأرجو الا ترجع خالي اليدين !!

هنا ، اود الاشارة الى حقيقة هامة وهي انه الآن حيث تمضي سنتان على اندلاع نار الكفاح المسلح ، فان ماموري الامن قليلا ما يسمحون لانفسهم ان يطلبوا الى اي من المناضلين ، بكل هذه الصلافة والوقاحة ، وضع المعلومات المتوفرة لديه تحت تصرفهم ، ذلك لانهم يعلمون بانهم سيجابهون بالمقاومة البطولية والعناد المتواصل ولا يجدي التعذيب الوحشي وجميع الاساليب الجهنمية الاخرى نفعا مع هؤلاء المناضلين مطلقا ، واذا كان العدو السابق يصر على موقفه ، موقف طلب المعلومات وحتمية الادلاء بالاعترافات (وقد يحقق بعض النجاحات في هذا السبيل) فان السبب في ذلك كان يكمن وراء قلة خبرة وتمرس بعض المناضلين وضعفهم . ان اولئك الذين لم يتمرسوا على العمل في ظروف النضال الصعب للغاية ولم يكتسبوا

التجارب الكفاحية خلالها ولم تتسع قابلياتهم العملية ، لم يتوصلوا ، بطبيعة الحال ، الى تشخيص صائب للقضية ولم يتفولذوا بعد بمبادئها بل ان الكثير منهم لا يزال يعيش في ظلام حالك عن ماهية القضية والاستعداد الذاتي اللازم للتضحية في سبيلها وتتراوح ابعاد هذا الظلام الحالك بين التقدير الخاطىء للقابلية الشخصية والبهلنة الفارغة والجهل بأساليب العدو ولقد لعب كلا البعدين دورهما في زحزحة ارادة هذه الفئة من المناضلين الذين لم يستطيعوا المقاومة امام احابيل العدو واساليبه ، فاستسلموا له بسهولة ...

لكن ازاء هؤلاء يجب الاشارة الى رفاق ذوي نقاوة ثورية فذة وتصد ثوري صائب لمعالجة القضايا المختلفة ، تحلوا بعزيمة لا تقهر وبصيرة نافذة واكتسبوا خلال العملية النضالية تجارب غنية استفادوا منها عند الوقوع في مصائد العدو او في المجابهات معه او عند التصدي للمشاكل الاخرى التي يدخل العدو طرفا فيها ، فلم يفقدوا وعيهم العميق واصالتهم الثورية حتى في احلك الساعات ... ومن هذه الفئة يمكن الاشارة الى رفاق مثل وارطان ، كوجك شوشتري ، روزبه ، كتيرائي ، صفائي وشاهرخ هدايتي وكثيرين غيرهم ، فلقد انطلق هؤلاء عند المجابهة مع العدو من مواقع نضالية ثابتة وقوية ومرغوا بالوحل انوف مرتزقة السافاك والشرطة ولم يسمحوا لهم مطلقا ان يمثلوا ادوارا اخوية او ابوية !! ولقد ادخل ثوريون مثل جواد سلاحي ، رحمت بيروندیري جنكيز قبادي ، اسكندر صادقي نژاد احمد رضائي ، مهرنوش ابراهيمي واحمد زمبيرم وآخرين غيرهم الرعب والهلع في صفوف العدو نتيجة مجابهتهم البطولية له وعدم مهابتهم من اساليبه وتهديداته ، واجبروا الشاه العميل على ان يحرم على نفسه النوم والراحة والطعام ويظل ساعات في قصره يقظا ياكله القلق وتتردد في مخيلته المقولة الشعبية عن الفدائيين : « هؤلاء فدائيون وارواحهم على اكفهم ولا يأبهون ان يحصدوا بالرصاص وهم يرتقون حيطان القصر يوم تقوم ساعة الحساب » .

اجل ! لقد حير هؤلاء الابطال مغاوير وفدائي الجيش الشاهنشاهي ! بكل تجهيزاتهم واسلحتهم العصرية الفتاكة ، لا بشيء سوى بعظم تضحياتهم ونكرانهم للذات ، ولقد غدت الازقة والدروب من جملة الاماكن المحظور دخولها من قبل رجال السافاك والشرطة بدون اتخاذ تدابير امنية مسبقة ، فقد يصبحون اهدافا سهلة في كل لحظة لرصاصات من تسميهم السلطة « عناصر الشغب » ! ، وعلى ايديهم تكرست سنن المجابهة الثورية مع العدو

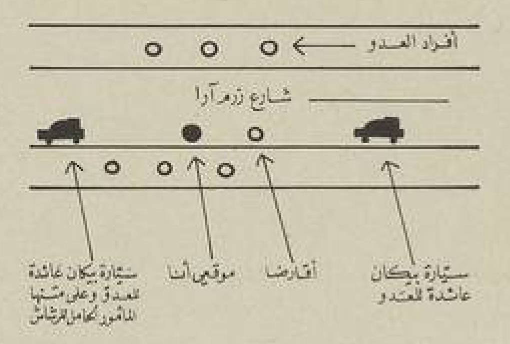
واليوم ، فان الحركة تتحدى عنجهية السلطة وغطرستها بنماذج من هؤلاء الابطال ، ولقد سمعت ذات مرة رفيقا من ذوي التجربة والخبرة النضالية الوفيرة يقول : « كنا ، سابقا نوصي رفاقنا بتحاشي الوقوع في قبضة العدو واتخاذ التدابير الوقائية اللازمة لذلك ، وتوصيات كثيرة اخرى تفتقر الى السند العملي الصحيح او المعلومات الدقيقة التي تكسب التجربة ، فمثلا كنا نقول بان الشرطة ستشن هجوما على العناصر الثورية وتعتقل منهم من تعثر عليه . اما كيف ومتى وفي اية ظروف ، فلم نكن نملك اجوبة كافية لهذه الاسئلة على رغم اهميتها ، وحتى لو تمكنا من تقديم تلك الاجابات ، فلم نكن نملك وسائل عملية للوقوف بوجه هذه الحوادث بسبب انخفاض مستوى التجارب في مضمار حرب الانصار داخل المدن ، اما اليوم حيث نترك وراءنا سنتين من النضال المسلح اكتسبنا خلالهما تجارب غنية دفعنا ثمنها دماء رفاقنا الشهداء الزكية ، فاننا نعرف متى تنشط الشرطة وكيف ، ما هو مجال نشاط القوى المعادية لنا وفي اية ظروف تنشط وتستشرس ، وتضعنا هذه المعلومات القيمة في مواقع نستطيع منها ترصد تحركات الشرطة والساواكيين وتنقلاتهم ، ونستطيع تخطيط حركاتنا وعملياتنا ومجالات نشاطاتنا المختلفة على ضوء ذلك بهدوء وتؤدة ونفاذ بصيرة اكبر ، واضافة الى ما تقدم ، فاننا الآن لن نكتفي « بتوصية » رفاقنا لتحاشي الوقوع في قبضة العدو ، بل ان وقوع الرفاق اسرى في يد هذا العدو ، وتحت طائلة التعذيب الوحشي من قبل اجهزته القمعية ، ثم اصرارهم بعناد على عدم الادلاء باية معلومات له غدا من البديهيات والمستلزمات الضرورية لاحراز النصر وان كل رفيق معنا في هذا الطريق المقدس يدرك هذه الحقائق باعتبارها من اوليات الدخول الى حلبة الصراع ... نعم ، اننا نعرف بان الدرب الذي سلكناه مليء بالعثرات الكبيرة والاشواك الحادة ، ولقد وضعنا منذ ان خطونا الخطوة الاولى فيه ان خير مكافاة ننالها من وراء التصدي للاشرار هو الاستشهاد ، ولم نخدع انفسنا في يوم من الايام بزيف النضال في ظل الحريات العامة ، بل اننا نعتبر الاسر ، التعذيب الوحشي ، الموت رميا بالرصاص او على اعواد المشانق ، او قضاء المدد الطويلة في السجون ، اجزاء لا تتجزأ من عملية النضال الثوري ، وان : « الثوري يظل ثوريا في جميع الظروف » هو الشعار الذي رفعناه ونحن نضع اولى اقدامنا في هذا الميدان الفسيح . ونحن لا نرى ، في اي حال من الاحوال ، ان تجارب الحياة، والتجارب المكتسبة خلال فترة النضال السابقة للوقوع في الاسر والتجارب الاخرى المكتسبة في محيط العمل تكفي لاغناء اي مناضل بالخبرة الثورية ،

بل ان كل مناضل من مناضلينا ، يحتاج الى اكتساب تجارب هي حصيلة حالات الصدام المباشر مع العدو ، طرق الاجابة عند الاستجواب ، التعرض لمختلف انواع التعذيب ، انعكاسات التاثير النفسي للتعذيب ، سلوك مرتزقة الساواك ، مجابهة السجناء الآخرين للساواك ، روابط وعلاقات السجناء مع بعضهم وقضايا اخرى تؤثر في رفع معنويات الافراد والاساليب التي يلتجيء اليها الساواك في السجون من اجل زحزحة ارادة المناضلين وخلق عوامل الشكوكية والياس والتردد لديهم ، اننا نعطي هذه التجارب اهمية بالغة جدا ، ومن خلال وضعها امام رفاقنا ونقلها اليهم بكل السبل ، فاننا نعلمهم بان فترة الاسر بالذات هي فترة نضالية وامتداد لنضالنا ونحن طلقاء ، لذا فان الرفيق السجين لا يعتبر نفسه فردا خارجا عن الحلبة قط ، فهو يساهم في رفع وعي السجناء ونقل تجارب الرفاق الذين يقارعون العدو خارج السجن اليهم ، يساهم في طرح المسائل والقضايا النضالية المطروحة خارج السجن معهم وبحثها وفي وضع الخطط والاسس اللازمة لتقوية التنظيم في صفوف السجناء ودفعهم على ضوء المستلزمات والامكانات الواقية ، الى التظاهر والاضراب وحتى العصيان لكي يلعبوا بذلك دورهم النضالي الثوري وكأنهم احرار خارج السجن ، وثمة عامل مهم آخر وهو ان وضع هذه التجارب في متناول يد الرفاق السجناء واكسابهم المعرفة الحقيقية لكيفية مجابهة العدو واجهزته وهم في الاسر ، يؤدي الى ابقاء هؤلاء على اتصال مستمر بالعملية النضالية وتطوراتها يوما بيوم ، ولن يؤثر فينا بعد ، كالسابق ، الجهل بمخططات العدو ومناوراته ، واساليبه القمعية المختلفة ، والاوضاع النفسية التي يخلقه لنا . لكل ذلك ، فانه لا يمكن تعليل الضعف الذي قد يبديه بعض المناضلين عند التصدي للعدو بقلة تجاربهم ، وان شاء احد المناضلين ان يظهر ضعفا من هذا القبيل امام العدو فانه ليس سوى خائن للشعب ومرتد ، لن تغفر له خيانته وارتداده قط . لنرجع الآن الى قزل قلعة : ـ

بعد ان انهى الدكتور جوان مواعظه ! صعدنا الى السيارة وتحركنا كنت انا لابسا سترة ضيقة تعود الى انوش مفتاحي ، وسروالا برتقالي اللون رثا ممزقا ، وحذاء دونه حذاء ابو القاسم الطنبوري ، ولقد طال شعر راسي ووجهي بشكل فظيع ، فبدى اجعد كثا شعثا ، ولا تزال اثار اللكم والضرب الكثير بادية على وجهي بوضوح . سارت وراءنا خمسة سيارات اخرى وعلى متنها ما يقارب التسعة عشر نفرا من مرتزقة الساواك ، تكررت عملية احناء راسي الى الركبتين الى ان ابتعدنا عن قزل قلعة بمسافة معينة ، ولما وصلنا

المكان المعين للقاء المصطنع كانت الساعة قد بلغت الخامسة تقريبا ، فأصدر اقارضا اوامره الى افراده بالتفرق والكمون في الاماكن المعينة لهم ، وترجلنا نحن من السيارة التي وقفت بنا شمال ميدان فرح اباد وفي القسم الغربي من الشارع ، فسلمني اقارضا اطار دراجة قديم اشتراه في الطريق من احد مصلحي الدراجات .

والآن ، لنر كيفية توزيع الافراد في المنطقة : وقفت احدى السيارات في القسم الشمالي من ميدان (شوش) وعليها اربعة مسلحين مجهزين باللاسلكي لسهولة الاتصال بالبقية حال مشاهدة الشخص المطلوب والتصدي له من الخلف . بدأت انا السير من ميدان (فرح آباد) ومن الجانب الايمن للشارع بمحاذاة ساقية الماء الموازية للشارع ، جنوبا . امر اقارضا احد الافراد الذي كان يحمل رشاشة في يده بالتحرك امامي داخل احدى السيارات ، والقفز من السيارة عند تلقي اول اشارة بقدوم الشخص المطلوب ، وامطاره بوابل من الرصاص في المنطقة الواقعة بين (الخصر) والى القدمين ، وهكذا فان سيارة تحمل اربعة مسلحين كانت تتحرك امامي ببطيء وعلى بعد مائة متر مني ، وسيارة اخرى تتحرك ورائي على بعد نفس المسافة مني ، اما ركاب السيارتين الاخريين الذين يبلغ عددهم سبعة اشخاص فكانوا يرافقونني من الجانبين : احدهم على بعد خمسة عشر مترا خلفي (كان هذا الشخص هو اقارضا شخصيا) ، وشخص آخر على بعد نفس المسافة امامي على الرصيف ، وآخر من الخلف وعلى بعد نفس المسافة من هذا ، وآخر يسير بمحاذاتي بالضبط بحيث يتوسط الاثنين الآخرين ، وكان من السهولة والوضوح بمكان مشاهدة هذا التوزيع من الجهة المقابلة من الشارع .



كانت الشمس تميل الى المغيب ، والشارع غارقا في هـذه الاثناء في بحر من الهدوء ، ولم تكن باصات النقل ووسائل النقل الاخرى مسرعة في سيرها ولم يكن في الشارع غير قلة من الرجال واكثرهم من العمال يسيرون ببطيء وتؤدة ، وعلى وجوههم امارات الارهاق والبؤس الشديدين ، وكنت انا الآخر ، وفي يدي الاطار اتحرك ببطء وهدوء بحيث لا يبدو عرجي كثيرا . سرت لمدة سبعة او ثمانية دقائق ولما التفت الى مرافقي شاهدتهم وقـد تراجعوا وانظارهم شاخصة الى نقطة ما في المؤخرة ، فرايت ان بعضهم قد تجمع حول غلام يمتطي دراجة بخارية وهم منهمكون في استنطاقه بتلهف، فتساءلت في نفسي عن حقيقة الامر ، وفهمت فيما بعد بان راكب الدراجة عندما شاهد سيارة الـ (بيكان) وهي تسير ببطء في وسط الشارع ظـن بانها تحمل احدى العاهرات ، لذلك اقترب كثيرا من السيارة مـن بـاب الفضول وسعى الى دس راسه داخلا ليكتشف حقيقة الامر ، لكنـه لـم يستطع رؤية ما في السيارة فكرر المحاولة عـدة مـرات فشك بامره الساواكيون وقبضوا عليه ولم يطلقوا سراحه الا بعد ان تاكد لديهم انه لم يكن يحمل نوايا غير تلك التي ذكرت . وبعد دقائق ، تقدم نحوي احد المارة وتفرس في وضعي قليلا وبدقة ، فظن انني انوي الصعود الـى البـاص لكنني لا املك بطاقة صعود او ثمنها ولهذا تملكتني الحيرة ، فمد يده الـي وفيها بطاقة ، فنظرت اليه دون ان امد يدي لتناول البطاقة ، لكنه لم يقتنع فقال لي : ايها السيد ، اتريد ان تصعد الى الباص ؟ تعال معي . فاجبته : كلا ، امض في سبيلك ، فلم يملك غير الابتعاد عني وهو ينظر الي بشك وحيرة ، واعترض رجال الساواك طريقه وفتشوه بدقة وبعد ان تاكدوا من انه لا علاقة له بالسياسة من قريب او بعيد اطلقوا سراحه ! اما سيـارة الـ (بيكان) الواقفة في ميدان (شوش) فكانت قد اوقفت عدة اشخاص من المارة وفتشتهم بدقة .

كلما اوغلنا بعيدا في الشارع ، خلا جانبه الايمن من العمارات والبيوت وظهرت الحفر والعثرات ، وكان المامور الذي يمشي بمحاذاتي مـن هـذا الجانب ، يقف بين الفينة والفينة ويلقي بعض الاسئلة على زميله ثم يواصل السير . كانت الدقائق العشرون تمضي نحو الانتهاء . لكن اي اثر للدراجة لم يظهر « ولم تصطدم بي اية دراجة من الخلف كما اقتضت علامـات اللقاء » !. كان ركبنا في هذا الاثناء قد وصل الى مخازن تجهيز المـاء العمومية ، وكانت هذه خاتمة الدقائق العشرين التي كان الموعد يجب ان يجري خلالها !. شاهدت اقارضا متكئا على احد المخازن وعلى وجهه امارات

التوتر الشديد ، فاشار الي بيده قائلا : تعال ، تقدم ، يكفي ... كانت الساقية التي تفصل بيننا عريضة وقد تخرب جانباها (شاطئاها) ، كدت ارقص من الفرح الغامر الذي تملكني اثر انتهاء مدة الموعد واجتيازي هذه المرحلة ايضا ، وبدون ان اشعر باي الم في رجلي قفزت الى الجانب الآخر ناسيا بأن « رجلي يجب ان تؤلمني !! » الا عندما كنت في الجانب الآخر من الساقية ، لكن السيف كان قد سبق العذل وكنت قد اجتزت الساقية قفزا، ففكرت في تغطية الخطأ وتظاهرت بالانزلاق والوقوع في الوحل ، ولم اخرج الا بعد تظاهر شديد بالعناء وبآلام شديدة في رجلي !، كان اقارضا ينظر الي باهتمام بالغ ، وكنت اتوقع ان ينقض علي ركلا وضربا ، ويطالب تكرار العملية مرة اخرى من الجنوب الى الشمال ، او يمكث مدة اخرى في المنطقة ، لكنه لم يفعل ايا من هذه ، فالدقائق العشرون تلك على قصرها مضت عليهم وكانها عشرون سنة ! فكيف يمكنهم السماح لكل هذا العذاب بالاستمرار لدقائق « وبالاحرى ساعات ، اخرى ؟ وكان قائد العملية قد وضع الحد لكل شيء اذ كان قد اصدر اوامره بالكف عن التعقب والانسحاب فورا ...

تحركت بنا السيارات ، ووجوههم اسودت غضبا ، اما اقارضا نفسه فكان مشدوها طوال الوقت يناجي نفسه : بداوا جيمز بانديباتهم مرة اخرى ... ان ماذا كنتم تريدون ... اي مكان تحتلون ... يمسك بيده اطار دراجة ويتحرك من اول الشارع ... يتوجه شمالا ... يرتطم به شخص من الخلف ... ، واخذ يكرر هذه العبارات المبهمة مع نفسه لشيء من الوقت . رجعنا على اعقابنا مرة اخرى بخفي حنين وبخيبة امل اكبر من المرات السابقة ، توجهنا نحو مكتب ساقي ... وصلنا السجن ، ونحي المانع جانبا ودخلنا ، هدوء عميق يخيم على الساحة ، ولا خبر عن هرج لاعبي الفاليبول ومرجهم ، توالت السيارات في الوصول ووقفت وراء بعضها ، ترجل الافراد ، بينما بقيت انا لوحدي في احداها . كدت اطير فرحا ، كثيرا ما يعتري الانسان فرح شديد لا يمكن وصفه باللسان . حقا انه لمكسب ثوري عظيم : ان تشرد عشرين نفرا من العدو في احدى الشوارع العامة بحثا عن الخيال دون ان ينتبهوا الى الحقيقة . ان يسيروا في الشارع لمدة طويلة مقطوعي الانفاس ، ويكمنوا هنا وهناك ، ويتربصوا في المنعطفات، ويعيشوا حالة ذعر وهلع شديدين لمدة طويلة . ثم يرجعون خالي اليدين يجرون وراءهم اذيال الخيبة والمرارة ، اما انت مدير الخطة ، فتجلس في مكان قصي تضحك عليهم من الاعماق حتى وان لم يكن من الممكن غير ضحكة

القلب .. . دخل بعضهم الى الفناء المحيط بمكتب ساقي ثم عادوا بعد برهة برفقة الدكتور جوان ، ها هو جوان ، يقف بجانب احدى السيارات متكئا عليها ينظر الي بعيون مغمضة تقريبا دليلا على مزيج الحقد والسخرية اللتين يكنهما نحوي ، اما آقارضا فكان منهمكا في شرح تفاصيل العملية الفاشلة له ، سمعته يرويها على الشكل التالي : - عندما ترجلنا من السيارة ، وطلبنا اليه ان يبدأ السير ، سار هو لهذه الدقائق العشرين كمريض يعاني من حمى بلغت درجتها الاربعين ، يرتجف ويعرج ، كان منظره يهتف من بعيد : اني معتقل . . . وعندما انتهى الوقت وطلبنا اليه ان ينتقل الى الطرف الثاني من الساقية ، قفز كأي عنز جبلي ! ثم اخذ يعرج مرة ثانية ويمشي بصعوبة بالغة مدعيا بأن رجليه يؤلمانه ، ولما اعترضت على ادعائه هذا ، انبرى لي بلحن ينم عن النزاكة والادب ! مطرقا راسه : انا لا اكن عداء شخصيا نحوك وانت كذلك ، فلا تلح علي بعد - كان الدكتور جوان ينصت باهتمام الى اقارضا وهو يتلو عليه هذه التفاصيل ، وعيناه لا تفارقاني . . . تقدم مني فجأة كمن تذكر شيئا لتوه ، وقف على بعد خطوتين مني وتفرس في وجهي لثوان وهو يعض شفته السفلى ، ومن عينيه تتطاير آلاف السباب ، ثم التفت الى احد الساواكيين قائلا : كان علينا ان ندرك منذ اول وهلة بانه لا خير يرجى من ابن العاهرة هذا ، وهكذا فاننا تكبدنا كل هذه المتاعب معه بدون مبرر وجدوى ، هيا ، اذهب ، وهات دراجته وسلمها اليه ، ليولي عنا ونتخلص من شره . تملكني شعور مفاجيء بفرح شديد لا يمكن تصوره شعرت بالراحة تظللني باجنحتها الدافئة ، لكن كل هذا الفرح لم يدم سوى لثوان معدودات فلقد انتبهت بسرعة الى ان هذا الامر ليس سوى احدى (البلوفات) الصغيرة للدكتور جوان يبغي من ورائها ان يتأكد من ادعائي بالآلام التي اعاني منها في رجلي ، وهل استطيع الصعود الى الدراجة ام لا ؟ لذا قلت له ، والمأمور متوجه الى الدراجة :

- انا، لو كانت قدماي تسمحان لي بالسير عليهما، لذهبت مع الجماعة مشيا الى الموعد ، كيف استطيع اذن ركب الدراجة وقيادتها ، فاما ان تأخذوني الى البيت بالسيارة وهذا ما اشكركم عليه ، والا فاني لا استطيع ان اخطو خطوة واحدة . . . تملكته ضحكة رغم انفه ، فحال دونها مخاطبا المأمور : تعال . . . تعال خذه بالسيارة ، وتوارى هو عن الانظار . بعد ساعة واحدة كنت في (اوين) في الزنزانة اقص على الرفاق وقائع ما حدث لي . . .

١٦ شهريور ـ ٧ سبتمبر (ايلول)

وضعوا اليوم ضمادات جديدة على الاماكن المجروحة والمكدومة من رجلي ، ولم يبق من الصداع الذي لازمني لعدة ايام ، اي اثر ، وغدوت قادرا على السير بشكل طبيعي ولذلك فلقد اشتركت في برنامج التمشي لهذا اليوم ، وحيث لا زلنا في الايام الاوائل من الاعتقال ، فان جميع تصرفاتنا تجري بحذر وحيطة بالغة ، ذلك لان احدا منا لا يعرف مصيره بالضبط ولا يعرف المحيطين به من السجناء ، ولا تتجاوز اغلب احاديثنا القضايا التاريخية او العلمية البحتة لنفس هذا السبب . تعالى الضجيج في الممر وشرع الحراس يذرعون الممر جيئة وذهابا ، فعلمنا ان الوقت ظهر ، طرقنا الباب ليفتحوها لنا ونذهب الى المرافق ، ونضمن بذلك الخروج مرة ثانية بعد تناول طعام الغداء بحجة غسل الصحون والمواعين ... تناولنا طعام الغداء وشرعنا نتمشى ، فلما فرغ الجميع وحل وقت غسل الصحون ، استغل الرفاق الفرصة وغسلوا عدة قطع من الملابس الداخلية اضافة الى الصحون ... ولقد حصل الرفاق على عدة اوتاد حديدية ثبتوها على الحائط ... وكانت هذه الاوتاد عزيزة علينا جميعا اذ عليها كنا ننشر الملابس بعد غسلها ، وبطبيعة الحال كان علينا ان نهرع اليها فنقتلعها عند الشعور بمقدم الحراس او المسؤولين حتى لا ينكشف امرها اذ كانت من جملة الاشياء المحظور حيازتها من قبل السجناء !

الساعة الآن هي حوالي الثالثة، اتى الجلادون يستفسرون عن احد الرفاق ، فاخذوه وكنا نظن انه قد اقتيد الى التحقيق لذا ساورنا قلق شديد عليه ، لكنه عاد بعد مدة حاملا معه اكياسا مليئة بالفواكه والخبز والقند فعلمنا انه كان قد اخذ لمواجهة اقاربه وانه تاخر لذلك السبب ، اذ لا يسمح لاي شخص بمواجهة اقاربه في معتقل اوين وكان هذا الرفيق قد اخذ الى سجن قزل قلعة لهذا الفرض ..

اضاءة المصابيح ، تعني لدينا ان شمس يوم آخر قد غاب وطويت من حياتنا صفحة اخرى ، واول شيء نتوقعه هو فتح البوابة الصغيرة ودخول يدين تمسكان بصينية تحوي طعام العشاء . فتحت البوابة كالعادة ، لكن اية ايد لم تدخل حاملة الصينية التقليدية بل دس حارس راسه داخلا وبعد ان نظر الى القائمة الصغيرة التي كان يحملها في يده ، تلا اسمي وطلب الي ان اجمع جميع امتعتي فورا . تبادلنا مع بعضنا نظرات تساؤل لكن ايا من الافواه لم تنطق بشيء فلقد عجزنا جميعا، كما يبدو، من معرفة السبب.

قال احد الرفاق بانه من المحتمل ان ينقلوني الى السجن العمومي ، وهذا ما افرحني كثيرا ، لكنه لا يعدو كونه احتمالا فقط ، على اي حال ، جمعت امتعتي التي لم تكن سوى سترة واحدة ! حملتها وسألت الحارس عند عودته الينا عن الجهة التي سيأخذني اليها ، لكنه لم يجب بشيء ... انهم لا يجيبون على اي سؤال من اسئلة السجناء ، وحتى فيما لو سألتهم عن اسم المكان الذي انت واياه فيه ، لما قالوا لك مطلقا انه « معتقل اوين » ... هكذا تقضي الاوامر ، فالسجين ، وفق مخطط مرسوم بدقة من قبل اجهزة الامن ، يجب ان يبقى معزولا عن العالم الخارجي تماما ، وهكذا فانه، اي السجين ، يبقى دوما في دوامة من القلق والارتباك . ارتديت سترتي وانتعلت حذائي المطوي عقبه ، ودس احد الرفاق في جيبي عدة تفاحات وبعضا من الحلوى ، تعانقنا وتبادلنا القبلات وشددنا بقوة على ايدي بعضنا البعض وعبارات الوداع : ليكن النصر حليفك ، وربت الرفاق على كتفي عدة مرات ، ورنت في الزنزانة وفي الممر لعدة مرات عبارة « ليكن الله في عونك » . سمعت وانا اجتاز الممر صوت باب الزنزانة تغلق ثانية ، اجتزنا الممر ، شاهدت في اسفل السلالم شخصا يحمل قليلا من الامتعة تحت ابطه ، متقدما في العمر ، علمت ان اسمه عاقلي زاده وسألته عن المكان الذي سنؤخذ اليه فأجابني بانه على الاغلب سنلحق ببقية الرفاق في السجن العمومي . حقا ، لقد اصاب ، ادخلنا الى البناية رقم (٢) وصعدنا السلالم، فانفتح امامنا باب غرفة واسعة ، وكان بعض نزلاء الغرفة قد تجمعوا خلف بابها لدى سماعهم وقع الاقدام وصوت المفتاح وهو يدور ، واستقبلنا في عتبة الغرفة بوجوه مستبشرة وباسمة ، حقا ، انه لامر باعث على الغبطة الشديدة ، ضحكنا جميعا فرحا ، نهض الآخرون جميعا حتى اولئك الذين كانت ارجلهم مثخنة بالجراح . اغلقت الباب ثانية وتجمعوا حولي في حلقة ضيقة رغم كبر عددهم ، وتعارفنا على بعضنا البعض وتصافحنا . ان المرء ليشعر بانه سبق وان راى جميع هذه الوجوه ، لذا تتزاحم في المخيلة الاسئلة المتلاحقة : اين رايت هذا ؟ واين ذاك ؟ واين الآخر ؟. انتهى التعارف، وجلس الواقفون ، وتبين ان في جعبة عاقلي زاده بعض الاخبار ، فأمطروه بالاسئلة بولع متميز . كنت جالسا على وسادة صغيرة اتفرس في الوجوه الحالمة حولي ، فلربما عرفت احدا منهم باسمه ! والجميع هنا معارف واصدقاء ولا شيء يحجز بعضنا عن البعض الآخر ... اقترب مني شرف الدين وربت على كتفي فلما التفت اليه ، امعن النظر في ملامحي قليلا ثم قال مبتسما : ــ

ـ انك تشبه اخي بشكل يثير الدهشة ... ولقد كاد ان يشتبه علي الامر فاحسبك اياه . قلت له :

ـ لا فرق ، فانا ايضا اخ لك . عانقني بحنان وقبلني . ما اشده مرحا ورقة ... ما اشد طيبة هؤلاء الثوريين وخفة ظلالهم ! لم اعد احس باي شيء من القلق والانزعاج هنا ، الجلاس والندماء كثيرون ، المكان فسيح والوسائد والاغطية متوفرتان ، وفوق كل ذلك هناك بعض الكتب مثل « سفرنامة ناصر خسرو » وكتاب فلسفي ، وعدة اجزاء من سلسلة « كتاب الاسبوع » ومجلات اجنبية مثل التايمز والنيوزويك . ليس هنا من يقول لك : « تكلم بصوت واطيء » او « لا ترفع صوتك » كلما اردت الكلام ، ولدينا برامج ترفيهية كالغناء ، التسلية ، الرياضة وغيرها وقد جرى تقسيم العمل بشكل منظم لا يليق الا بالمناضلين : ينتخب يوميا شخصان حسب توالي اسرة النوم يدعيان « رئيس البلدية » مهمتهما الاشراف على قضايا النظافة ، استلام الخبز والطعام وتوزيعه ، بسط السفر وغسل الفواكه والصحون ... وشخص آخر يدعى « المحافظ » يقوم بمهمة تقسيم الفواكه والحلويات وتعين اوقات التوزيع واعلان البرامج اليومية .. وكانت الاجتماعات تستغرق ساعتين او ثلاثة كل يوم يتم خلالها الاتفاق على وقت توزيع الحلويات والفواكه ، انتخاب رئيس البلدية من احدى المجموعات ويتم احراز كل شيء بالاتفاق الاجماعي . وعلى اي حال ، فان هذه الاجتماعات لم تكن تخلو من المزاح والهزل طوال انعقادها .

في هذه الليلة شكل الرفاق حلقة دائرية ، وتعالى صخبهم وضحكاتهم ، لم يعلن البرنامج بعد بشكل رسمي . جلست بالقرب من مؤيد وهو منهمك في خياطة سروال عمل واسع الرجلين تمزق ، نظر الي وهو يحاول قطع الخيط بأسنانه وسالني عن التهمة التي القي القبض علي بسببها ؟ ، حلق راسه لتوه وقد اكتسب بهذا الراس المحلوق قيافة تفيض ذكاء وشيطنة ، ابتسمت وقلت :

ـ لا شيء ، بلا سبب ، اعتقلت من دون مبرر .

ضربني على صدري بظهر يده وبخفة قائلا وعلى شفتيه ابتسامة ساخرة :

ـ الكلكات حتى معنا ، لم يعد هناك من مبرر نعم ! كل هذا العذاب للاشيء ؟ من يصدق ذلك ؟...

توثقت العلاقات بيننا الى حد بعيد بعد هذا الحديث القصير ونشات بيننا علاقات ودية للغاية . كان اكبر رفيق سريع التآلف ، مندفعا ، يتدفق

نشاطا واخلاصا ، كان بمقدوره ان يلج كل قلب دونما اية مقدمات وان يجد له مكانا فسيحا في كل قلب ، كان قطعة من الحركة والنشاط ، لم يكن يعرف للهدوء والاستقرار معنى حتى للحظة واحدة ، كان بمثابة «الدينمو» المحرك للنشاط في القائمة رقم (٥) ، الابتسامة لا تفارق شفتيه قط ، يقوم بحركات واعمال يقتلع الضحك والقهقهة من الاعماق يرهف الاحساس ، صعب وصارم في المسائل الجدية ، عميق الفهم لقضايا الحركة وسريع الاستيعاب لكل المسائل المطروحة ، لكنه كان يفتقر الى التجارب العملية لقلة ممارساته الثورية خارج السجن ، اذ كانت مثل هذه الممارسات قليلة بالذات عند ذاك ، كان يسخر من الموت ... ولم يكن يفكر قط بان له ابا واما على رغم كونه وحيدهما ... لم اكن استطيع التصور ولم يكن احد غيري يستطيع ، بانه سيعدم ، كلا لم يفكر احد في ذلك مطلقا ، هل يستطيع الجلادون ان يقدموا على الجريمة النكراء مع مثل هذا الانسان ؟... لكنهم اعدموه ، لانه كان قد اشترك في مداهمة احدى محاكم الشاه العميل المعادية للشعب واصلاها بوابل من نيران رشاشته ... لانه لم يرض باساءة سمعة مجموعة من ثوار منظمة « فدائي الشعب » حتى في احدى المحاكمات السرية ولدى تلاوة المدعي العام ، الآلة المنفذة لاوامر الشاه الجلاد ، قرار التجريم ضده واصفا اياه ورفاقه « بالعصابات » ، صاح عليه اكبر مؤيد قائلا :

ـ يا عديم الشرف قل « فدائيي الشعب » .

لنعد الى السجن . اعلن البرنامج رسميا وساد القاعة صمت عارم وترك كل شخص ما كان منشغلا به ، شرع البرنامج ، الفقرة الاولى عبارة عن عشرين سؤالا ، انتخب احد الرفاق لالقاء الاسئلة وثلاثة آخرون للاجابة : ـ

١ ـ جامد ... ١٥ ـ ... ١٦ ـ ... ١٧ ـ نظرية خاصة ... ١٩ ـ سبيل الكفاح المسلح . (هكذا شرع الجميع يتهامسون بينهم بالاجوبة قبل الافصاح عنها) .

يوضح طارح السؤال بانه يعني استعمال تاكتيك لا ينفصل عن السلوك المسلح المؤدي الى الكفاح المسلح ، ... ٢٠ ، ... ٢١ ، انتهت الاسئلة ، لا يمكنهم الاجابة على الوجه المطلوب ، يشرع رفاق آخرون بالقاء الاسئلة : ... اهو تشكيل الحزب ؟... كلا ... اهو حرب الانصار في الجبال ؟.. كلا .

اجاب طارح السؤال : الدعاية المسلحة (Armed Propaganda) ،

تعالت الهمسات : آه ... صحيح ... انا تصورت ...

حان وقت النوم ، لكن الرفاق لا يغلبهم النعاس . اطفئت المصابيح ... الساعة هي الثانية عشرة ... تعالت الهمسات ثم تضاءلت الى ان تلاشت بشكل تدريجي . اجفاني تأبى الانطباق على بعضها ، فهي ليلتي الاولى في السجن العمومي ... غط الرفاق جميعا في نوم عميق وتعالى الشخير من البعض ... لا اعلم كم هي الساعة ؟

١٧ شهريور – ٨ سبتمبر (ايلول)

في الصباح ، استيقظت مع اول قرقعة احدثها انفتاح الباب ... الجميع لا زالوا نياما ... خرج من القاعة واحد او اثنان من الرفاق الدينين للتوضؤ . نهضت وجلست القرفصاء على المنام ، ارتفعت الشمس شبرا او اكثر من خلف الافق بينما انهزم آخر جحافل الظلام ... استيقظ الرفاق الواحد بعد الآخر وجمعت الاغطية ، بينما جلس البعض على مرتفع حول الحديقة ليعرضوا انفسهم لاشعة الشمس التي لم تشتد حرارتها بعد . اوامر مدير السجن تقضي بالا يخرج السجناء في مجموعة تزيد على الخمسة اشخاص ، تتبعها مجموعة اخرى بعد ان تعود المجموعة الاولى ... وهكذا توالى خروج المجموعات وعودتها ... قضى كل فرد حاجته ، وبسطت السفرة كشريط ابيض طويل على امتداد القاعة ووزعت عليها قطع الخبز على مسافات متساوية من بعضها تقريبا وجلس الرفاق حولها . يحمل المحافظ وعاء مليئا بالجبن وشرع يوزع قطعا صغيرة منها على كل قطعة خبز ... اليوم يبعث على الراحة والاطمئنان ... لدينا شيء من مادة السكر اذا نستطيع ان نشرب شايا حلوا حيث ليس هنا حديث عن الشاي المفعم بالقند الوفير ولم يعد هناك ذكر للاقداح الاعتيادية الكبيرة .... رصفت الاقداح البلاستيكية الصغيرة بجانب بعضها وعدد من قناني الحليب المعقم واثنان او ثلاثة اقداح من اللبن في وسط الخوان ثم غطت بقطعة نايلون نظيفة ... فتح الباب ودخل اثنان من الجنود يحمل احدهم عليه قند والآخر ابريقا كبيرا «انبعجت» اطرافه من فرط قدمه... رفعت قطع النايلون من على الاقداح وملأها الجندي بالشاي الواحدة بعد الاخرى ثم ناول زميله احد الرفاق شيئا من القند ، غادرا الغرفة واغلق الباب مرة ثانية ... تناولنا الفطور بشهية فريدة ، ونظف كل امامه مما تجمع من فضلات ثم تنحى جانبا وانهمك رؤساء البلدية بطوي السفرة وصبت خميرة

الخبز في كارتون خاص .. حان الان موعد كنس القاعة فتولى امر ذلك احد الرفاق حسب الجدول وكنس الغرفة الى العتبة بعناية بالغة بحيث لم يثر اي غبار ، ثم نظف الرفوف من الغبار العالق واعيدت الادوات والحاجات المستعملة الى اماكنها بشكل مرتب وشرع احدنا بغسل الفواكه المخصصة للتوزيع لهذا اليوم ... انقسم الرفاق خلال ذلك الى مجموعات متفاوته في العدد ، البعض يتحدثون ، وآخرون يضحكون لنكتة اطلقها احدهم ... المحافظ منهمك في صنع بيارق الشطرنج من خميرة الخبز الطرية ، اربعة من الزملاء يلعبون النرد واثنان يلعبان الشطرنج باهتمام وولع خاصين وجمع من الرفاق يراقبون اللعب حولهم ، وتتوالى التعليقات حول اللعب .

احد الرفاق متوعك قليلا ، مضطجع على فراشه يتمتم مع نفسه اشعارا لرية (١٥) ويحفر كلمات الاشعار على ورقة المنيوم بواسطة مسمار ... وفي طرف آخر من القاعة اثنان من الرفاق يطالعان بعناية موضوعا حول حركة « الفهود السود » في احدى المجلات الاجنبية وعدد آخر يذرع القاعة جيئة وذهابا ... وثمة فئة اخرى تجمعت حول الاستاذ بي وهو يتحدث اليهم ، وآخرون يتلون القرآن الكريم في احدى زوايا الغرفة ... وبيننا شخص آخر اختار العزلة عنا جميعا قابعا خلف الشباك غارقا في تفكير عميق ... هكذا شانه طوال اليوم ، لا يكلم احدا ولا يقوم باي عمل ولا يترك مكانه الا في حالات قليلة فيخطو خطوات معدودة في وسط القاعدة ثم يقفل راجعا الى صومعته !

الساعة الآن هي العاشرة ، فتح الباب ونودي على ثلاثة من الرفاق ، وتعالى صوت البعض قائلين : ماذا هناك ، هل عادت القصة مرة اخرى ؟ اقتيد الثلاثة المذكورون الى الخارج ثم عادوا بعد ساعات قلائل . كان احدهم قد اشبع ضربا ، بينما اكتفى الجلادون باستجواب الاثنين الآخرين ... ترك الجميع اعمالهم وتجمعوا حول هؤلاء الثلاثة : ــ

ــ حسنا ، ما الخبر ...؟ ما الذي طلبوه منكم ؟ من من المحققين كان هناك ؟ من حقق معك ؟.. هل ضربوك كثيرا ؟ هات بالمرخم ... هل رايت ايا من المعتقلين الآخرين ؟

ــ نعم ...

ــ وماذا قال لك ... هل هناك اخبار جديدة ؟

ــ الطلبة اضربوا عن الدوام والجامعة اغلقت ... اعتقلت مجموعة اخرى ولست ادري عنهم وعن اسمائهم شيئا .

---

(١٥) اللر احدى العشائر الكردية الايرانية تتكلم بلهجة خاصة ــ المترجم .

احداهما واقفة تنتظر التاكسي . فقال لي الساواكي : لو كنت اعلم انهم سيمكثون في الداخل لهذه المدة ، لكنت قد اخذتها الآن ونلت منها بغيتي!، آه لسوء حظي !!. تمنيت لو كنت احمل سكينة اغرقها الى المقبض في قلب هذا التافه القذر واتخلص منه . عاد الثلاثة . ولئلا ينطبق عليهم المثل المشهور (عادوا بخفي حنين) ، جلبوا معهم ما يقارب الستة من الكتب المختلفة ، اخذوها من الطاق الصغير الواقع في غرفتي وكانت امارات الخجل والشعور بالفشل وخيبة الامل بادية على وجوههم بجلاء ، وبدا لي ان خوف التعرض لهجوم مفاجيء في اية لحظة لم يبارحهم طوال تلك الفترة ، لذا ظلوا مبهوتين لمدة طويلة لا يتحدثون بشيء . . . واخيرا ، تجرا المامور الذي بقي معي على كسر جدار الصمت مستفسرا : ـ

ـ ماذا كانت النتيجة ، هل حصلتم على شيء ؟

كان اقارضا يحترق غيظا لفشله الذريع في تحقيق ما كان يهدف اليه ، فانفجر في وجهه غاضبا ككومة بارود اضرمت فيها النار :

ـ ماذا كنت تتوقع ان تحصل عليه ، غير سيل من عبرات امراة عجوز ، تجد نفسها وقد قضت زهرة شبابها تربي ولدا ، لكي ياتي ذلك اليوم الذي تستطيع ان ترتاح في كنفه ، وقد حان ذلك الوقت فعلا ، لكنها لا تدري بأن ابنها البار ! قد تورط في السياسة !! وبطريقة جيمزباندية ، حاملا اطار دراجة في يده يمشي في الشارع . . . قل لي ايها الفلام ، اين ولى عقلك ؟ ما شانك بمثل هذه الاعمال وانت لست سوى عامل بسيط ؟ ان الانسان ليتحرق بكاء عليك وعلى تلك العجوز امك وعلى الحياة القاسية التي كنتما تعيشانها . . . ماذا كنت تتخيل ان تجني من وراء هذه الاعمال ؟ . . . كيف كنت تبغي اشباع بطن امك وبطن اخيك ؟ ابكتب ماركس وانجلز وماو ؟ حقا ان الانسان لتاخذه الحيرة بشانك ، الم تاخذك الرافة بتلك العجوز على الاقل ؟ . . . لقد كانت المسكينة تبكي وتنوح وتصرخ : ابني . . . اين ابني بشكل يذيب الصخر !!

توقف هو عن الكلام ، فانبرى لي شخص آخر منهم ـ يشبه مجرما محترفا على حد تعبير امي كما وصفته لي بعدئذ ـ وهو يقلب الكتب : ـ

ـ ما هذا الكتاب الاجتماعي ، وما هذا الكتاب الجنسي ؟ قلت :

ـ ما وجه الضرر فيهما ؟ كنت ابغي مطالعتهما (ولا بد ان اذكر هنا بأني لم اكن اعرف اصلا من اين اوتي بهذين الكتابين ، ومن المحتمل ان واحدا منهم اخرجهما من جيبه ودسهما بين الكتب نيلا مني) .

وقال آخر : التقينا في داركم بعمتك وابنتها ، وابلغتنا انه مضى على

فتح الباب بعد قليل ، والمطلوب هو انا في هذه المرة ، امرت بالتهيؤ فانتعلت حذائي ، وغطى الحارس وجهي بسترتي وسحبني من يدي خارجا، نزلنا من السلالم ودخلنا الفناء ، فتح امامنا باب حديدي ودخلنا القسم الاول من السجن وصعدنا سلالم اخرى ووجدت نفسي فجاة في الممر المؤدي الى غرفة الاستجواب والتعذيب ... رفع احدهم السترة عن راسي وسالني :

ـ هل انت (...) (ذاكرا اسمي)

ـ نعم . فتوجه الي آقارضا قائلا :

ـ انظر ، نحن نبغي الذهاب الى منزلك ، دون العنوان الكامل الدقيق لمنزلك على هذه الورقة (ناولني ورقة) .

فدونت على الورقة اسم الشارع الرئيسي والشارع الفرعي واشرت موقع الدار . نزلنا من السلالم ودفعني اربعة اشخاص الى داخل السيارة تحركت بنا حالا . كان احدهم يحمل رشاشه غطاه بسترتي عند وصولنا . كرر اقارضا في الطريق نصيحة علي لعدة مرات : ـ

ـ انظر ، ان كان هناك في بيتك مخزن ، او مخبأ او اي مكان خصوصي لاخفاء الاشياء ، فاكشفه لنا ولاتخلق لنا ولنفسك المشاكل والمتاعب ، وانت تعرف جيدا ما ينتظرك لو عثرنا على شيء من هذا القبيل .

ـ اؤكد لك بانه لا شيء من هذا القبيل موجود في دارنا ، بل ان كنتم تريدون راي ، فاني اؤكد لكم ان لا حاجة لتفتيش بيتنا اصلا ، اذ لن تعثروا على شيء ولن يؤدي التفتيش الا الى ارعاب امي ... انا لا املك شيئا سوى عدة كتب مهملة في احدى الرفوف وهي ليست سوى كتب اعتيادية .

كانت السيارة التي تقلنا الى بيتنا من نوع « بيكان » بيضاء اللون ، اوقفت امام دارنا ، وترجل منها ثلاثة منهم بينهم اقارضا نفسه . وابقيت انا مقيد اليدين تحت رحمة احد رجالهم الاقوياء . كنت قد اطرقت راسي لئلا يشاهدني احد اقاربي ، وكان على مقربة مني يقف احد رجال السافاك . وثمة امراتان تتحدثان بالقرب منا ، كانت احداهما تنوي توديع الاخرى . فابتعد السافاكي التافه عني ووقف بالقرب من المراتين اذ لم ينس اهواءه الشيطانية حتى اثناء تاديته لواجبه ... شرع ينظر اليهما بعينين تقطران شهوة وشوقا ، فاقترب مني ثانية وهمس قائلا :

ـ حبذا لو كان بوسعي ان احملهما بهذه السيارة ، اية قطعة جميلة هي هذه !! طال مكوث الثلاثة الذين ذهبوا لتفتيش دارنا ، بينما ظلت

عدم ترددك عليهم ما يقارب الاسبوعين ، ولهذا جاءت هي وابنتها تستطلعان الحقيقة . اما النقطة المهمة هنا ، فهي موضوع خطيبتك ، فعندما القينا عليها بعض الاسئلة حول القضايا المختلفة ، اجابتنا بشكل دل على علو ثقافتها ، ويبدو لي انك كنت تثقفها بنفسك وتبغي تحويلها ، هي الاخرى ، الى سياسي مثلك ! اليس كذلك ؟... صرخ اقارضا في وجههم (عندما راى انهم شرعوا ياخذون الموضوع بالسخرية الامر الذي يمحي تاثير موعظته الطويلة علي) قائلا : ما هذه السفاسف ، لماذا لا تدعونه يفكر في بيته ، وحياته ، وماساته ، كفاكم هذرا . فسكت الجميع . حقا ان اقارضا حريص جدا علي !! حقا انـه لثعلب ماكر !! انه ينوي تحويل انظاري الى اوضاعي الشخصية بحيث تسيطر رداءة الواقع الماشي الذي كنت اعيش فيه على تفكيري ويدفعني باتجاه التفكير في ان واجبي هو السعي لتحسين هـذا الواقع الماشي المزري لا التورط في مسائل اخرى انا في غنى عنها !! وبالتالي استنتج باني في وضعي الحالي لست سوى انسان مضلل ومخدوع ! وباني قد تورطت في هذه المسائل عن غباء ذاتي دونما مصلحة خاصة ... لقد كرر عدة مرات الحديث عن الدموع السخية التي ذرفتها امي وبؤس اخواتي الصغار ، محاولا دغدغة عواطفي وتحريكها واثارة كوامن العطف في قلبي فيركعني امام هذه الروابط العاطفية ذليلا خانعا . لكني كنت على يقين تام بان دموع التماسيح هذه التي ذرفوها على امي انما تهدف الى ارضاخي للامر الواقع واجباري على الشعور بالعطف عليهم وعلى اسيادهم ... حقا انـه من السخرية التي لا يطيقها المـرء الثوري : العطف على الاعداء !! هذا العدو الذي يثقل قلوبنا حقدا عليه وكرها له ، العدو الذي احدث في افئدتنا كل هذه الجراحات العميقة التي لا تقبل الالتئام ! والا فمن ذا الذي يفيض حبا واخلاصا للآخرين بقدر الانصار الثوريين ؟ اننا نذوب حبا لامهاتنا ، لآبائنا، لاخواتنا ولاخواننا ولكل الناس الطيبين الذين تسحقهم طاحونة الدكتاتورية الجائرة وتمارس ضدهم ظلما طبقيا لا يطاق خدمة لاسيادها الامبرياليين .

عدنا الى « اوين » ، صعدنا السلالم وبقيت برهة في الممـر انتظر مـا سيستجد من الحوادث . قدم شخص نحوي ورفع السترة عن وجهي فلما لمحته ظهر لي انه طهراني وطلب الي ، بكل لطف وادب ، الجلوس على كرسي وضع في الممر مقابل مكتبه ثم امر لي بفنجان شاي ساخن وجلس هـو بجانبي ومد يده ومسكني من يدي ! وادار شريط اللغو الفارغ الذي سئمت تكراره : حبيبي (...) ، مم تخاف ؟ لماذا كل هذا الامتناع عـن ذكر مـا في قلبك ؟ اليوم تفحصت اضبارتك بدقة ولعدة مرات ، فتوصلت الـى

حقيقة انك قد تركت كثيرا من القضايا المهمة ولم توضحها لنا ، الم تعد بأن لا تبقي شيئا في صدرك ؟ هل لا زلت تشك في صدق نوايانا وصداقتنا بحيث تردد في سرد جميع المعلومات لنا ؟

قلت : انا ذكرت لكم كل ما اعرفه ولم استبق شيئا ، ما هي الاشياء التي لم اتحدث عنها ؟

اوتي بالشاي داخل فناجين كبيرة وجميلة مرصوفة بعناية على صينية خزفية ! وقبل ان يجيبني طهراني على سؤالي ناولني فنجانا من الشاي وطلب الي ارتشافها ، ثم استأنف الحديث مرة اخرى قائلا : انظر ، نحن لم نسلك معك سلوكا عدوانيا ، وسنسعى الى الاستمرار هكذا ، ولا نبغي ايذاءك مطلقا ، هيا امسك بهذا القلم واكتب كل ما يدور بخاطرك من صغيرة وكبيرة ، تذكر ، لماذا نسيت المكان الفلاني فاجبرتنا على ايذائك وتعذيبك ؟ نحن اعتبرنا ، في قرارة نفسنا ، هذه النواقص في اضبارتك من قبيل النسيان ، وهو كذلك ، ذلك لانك ابديت التعاون معنا ! ولنفس السبب فاننا سنتصرف معك بطريقة لا تنم عن غير الصداقة والاحترام تجاهك ، والآن ارجو انك قد اعرت آذانا صاغية الى ما ذكرته ، وسوف آتيك بالاوراق حالا وما اريده منك هو ان تجلس وتفكر بهدوء وعمق ثم تذكر باسهاب كل ما يمر بذاكرتك من وقائع منذ اول يوم بدات فيه حياتك السياسية ، ما صادفك خلال هذه الفترة ، العلاقات التي كونتها مع الآخرين ونوعيتها ، عمليات مبادلة الاراء مع الناس الآخرين ذاكرا اسماءهم ، الكتب التي طالعتها ... اياك ان تترك شيئا او تغفل عن ذكر حادث مهما صغر ، او ان توجز في السرد اذ ان كل ذلك من شأنه الاساءة الى هذه الصداقة الوثيقة التي تكونت بيننا !! ثم قام واندفع نحو مكتبه وعاد حاملا معه رزمة من الاوراق تبلغ الـ (٥٠ ـ ٦٠) ورقة ويبدو انه كان يتوقع ان اسرد له رواية ! جلست على الكرسي ، تذكرت حديثه كلمة فكلمة ، ولم يكن بوسع فنجان الشاي الحار والعبارات الودية التي تنضح محبة واخلاصا ان تمحي من ذاكرتي لسعات سياطه التي هوى بها بكل وحشية على جسدي لمرات ومرات اذ لم تكن ضمادات رجلي قد رفعت بعد من على الجروح رغم مرور سبعة ايام بلياليها ، وكنت لا ازال احرك رجلي بصعوبة بالغة عند السير ، ولما تزل السباب البذيئة التي اطلقها لسان هذا الجبان المحتمي في لباس ام رؤوم ترن في اذني . دعنا من السياسة الآن ، لكن هل تستطيع العبارات الودية لحضرة السيد ! طهراني ان تمسح عن ذهني كل ما قاسيته على يد هذا الجلاد ؟ لم تمض مدة طويلة ، على تلك الايام والليالي السود حيث

كان ينقض فيها علي هذا الطهراني بالذات كالنسر الجائع يغرز مخالبه الحادة في جسدي ، يهوي علي باللكم والركل والسياط اللاسعة من الراس الى اخمص القدمين ...

على اي حال ، كررت كتابة ما كنت قد كتبته وادليت به سابقا بدون اية اضافات ، بل اختصرت منه بعض الاشياء ، « انهم لا يبغون من وراء عمليات التكرار هذه سوى الاطمئنان على صدق ما كتب سابقا فلربما ظهر التناقض او الكذب عند التكرار ، وعندما يتملكهم الياس من تحقيق اية اضافات جديدة ، فانهم يقتنعون من اني لا اعرف غير ما دونته وادليته به لهم مرارا » ، هكذا فكرت في نفسي ومن هذا المنطلق انطلقت عند تكرار العملية ، ولقد صدق ما ذهبت اليه فعلا .

ولا بد هنا ان اشير الى السلوك الودي الذي اتبعه الساواكيون معي اخيرا ! اذ ان ايا منهم لم يمسسني باذى بعدما انقض علي جمع منهم لآخر مرة في سجن قزل قلعة الامر الذي اشرت اليه في مكان آخر من هذه المذكرات ، ويرجع سبب ذلك الى التصرفات المصطنعة التي قمت بها والسلوك الساذج الذي مارسته خلال عمليات الاستجواب والتحقيق الامر الذي حملهم على الاعتقاد الراسخ باني لست سوى انسان ساذج وان تورطي في السياسة لم يكن لسبب غير السذاجة وعدم الفهم ! وكان احتفاظي بخط ثابت في التصرف والسلوك وهدوء وبرودة اعصاب عند الاستجواب ، بعيدا عن ايقاع النفس في التناقضات والمتاهات ، كل ذلك رسخ اكثر فاكثر التصور الذي اخذوه عني .

كان الوقت قد تاخر عندما رجعت الى الغرفة رقم (٥) ، وحال دخولي امطرني الرفاق ، الذين كانوا في بالغ الاستغراب من تاخري بهذا الشكل ، بالاسئلة المختلفة فأوضحت لهم كل شيء كما ينبغي ..

١٨ شهريور – ٩ سبتمبر

استدعي اليوم الرفيق اكبر مؤيد ، اقتادوه ووجهه مغطى بمنشفة ... بعض الزملاء مشغول في اعماله وواجباته اليومية ، ورفيق مضطجع في احدى زوايا القاعة على الفراش لاصابته بوعكة صحية لم يشف منها بعد ، وهو يتأمل الاسماء المدونة على الحائط فوق راسه ويعدها ... فكل من يسوقه حظه الى هذا السجن يكتب اسمه على الحائط وهذا تقليد يمارسه اغلب السجناء ...

كانت الساعة قد بلغت العاشرة والنصف اذ فتح الباب ودخل منه اكبر مؤيد ، كان يحاول اخفاء حزنه ، لكن سيماءه لم يكن يدل على غير ذلك. والح عليه الرفاق ليقص عليهم ما جرى له ، فنزل عند رغبتهم : لقد سقوني سوء العذاب ، بداوا معي وكاني صديق حميم لهم وعزيز عليهم : ايها السيد المهندس ، اليس من الحيف ان تجلب على نفسك كل هذا العذاب ؟ وتقحم نفسك في هذا العمل مع شخص امي مثل جعفر نجفي ؟ فلم يكن هذا والله ليجدر بك ابدا . لقد كان بوسعك ان تحصل شهريا على اثنتين او ثلاثة آلاف من التومانات ، فماذا دهاك لتتورط في مثل هذه المتاعب ؟ هب انك كنت تشعر بنوع من الرضا او السخط في البلاد ، الم يكن من الافضل ان تشغل منصبا في احدى ادارات الدولة وتقف بوجه مصدر السخط ؟ حسنا ، ليس كل ما حدث بذي اهمية فدعنا منه ! فلست الآن منزعجا لسبب من الاسباب ، اليس كذلك ؟ ما حدث حدث ، هل ترغب في ان نتمشى قليلا سوية ، وان نرتشف كاسا ، ثم نتجول قليلا في الميادين والساحات ...؟ آه ، تذكرت ، هل لا ينقصك شيء ؟ وهل لا تشكو من شيء ؟ لا تشعر باي حرج او خجل . اذا رغبت في معاشرة النساء او ما شابه ذلك فسنكون في منتهى السرور ان نوفرها لك ، وبين الاحباب تسقط الاداب كما يقول المثل ، اليس كذلك ؟... حسنا ، ماذا تقول الآن؟ ما رايك ؟

ـ اجبتهم بخشونة قائلا : يبدو انكم نسيتم التهمة التي اعتقلتموني بموجبها ! ولما ايقنوا من انه لا خير يرجى مني، تركوني جميعا ، وما لبث ان اقبل طهراني والقى علي بعض الاسئلة ، ثم قال لي : « كان هناك في سيارتك قميص وسروال ، وقد جلبتهما لك ، فاتبعني » وما جرى جرى ... كان اكبر طوال النهار يبدو كالمصعوق ، حزينا ، شارد الذهن .

كانت الساعة تشير الى الثالثة والنصف مساء ، والرفاق جميعا نيام، عندما فتح الباب فجاة ودخل علينا طهراني لوحده . جلس على احد الاسرة واستيقظ الرفاق الواحد بعد الآخر من النوم ، فخاطبهم طهراني قائلا : ايها السادة ، ارجو ان لا اكون قد افسدت عليكم راحتكم ، اعذروني لدخولي عليكم في وقت راحتكم ! ولسوف لن اظل هنا كثيرا ! نادى على كلشائي وبعد ان همس في اذنه بعض الكلمات استدعى مؤيد (المقصود هو اكبر مؤيد ـ المترجم) وتبادل معه بعض الحديث ، ثم اطلق ضحكة عالية وشرع يصطنع بعض الحركات عند الكلام محاولا ان يظهر بان علاقته مع

مؤيد ودية جدا !! ثم استدعاني ، وخاطبني بصوت عال بحيث يسمعه الآخرون :

ـ نفذنا العمل الذي اوصيتنا به وارسلت الى والدتك مبلغ (٢٠٠) تومان وسوف ترسل لها من الآن فصاعدا مبلغ (٤٠٠) تومان شهريا كمعونة لها لادارة شؤون البيت الى ان يتقرر مصيرك ، والآن ، ليس هناك ما يستدعى القلق عليهم ، اليس كذلك ؟ وسوف نطلق سراحك خلال هذه الايام ان شاء الله !

ليس خافيا ما كان طهراني يقصده من وراء هذه المناورة ، الا وهو اثارة الشكوك والظنون حولي لدى الرفاق وخلق نوع من عدم الثقة نحوي لديهم ، اضافة الى تهيئة مستلزمات انهيار معنويات بعض الرفاق وتذليل الشخصية السياسية للبعض الآخر من الذين كان مهتما جدا بهم من بين الرفاق ، وهكذا يكون قد قتل عصفورين بحجرة واحدة ! لكن الرفاق كانوا على علم تام بما في جعبته مسبقا ، لذا فانه عاد من حيث اتى دون ان يترك حديثه ومناورته تاثيرا على احد ، وهكذا قبرت المحاولة اللئيمة .

١٩ شهريور ـ ١٠ سبتمبر (ايلول)

في الساعة العاشرة والنصف ، فتح باب الغرفة واندفع سجان داخلا وتلا اسمي بسرعة ، ولما عرفته بنفسي ، خاطبني قائلا :

ـ هيا ، هيا اسرع ، اتبعني ، ولم يسمح لي حتى باستبدال سروالي ولم يفسح لي المجال من كثرة الالحاح والدعوة الى الاستعجال ان اتفرغ لغير انتعال حذائي وسحبني من يدي من دون ان يغطي وجهي ، على غرار المرات السابقة . يا ترى ، ما الخبر ؟

نزلنا من السلالم ، وظل يسحبني بقوة وسرعة ، فاعترضت على اقتيادي بهذا الشكل مبينا بأن رجلي تؤلماني . . . فتمتم بأن هناك امرا في غاية الاهمية ولم يلتفت اصلا الى ما كنت اقول واستمر يسحبني من يدي وراءه . . . اجتزنا بابا حديديا ودخلنا فناء القسم الاول ، فرايت ان المكان يغص بمختلف انواع السيارات بيكان ، شاهني ، مارسيدس بنز ، فاكسهول . . . وهي على اهبة الاستعداد للتحرك وترسل محركات بعضها هديرا موحية بأن وراء الاكمة ما وراءها . . . انتبه الجميع الى مقدمي وتقدم احدهم نحوي وساقني الى داخل احدى السيارات دون ان يؤنب السجان على احضاري من غير تغطية وجهي ، كما كنت اتوقع . وفي داخل السيارة ، احاط بي احد افرادهم من كل جانب واستقر الدكتور جوان وراء مقود السيارة ثم اخرج احد الساواكيين من جيبه قيدا وقيد يدي به

بعد ان امرهما من تحت قدمي بحيث احدودب ظهري تماما وامرت بأن احني راسي بشكل لا ارى غير ارضية السيارة . اقلعت السيارة بنا ، وتبعتها السيارات الاخرى الواحدة بعد الاخرى ، وبعد مدة قيل لي ان بامكاني ان ارفع راسي ان شئت فلما فعلت والقيت نظرة على الاطراف علمت اننا قد اجتزنا ساحة (وي) . التفت جوان الي وسالني :ـ

ـ هل تعرف « ا » ؟ فهمت من يقصد ، لكنني تظاهرت بعدم الفهم فسألته :ـ

ـ من تقصد بـ « ا » ؟

فقال :

ـ اقصد « ب » (١٦) . اجبته بصوت واطيء : نعم ، اتقصدون (...) بالذات ؟ فأجابني : نعم ، قل لي ما هي اوصافه لارى هل تنطبق على الشخص الذي اقصده ، ... يغلب على لون وجهه البياض ، اليس كذلك ؟

قلت : كلا ، انه اعتيادي .

ـ كلا ، ان لون شعره كستنائي فاتح وهو غليظ الشاربين كأهل التصوف .

ـ انه قصير القامة ، اليس كذلك ؟

ـ كلا ، الواقع لا اعرف طوله بالضبط ، لكنه في نفس طولي .

القى نظرة على ورقة كان يحملها وهز راسه متمتما مع نفسه ببعض الكلمات المبهمة ، ثم توجه الي بالكلام قائلا : هذه لا تطابق المشخصات المثبتة لدينا ، ثم بدأ يتلو علي : شعر الراس اسود وقصير ، لون الوجه مائل نحو الابيض ، لا يملك شاربا ... القامة قصيرة تقريبا . اعتراني نوع من الاغتباط الخفي اذ توصلت الى التناقض الموجود في المعلومات المتوفرة لديهم . كان قد دون على ورقة صغيرة ما بينته له ... ونقلت محتويات الرسالة باللاسلكي الى السيارات الاخرى فورا ...

كانت السيارة تسير بنا بسرعة ، وساد داخلها سكون رهيب اوحى الي باننا اقتربنا من المكان الموعود . وقفت السيارة عند ملتقى شارع (خاني اباد) بشارع (مولوي) ، وترجل منها عدد من المامورين . اطلق

---

(١٦) «ا» يرمز الى لقب شخص اسمه «ب» كان يعمل سابقا في نفس المعمل الذي كنت اعمل فيه ، ومن هنا كانوا يعلمون بانني اعرفه .

جوان يدي واقتادني احدهم الى داخل محل حلاقة صغير يقع في شرق شارع خاني اباد وطلب من صاحب المحل ، الذي كان مشغولا بحلاقة راس احد الزبائن على الكرسي الوحيد الذي يملكه ، ان يسمح لي بالجلوس لديه لدقائق معدودات ، سحبت كرسيا وجلست قرب الباب وسمعت جوان يخاطب احد افراد زمرته قائلا :ـ

ـ طلبت الى شرطي المرور المسؤول عن المرور في ساحة (خاني اباد) ان يقطع السير من الشوارع الاربعة ويوقف اية دراجة بخارية تمر من الساحة .

اظافري طويلة نسبيا ، وامتلأ تحتها بالاوساخ فالتقطت مسمارا من الارض وشرعت في تنظيفها ... كان الحلاق ينظر الي بين الفينة والفينة ، واوحى الي وجهه ان في خلده سؤالا يريد القاؤه علي ...

كان جوان قد ابلغني بأن اريه الشخص المطلوب عند مروره من امامي، ومضت عدة دقائق من دون جدوى ، وفجأة سمعت جهاز اللاسلكي في السيارة القريبة جدا مني يقول : لقد اخطاتم ... المقصود بـ (خاني اباد) هو (خاني اباد الجديد) ... وليس المكان الذي قصدتموه انتم ، فليس هنا مقهى باسم مقهى « سواق سيارات اللوري » . تحركنا مرة اخرى ، بينما سبقتنا السيارة الواقفة امامنا بسرعة نحو « خاني اباد الجديد » . وصلنا المكان المقصود ، اما اين يتوقع ان نرى الشخص المطلوب ومن اية جهة من الشارع سيقدم ، فذلك لا يعرفه احد ، كما ان المامورين انفسهم لا يعرفون عن هذا المكان سوى اسمه ! المنطقة تتكون من بيوت مشتتة هنا وهناك وشوارع فرعية كثيرة التشعب من دون نسق ، اغلب البيوت مبنية حديثا وبعضها لا تزال في طور البناء ، تتصل المنطقة من الغرب بمنطقة (فلاح) وشوارع (ساوه) و (خلازير) و (نعمت اباد) ومن الشرق بالمدينة (١٧) ..

كنا نذرع الشارع بالسيارة جيئة وذهابا دون ان نعثر على شيء ، وعلى حين غرة انطلق صوت غريب من داخل السيارة ، صوت يشبه

---

(١٧) ادركت فيما بعد ان الساواكيين قد اهتدوا الى مقهى سواق اللوري بعد فوات الاوان حيث كان الرفاق الذين اكتشف موعد لقائهم قد غادروا المقهى . ولقد لعبت الصدف دورا كبيرا في اجتيازهم لخطر محدق بهم اذ كانت المقهى قد وضعت تحت المراقبة ونصب العدو كمينا لهم في اطرافها (نظرا لكون المنطقة مغلقة تقريبا من كل الجهات) الامر الذي يجعل الفرار مستحيلا .

استغاثة شخص يختنق ... صوت مبحوح كصوت من جثا على صدره الكابوس : تعالوا ... تعالـــوا ... النجـدة ... سيبيدوننا جميعا .. اطلبوا النجدة من الشرطة العامة ... ايها السيد الدكتور ... لقـــد شاهدوهم ... لقد اشتبكوا مـــع رجالنـــا ... هيا ... اسرعـوا ..

لما سمع جوان هذا الصراخ المتواصل ، صرخ في الجهاز : ماذا دهـاك ... لماذا تصرخ بهذا الشكل ... قل لي الى اين اتوجه ... اين انت .. في اي شارع ، لكن الصوت لم ينقطع في الجهاز وظل يستغيث ويطلب النجدة دون ان يعطي جوابا شافيا ... فلقد استبد بصاحبه الخوف بشـدة وانهارت اعصابه تماما ... لكن جوان كان بعيدا عن المازق الخطر ، لـذا حاول ان يبدي نوعا من الاهتمام المفتعل ويحافظ على برودة اعصابه امام رجاله وامامي كي يحتفظ بهيبته المزيفة ، فقطع الخط دون ان يفهم ما يدور هناك بالضبط ... وبعد اجتياز عدة شوارع ودورات هنا وهناك باتجاه الشارع الذي حدث الاشتباك فيه ، وصلنا تقاطع شارعين حيث شاهدنا سيارة (آريا) بيضاء اللون واقفة وليس فيها من احد غير السائق الذي طار الدم من وجهه فبدا اصفر باهتا مزرق الشفتين . اخرج يده من شباك السيارة واشار الينا ان نتجه شمالا وهو يصرخ : انهم هؤلاء ... هم ... فلقد قتلوا منا شخصا ... وظل يلوح بيديه مشيرا نحو المكان ...

حقا ان هذا السائق البائس الجبان اظهر بوضوح ماذا يعني المـوت بالنسبة له ولزملائه ، وكان حتى الشخص الذي لم يجرب الخوف ، بوسعه ان يعرف معنى الخوف ! صرخ جوان في وجهه وقد استبد به الرعب : اسحب يدك داخلا ولا تلوح بها ، ما الخبر ... ما الخبر ... لقد افهمت كل الناس ، ومر بسيارته من جانبه بسرعة كاد ان يطير معها يد السائق ، اجتزنا مسافة خمسين مترا نحو الشمال ووصلنا الى محل الحادث واول ما لمحته كانت سيارة بيكان بيضاء اللون تهشم زجاجها الامامي بفعل صلية من العيارات النارية اخترقته ، وطلقة اخرى اخترقت الباب الجانبي الايمن في اسفل المقبض وبجانب السيارة دراجة بخارية زرقاء اللون حديثة ومن نوع كاوازاكي مطروحة ارضا واطارها الامامي مغرق في الوحل وبجانبها شاهدت قبعة عسكرية مقلوبة ... ثم شاهدت رجلين يطلقان النار باتجاه ماموري الساواك وهما ينسحبان خلفا نحو بستان يقع مقابل المحل الذي كان مسرحا للاشتباك ، فهمت فيما بعد انهما كانا من المناضلين وقد اكتشف العدو امر لقائهما . كان راكبو (البيكان) قد فقدوا رشدهم تماما ولم يكن بوسعهم السيطرة على ايديهم وارجلهم وهي ترتجف كمـن ضربه البـرد

الفارس في البيداء ! وقد بحت اصواتهم وانتصب شعرهم هلعا ... اقترب احد الساواكيين وهو شخص قصير القامة من القبعة العسكرية وانحنى فرفعها ثم وضعها على راسه ...

كان سائق سيارة ال « بيكان » شخصا يدعى العقيد اعصار ، يشبه من مسك بتلابيبه الموت وقد فقد كل سيطرة على اعصابه ، فبات يقفز الى هنا ، ويهرول الى هناك وشفتاه ترتجفان وتتمتمان بعبارات متقطعة ومبهمة : سا... ا ... قتلهم ... سا ... بيدهم ... اين ... هم ؟

تقدم جوان نحوه وساله : حسنا ، وكيف حدث كل هذا ؟ من كانوا ؟ لم يستطع احكام السيطرة على نفسه ، فظل يصرخ بصوت عال وانفعال بالغ : عرفت ... احدهم ... كان (...) (...) ، عرفته كان (...) ، وكرر هذه العبارة لاكثر من مرة وبشكل هستيري . التفت جوان الى الساواكي الذي طارت قبعته توا ثم التقطها ووضعها على راسه ، والاخير يتقدم اماما شاهر السلاح وقد ادار ظهره لنا ليخفي الرعب الذي تملكه : قل لي ... ما الذي حدث ... فهذا لا يستطيع التوضيح لشدة ارتباكه . فأجابه الساواكي : دخلنا نحن بسيارتنا الى الشارع الفرعي وشاهدناهما وهما يغادران المكان فامرناهما بالتوقف وطلبنا اليهما ان يرتدا خلفا نحونا ، وقبل ان نتريث ، اندفعنا بالسيارة اماما لنقطع عليهما طريق الفرار فانزلقت الدراجة وغرق اطارها الامامي في وحل الساقية ، فقفزا منها ، لكن احدهما تعثر ووقع ارضا وفي هذه الاثناء بالضبط اطلق رصاصتين نحو الاعلى وهو طريح الارض ولولا عون الله ولطفه لكان قد اصاب العقيد اعصار ... واطلقت انا فورا عدة عيارات باتجاههما فوقع احدهما ارضا وشرع يطلق النار باتجاهنا وهو يشير بيديه الى الجانب الآخر من الجدول... فتصديت له انا مرة اخرى واطلقت النار عليه ، ورايته يتمرغ في الوحل ويتلوى لكنه نهض فجاة وهرب باتجاه البستان وعندما وصلاه افترقا وهرب كل منهما الى جهة وهما يشيران بيديهما الى الشمال والجنوب ... فتساءل جوان ساخرا ، وهو يستمع الى بيانات المامور وعلى شفتيه ابتسامة باردة : اذا كنت قد اصبته فاين الدم ؟ اليس من الطبيعي في مثل هذه الحالة ان يجد المرء قطرات من الدم في مكان الحادث ؟ ان تلوية نفسه كان من فرط عهارة امه ليتفادى العيارات والافلات خارج مجال النار يا سيدي ، حقا لقد اصبته !! !احسنت !! ثم اقترب من الدراجة ورفع سرجها بحذر والقى نظرة على باطن السرج وما تحته فأخرج قطعة من ورق فوسفوري ابيض تستعمل لتثبيت الوان ارقام السيارات ملفوفة بقطعة قماش وقال وهو

يزيل عنها القماش : ايه ، يا اولاد العاهرات ، يصنعون بهذه ارقام السيارات والدراجات البخارية ، اليس كذلك ؟

تزاحمت حولنا سيارات المارة ، وشرع الناس يخرجون رؤوسهم من شبابيكها متسائلين عن الحادث ولكن المامورين تصدوا لهم ودفعوهم وراء وهم يطلقون اقذع السباب والشتائم على مجهولين ! وامروا الجميع بمغادرة المكان فورا وعدم التوقف .

توجه حوالي سبعة من المامورين المجهزين بالاسلحة الاوتوماتيكية نحو البستان ، لكن باي حال ؟ حقا ، لم اتمالك نفسي من الضحك عليهم فلقد كانوا يتقدمون تماما كممثلي الافلام الفارسية الذين يمثلون بركاكة ادوار خبثاء يحاولون دخول احدى الدور خلسة ... تقدموا ببطء وهم يقدمون اقدامهم بحذر شديد وتردد ، ينظرون يسارا ويمينا والذعر باد بوضوح على حركاتهم وهكذا .. دخلوا البستان .. حقا لقد كان مشهدا يبعث على الضحك حتى في مثل تلك الساعات الرهيبة ..

امر جوان بابعاد السيارة المصابة من محل الحادث فورا ، وامر الآخرين بالصعود الى سياراتهم ومغادرة المكان ، ثم صعد هو الى سيارته ليساهم في محاصرة المنطقة ، تفرقت في اتجاهات مختلفة ، وكانت سيارة جوان تتحرك ببطء بعيدا عن السيارات الاخرى وصادف ان مرت بالمكان سيارة مرسيدس بنز سوداء تبين ان صاحبها كان من اصدقاء الساواكيين فطلب اليه والى شخصين آخرين كانا معه في السيارة ان يتعاونوا ، ولم يبد هؤلاء اي اعتراض في بادىء الامر وتقدمت سيارتهم سيارة جوان بناء على طلب الاخير ضامنا بذلك لنفسه ستارا واقيا يحميه من خطر اي هجوم احتمالي ... الا ان المخاوف سرعان ما استبدت بهؤلاء ايضا ، فشرعوا يقفون بين الفينة والفينة ويطلبون الى جوان ان يسمح لهم بالذهاب ان كان لا يملك مهمة اخرى يكلفهم بها لكن جوان كان يطلب اليهم في كل مرة التريث قليلا ... كان هؤلاء يبغون التخلص من الخطر خصوصا السائق فلقد كان منظره يبعث على الشفقة من فرط الخوف ، كان مرتبكا جدا ، يتمنى التخلص من هذا الصديق الثقيل باسرع ما يمكن ، وفي هذه الاثناء صدر من جهاز اللاسلكي نداء بصوت واطىء ينم عن صيغة الامر من قبل احدهم في القاعدة : ايها السيد الدكتور... ما هي تصوراتك ؟ الا تتصور بان الاشتباك سيطول ؟ اذا كنت تشعر بالحاجة فلنطلب النجدة من الشرطة ، انتهى . فاجاب جوان عابسا : كلا ، كلا ، من الشرطة ؟ كلا ، اذا دعت الحاجة

اصدروا انذارا الى قسم « الاستخبارات المضادة » للتهيؤ وسنستفيد من قواتهم عند الضرورة ، انتهى .

ـ حسنا ، سيدي ، هل لا تريدون شيئا آخر ؟ . . . انتهى .

ـ كلا . . . انتهى .

انتهت المكالمة ، وكان جوان يتمتم مع نفسه ببعض الكلمات فهمت منها انه يقول :

ـ هؤلاء الشرطة ، لا خير يرجى منهم ، لا يجدون نفعا الا للتظاهر ببزهم العسكرية والتباهي بها امام الناس !

وحالما خرجنا من منطقة الخطر ، كرر صاحب المرسيدس الرجاء من جوان ان يسمح له بالذهاب الى مقصده ، فوافق جوان ، وولى هذا مسرعا . . .

وصلنا القسم الغربي من البستان ووقفنا امام احد ابوابه الرئيسية . فراينا عددا من ماموري الساواك يخرجون من البستان فسالهم جوان : ما الخبر ؟ فأجابوا : بانهم لم يعثروا على شيء ، غير انهم علموا من حارس البستان ان الشخصين المذكورين قد قدموا اليه طالبين منه واسطة نقل لنقل زوجة احدهما التي هي في حالة وضع وحيث انه لم يكن يملك ما يلبي طلبهما فانهما غادرا البستان الى حيث لا يدري . هز جوان راسه ولم ينبس ببنت شفة .

استانفنا السير تاركين وراءنا (خاني آباد الجديد) رويدا رويدا ، ولم اكن اعلم بالضبط ماذا يجري في المنطقة وما هو الهدف الحقيقي لهذه الغارة (باستثناء المعلومات التي تطرقت اليها سابقا حول الشخصين) ، غير انه بوصولنا منطقة خالية من المباني ، سهلية ، شاهدت وضعا يشبه تماما اشتباكا مسلحا بين جيشين كبيرين ، المنطقة محتلة على مرمى البصر بجنود الدرك ، والغبار الكثيف المتصاعد نتيجة تحركاتهم يطاول اعنان السماء ، قدمت سيارة جيب عسكرية نحونا بسرعة ولما وصلتنا ، ترجل منها ضابط درك يخفي عينيه بنظارات مانعة للتراب وعرف نفسه بانه رئيس قسم الدرك لمنطقة (نعمة اباد) ، وقال له (جوان) وهو يلوح بعصاه : تحت تصرفكم مائة واربعون دركيا من قواتنا ولقد طلبت شخصيا المعونة الاضافية من المخافر الاخرى . . لم يكن هذا قد انهى كلامه ، حتى اقترب منا احد رجال الدرك ممتطيا دراجة بخارية تسير ببطء وسط الغبار الكثيف . ضغط بشدة على موقف دراجته امام الضابط الدركي وبعد اداء التحية العسكرية ابلغه بان شخصين آخرين قد شوهدا في « حلازير » وان المامورين

يتعقبونهما بدقة ... فلم يدع جوان الضابط الدركي يعلق بشيء على ما ابلغهم به الجندي ، اذ تدخل مستفسرا : ماذا تقول ، ماذا يعني ذلك ، ها ؟ فأجابه الدركي : —

— سيدي، ما اذكره هو عين الحقيقة، شوهدا في احدى القرى القريبة الواقعة خلف هاتين القريتين (واشار بيده الى الجنوب دون ان يستطيع احد من رؤية شيء وسط الغبار الكثيف) ، وعندما كنت في طريقي اليكم سمعت اصواتا للعيارات النارية ، فلقد حدث اشتباك بينهم وبين رجالنا ولا اتصور بان الاشتباك قد انتهى بعد .

— شخصان آخران ، من هم هؤلاء ؟! فلم نبتعد بعد كثيرا عن موقع الاشتباك الاول ، والآن اشتباك آخر ... ايمكن ان يكونوا بهذه الكثرة ؟ كلا هذا الشخصان لا يمكن ان يكونا سوى الشخصين الاولين !

لم يعلق جوان ، وقد اعترته الدهشة والذهول ، بغير تلك الكلمات .

استأنفنا الحركة حتى وصلنا مفترق طرق تقع في الجنوب منه غابة صغيرة ، وشاهدنا من بعيد عددا من المامورين داخل الغابة وآخرون على الطريق الخارج منها ، كافراد جيش شتتهم العدو ففقدوا كل اتصال مع زملائهم وهم يجرون وراءهم اذيال الفشل ، وثمة شخص بدين يلبس ملابس ممزقة يسير امامهم وبجانبه عريف عسكري ، بدين هو الآخر ، ولما اقتربوا منا جيدا ، شاهدنا آثار جروح وخدوش على يدي احدهم ووجهه مما يدل على انه قد وقع ارضا بقوة ... وفي وسط الشارع يقف احد ماموري الساواك ، مطرق الراس ، يفتش بقدمه بين التراب والاحجار كانه اضاع شيئا .. اوقف جوان السيارة وترجل ووصل في نفس اللحظة العقيد اعصار على سيارة جيب يرافقه اربعة اشخاص وقد اصفرت وجوههم وانتصب شعر راسهم . استفسر العقيد عما حدث ، فتقدم اليه احد ماموري الساواك واصفا الحادث على الشكل التالي : بعد ان غادر الشخصان اللذان اشتبكا مع افرادنا البستان ، اتجها نحو هذا الشارع وتنبها الى وجود هذا العريف الذي جاء الى هنا للصيد ، فباغتاه وسلبا منه بندقيته ثم (واشار هنا بيده الى صاحب الدراجة البخارية) اعترضا سبيل هذا المسكين وطرحاه ارضا وسلبوا منه دراجته واستقلاها الى جهة مجهولة (١٨) .

---

(١٨) الحادث كان مغايرا تماما لوصف هذا الساواكي . يراجع بهذا الصدد كتاب (شيء من حرب الانصار في ايران) .

كان العريف العبكري يستمع الى هذا الشرح بغير اكتراث ، بينما انفرد جوان مستطلعا المنطقة ... ولقد سمعت احد الساواكيين يلقي سؤالا حول الحادث على زميله الذي قدم التقرير لـ (جوان) فاجابه الاخير ممتعضا : دعهم وشانهم ، وحياتك رايتهما داخل البستان بأم عيني وهما ينطلقان بسرعة مبتعدين عنا ، لكنني لم افعل شيئا وبقيت في مكاني الى ان ابتعدا تماما فقفلت راجعا ، ولقد فكرت في نفسي انني لو اطلقت النار عليهما ولم اصبهما فان مصيري محتوم ، قل لي من اجل من اضحي بحياتي ؟

ثمة غبار كثيف ، اثاره تحركات الجنود وسياراتهم ، تصعد الى السماء ، ولقد اساء اعصار تفسير هذا الغبار ظنا منه انه ناجم عن اشتباك جديد ، لذا هتف فجاة : ها هم ... انظروا ، انهم هناك .. لقد وقع اشتباك جديد .. ولم يستطع ان يضيف اي شيء آخر اذ اختنق صوته كليا ، لكنه لم يجد من يجاريه في ارتباكه الشديد هذا فاختار السكوت برهة متمتما مع نفسه بعض العبارات المبهمة ...

غير انه احتفظ بصفة (القيادة) ـ على اي حال ـ حيث تقدم اليه احدهم ليعرض بعض التوضيحات لسيادته ! قائلا : ان هذا الغبار ، سيدي ، تثيره اقدام الجنود، ولو كان هناك اي اشتباك ، فان صوت العيارات النارية كان يصلنا حتما وكما ترون فان الجنود واقفون في وضع طبيعي ..

ربما لم ير هذا العقيد العجوز ، الذي يستحق الشفقة قبل التحقير ، نفسه ابدا بهذا البؤس والضعف ! ان العقيد اعصار الذي كان يزار كالاسد الكاسر في وجه هذا وذاك آمرا وناهيا ... ان العقيد اعصار الذي كان يتمتع باحترام خاص من لدن اقرانه بسبب شعره الاشيب ، قد تحول الآن الى فار مذعور لا يدري اين يخفي نفسه ففقد توازنه تماما !

اما انا ، فان لساني ليعجز عن ان يصف بدقة السرور الذي كان يغمرني، كنت اشعر بلذة الانتصار ، واستطيع القول من دون تردد بانني طوال عمري لم يسبق لي ان تمتعت بمثل هذا الوضع المزلجي الاستثنائي ولا اتوقع ان اصادف مثله ابدا في المستقبل . ما اشد تاثير ذلك الفرح الخفي الذي يجب ان لا يشاركك فيه شخص آخر ، وان عرف به العدو ، قد يكون ثمنه حياتك ! فرح كان يسري في لحمي وعظمي كالدفء الذي يتلذذ به المرء بعد ان يتعرض لبرد شديد ! كنت اعيش لحظة من تلك اللحظات

التي لا يصلها المرء الا في الخيال وكنت اشعر بان كياني قد تحول الى جذوة نار !

تقدم جوان نحوي وطلب الي ان اترجل ، فقلت باني لا استطيع لان يدي مقيدتان من تحت رجلي ، فأطلقهما وترجلت ثم اعاد تقييدهما من الامام .

رجعت الى داخل السيارة وكان العقيد اعصار هو الآخر قد صعد اليها . وبدا العجوز المسكين متوتر الاعصاب بشدة ، كان جالسا في مقدمة السيارة وقد اغلق الشبابيك كلها باستثناء منفذ صغير تركه لماسورة بندقيته الاوتوماتيكية سمعته يردد مع نفسه : تحرك ، هيا ، فلربما صادفناهم في الطريق ، يجب ان ابيدهم جميعا بيدي ، لا بد ان اذبحهم بيدي ، لا اعتقد انهم قد ابتعدوا كثيرا ... فاجابه شخص كان يجلس بجانبه :

ـ كلا ايها السيد العقيد ، انهما ابتعدا الآن تماما ، ليس من الصواب ان تفكر هكذا ادخل ماسورة الرشاش داخلا ، فلا يمكن اللحاق بهما بعد ...

ـ رجع العقيد قليلا الى رشده وشعر باطمئنان وارتياح غامرين . وكان محدثه يبغي ازالة أي اثر للخوف في نفسه ، فقال له :

ـ ارجو ان تطمئن تماما ايها السيد العقيد ، فلا اثر لهما في هذه المنطقة بعد ، حقا انهم انذال وليس للمرء الا ان يحتاط لنفسه !

وهكذا اطمان العقيد ولم يبق اي اثر للتوتر على وجهه ، وتحركت بنا السيارة مرة اخرى . في الطريق صادفنا مارة يمشون بمحاذاة الحيطان الترابية المحيطة بالبساتين ... كانوا ثلاثة او اربعة اولاد وفتاة في حدود الخامسة عشرة من العمر تحمل طفلا ... ابطأ السائق في السير ، وسأل الاولاد : الم تشاهدوا شخصين يمتطيان دراجة بخارية يمران من هنا ؟ لكن الاولاد ، وكأنهم لم يروا قط اشخاصا مدنيين تراجعوا خلفا نحو الحيطان وعلى أوجههم امارات الذعر والشك الشديدين وهم يتفرسون في وجوه ماموري السافاك بعيون ملؤها القلق ...

كرر السائق السؤال مرة اخرى ، لكنه لم يتلق اي جواب ، فضغط على المحرك وهو يردد : يا للبؤساء ، كأنهم لم يروا طوال حياتهم سياره ارايت كم كان خوفهم شديدا ؟

استعاد الجميع وضعهم الطبيعي شيئا فشيئا بعد ان امنوا الشر ، فشرعوا يطلقون التعليقات . قال احدهم : لم يسبق لي ان عدوت بهذا القدر طوال حياتي ، فلقد ركضت لمسافة ستة كيلومترات تقريبا على وجه الاجمال

... ان قطع مسافة ستة كيلومترات ركضا ليس بالشيء اليسير اليس كذلك ؟ وخصوصا في هذا الجو المغبر وبين هذه الحفر والعثرات .

وقال آخر : اي والله فلقد عدونا كثيرا ... يا الهي اراهما قد تحولا الى قطرة ماء التهمتهما الارض ، ليس غير .وقال آخر : ـ ارايت راكب الدراجة كيف تحول الى وحش كاسر ، لست ادري كيف كتب لهما الخلاص من بين كل هذه القوات ؟!

كنت اجهل تماما المناطق التي مررنا بها اذ لم يسبق لي ان رايتها قبل ذلك ! ولم اكن ادري اين كنا والى اين نتجه ... في الطريق صادفنا سياره جيب تعود لرئيس الدرك وهو على متنها مع عدد من المرافقين فسألناهم عما استجد ، وكان رئيس الدرك قد ادرك من خلال هذه العملية الفاشلة ان كل ما يثار عن بطولات الساواكيين الفذة وقابلياتهم الاسطورية الخارقة ليس سوى ضرب من اللغو الفارغ والادعاء الباطل ، لذا لم يعد يتصرف معهم كالسابق بشكل ينم عن الاحترام ! فاجاب ببرودة وهو يتافف وينظف ياخته من التراب العالق بها : ـ

لم يكن هناك ما يستحق كل هذا الاهتمام ، شاهدناهما في شارع ساوه على مقربة من الجسر ، ترجلت من السيارة لكي اصطادهما ولما شاهداني لاذا بالفرار ولم استطع اللحاق بهما (١٩) .

استأنفنا السير ، وكان احد الساواكيين يحاور نفسه ساخرا :

ـ بالله عليك ، به وبأمثاله تسر الدولة ... من يختارون لمثل هذه المسؤوليات العظمى ، ترى من عين هذا رئيسا للدرك ؟

مرت بجانبنا سيارة ، غرقت في التراب وانتشر الغبار الكثيف في داخلها بحيث لم يكن في الامكان حتى رؤية من فيها !

واصلنا السير ، الى ان وصلنا مخفر (نعمت اباد) ... المخفر يعج بالدرك الذين ملؤوه ضجة وجلبة . كل هذا من اجل شخصين فقط ! الا فليحيا الثوار !

يقع مخفر (نعمت اباد) على تقاطع طريقين ، احدهما شارع ساوه والآخر شارع ترابي يؤدي الى نعمت اباد ، وقد احيط من الغرب والجنوب بالاسلاك الشائكة ، يحرسه مفرزة من رجال الشرطة اكثرهم برتبة عريف

---

(١٩) بين احد افراد الساواك من الذين حضروا الحادث شخصيا وشاهد بعينيه وقائعه قائل : ترجل السيد رئيس الدرك من السيارة بقصد اطلاق النار عليهما ، لكنهما تراجعا خلفا لخطوات والقوا على الرئيس نظرة غضب ! عاد هذا الى سيارته ولاذ بالفرار فورا دون ان ينتظر شيئا !

يحملون بنادق من نوع (M — 1) وتقع البناية الرئيسية للمخفر في القسم الشمالي من السياج الذي يحيط به ، ويتبين من هنا غرفة صغيرة ذات باب حديدي تقع في القسم الجنوبي الغربي من المخفر ، وهناك فناء يتخلله حوض وبعض الاشجار المنتشرة هنا وهناك . هذا هو المنظر العمومي للمخفر . تقف امام المخفر عدد من سيارات الجيب العائدة للساواك وبعضها تحاول الدخول الى داخل المخفر . كانت الساعة تشير الى الواحدة والنصف عندما ادخلت انا الى داخل المخفر ويداي مقيدتان واجلسوني ارضا في الفناء وبجانبي نفس المأمور ذو الشارب المغولي الذي جرح في حادث القاء القبض على كاظم سلاحي . يرتدي نفس القميص الاحمر القصير الردن ، يحمل في يده رشاشه وهو يلهو به وينظر الي بين الفينة والفينة شزرا . . .

ـ كيف حالك ايها الفلام ؟ اقول لك مرة اخرى ، انا جلبت عبثا !

كان كل من خسرو خان واقارضا شديد الاضطراب ، واستطيع الحكم بدون تردد ، على انهما لم يسبق لهما ان مرا بمحن مثل التي مرا بها اليوم . . . اراهما واقفين في جانب ، ينفضان ، كالآخرين ، الغبار عن ملابسهما ، تفطي وجوههم جميعا واجسادهم طبقة كثيفة من التراب ، لكن التراب يأبى ان يطير من ملابسهم ! ولا يتجراون الاقدام على غسل وجوههم بالماء خشية الا يكفي الماء القليل المتوفر في المخفر لذلك ويتحول التراب العالق بوجوههم الى طين ! كل يمسح بيده سرواله وكنزته ، فالتراب قد غطى كل شيء . الجنود يقفزون ، واحدهم بعد الآخر ، من السيارات دون ان يهتموا بتنظيف بززهم ، انهم منهمكون فقط في تنظيف بنادقهم ينفخون عليها بافواههم ، وتنبعث من اسلحتهم قرقعة توحي الى المرء وكأنهم رجعوا لتوهم من حرب العلمين ! . . . كان خسروخان مرتبكا بشكل يعجز القلم عن وصفه وقد بح صوته غضبا وحنقا، لا ينكفيء يتمتم : واأسفاه، واأسفاه، لست ادري كيف حدث كل هذا بهذا الشكل ؟ حبذا لو وقعا في قبضتنا ! بخ ، بخ ، من كانا ؟ لو كنا قد قبضنا عليهما لكان كل شيء قد انتهى !. . . يا لخيبة الرجاء . . .

كانوا جميعا يرددون هذه العبارات او ما يشابهها ، كل بطريقته الخاصة في التعبير مصحوبة بالحسرات والتأوهات العميقة خصوصا كبار القوم ! ويظهر لي بانهم لم يستنفروا في اية قضية اخرى مثل هذه القوات : ١٣ ـ ١٤ سيارة ، ٥٠ ـ ٦٠ شخصا من الكماندوز المظليين الذين تدعي السلطة انهم لا يقهرون قط ! جميع المأمورين الفعالين والمتمرسين من رجال الساواك : الدكتور جوان ، طهراني ، آقا رضا ، العقيد اعصار، خسروخان،

برويز وعدد كبير غيرهم لا اعرفهم انا . على اي حال ، اني على يقين جازم بأن جميع المامورين الكفوئين في نظر الساواك قد اشتركوا في هذه العملية اضافة الى عدد من المحققين والخفراء . هذا علاوة على القوات المساعدة و (١٤٠) نفرا من نواب عرفاء الدرك كما اشير اليه آمر مخفر نعمت اباد (٢٠) .

العوامل المساعدة على نجاح الرفيقين في الخلاص من براثن العدو وهزيمة العدو النكراء :

١ ـ العزيمة الفولاذية والمبادرة السريعة الى الصدام المسلح :

عندما وقف الرفيقان وجها لوجه مع العدو سحبا السلاح فورا واطلقا النار على العدو من دون تردد قبل ان تطأ اقدامهما الارض ، في حين لم يكن افراد العدو يتوقعون مثل هذه المبادرة الفورية قط ، فلم يجدوا متسعا من الوقت في التفكير في شيء سوى تخليص انفسهم والافلات من مسارات العيارات النارية ، لقد اخذ الرفيقان زمام المبادرة من افراد العدو الذين استبد بهم الهلع بحيث لم يقدروا على التحرك المضاد من فرط الذعر .

٢ ـ التحرك السريع والاندفاع الفوري في العمل :

لقد ساعد تغيير المواقع فورا وعدم الوقوف ولو لحظة واحدة وقطع مسافة طويلة نسبيا بشكل خاطف ، ساعد الرفيقين على الابتعاد عن مركز تجمع رجال العدو وتقليل الخطر الذي كان يهددهما فيما لو ظلا على مقربة من مركز تجمعهم وما يترتب على ذلك من احتمال توجيه النيران الكثيفة اليهما .

٣ ـ اليقظة الشديدة والاحتفاظ بقابلية التركيز حتى في احرج الاوقات :

تدل التجارب ، على انه لو استطاع النصير الاحتفاظ بقابلية التركيز في المواقع الخطرة وعند الاصطدام مع العدو والتصرف بهدوء ويقظة عند ازالة الحواجز عن الطريق ، فان النجاح سيكون حليفه بلا ريب . ان انتصار

---

(٢٠) يبدو ان مثل هذه الهزائم دفعت السلطة الى خلق نوع من التنسيق بين صنوف القوات المسلحة المختلفة ، ومن هنا جاء تشكيل « اللجنة المشتركة لمكافحة التخريب » .

الرفيقين بالذات في هذا الاشتباك يأتي تأييدا لهذا الاستنتاج فهما ، عندما كانا يطلقان النار نحو العدو ويغيران من مواقعهما وينتقلان من طريق الى آخر ، كانا يأخذان بالحسبان وجوب الانتفاع ، الى الحد الاعلى الممكن . من كل ما يقع في طريقهما من اشياء واماكن واذكر بهذا الصدد الانسحاب نحو البستان والقفز الى داخله والحصول على واسطة للانتقال والاستيلاء على دراجة الصياد الذي التقوا به صدفة ، ولم يكونوا ليقدرون على الاقدام على جميع هذه المبادرات لولا احتفاظهما بهدوء اعصابهما وقابليتهما على التصرف الواعي .

٤ ـ المعرفة التامة بمنطقة العملية

ان الانتفاع من جميع الاساليب المشار اليها سلفا كخطط جوهرية وغير قابلة للفصل عن بعضها البعض ، لا يكتسب الفعالية المطلوبة ولا يؤتي الثمار المرجوة قطعا ما لم يكن النصير على معرفة جيدة وتامة بمنطقة العملية ، مسالكها ودروبها ، ولقد اخذ الرفيقان هذه النقطة بنظر الاعتبار بشكل اساسي وكانا لا يقلان عن سكان المنطقة معرفة بها . ولم يكن يساورهما اي شك في ان ٥٠٪ من انتصارهما في اي اصطدام محتمل مع العدو متوقف على هذا العامل بشكل لا يقبل الجدل مطلقا : كانا يعرفان ، لذلك ، الشوارع الفرعية ، الشوارع الرئيسية ، الازقة المفتوحة والمسدودة ، الطرق الترابية الطرق الوعرة ، وكانا يعرفان حتى بعض اصحاب البساتين والمواشي والدواجن الساكنين في المنطقة ، لذا فانهما اجتازا الشوارع والطرق والمسالك كلها من دون الحاجة الى التفكير حول مسار اي منها ولو لدقيقة واحدة ، وانتقلا من طريق الى طريق ومن حي الى آخر ، ومن بستان الى بستان من دون الحاجة الى التفكير مطلقا ، وكانا قد اخذا بنظر الاعتبار مقولة الرفيق «ماريجويللا» القائلة بأن « خير رفيق للنصير المدني هو محيط عمله » واقتديا بهما في اشتباك (خاني آبادنو) فكان النصر حليفهما .

٥ ـ بطلان اوهام العدو حول امكان القاء القبض على الرفيقين احياء

كان العدو قد اصيب بسوء تقدير بالغ للامر متصورا ، بفطرسة ، ان في مستطاع رجاله القاء القبض على الرفيقين وهما على قيد الحياة ، اي استسلامهما له ، وكان قد قدم الى المنطقة للمرة الثالثة بهذا الهدف محشدا امكانيات واسعة لذلك (٢١) ، وكانت قيافاتهم تدل بوضوح على انهم لم

---

(٢١) كان العدو قد اكتشف موعدا غير هذا ، وكان قد اتى للمنطقة مرتين اخريين قبل ذلك لكنه رجع خائبا دون ان يفوز بشيء .

يكونوا يتوقعون اي اشتباك مع الثوار ، لذا كانوا يتصرفون بشكل لا ينم عن اي حذر متيقنين في نفوسهم بانهم سوف يوقعونهم في الشرك الـذي لا خلاص لهم منه ، وكانت سياراتهم تطوف في الشوارع المحيطة بالمنطقة الى ان لعلع الرصاص وبدا الاشتباك امام احدى سيارات الـ (بيكان) وحيث ان المباغتة جرت من جانب الرفيقين اللذين سيطرا على مسار المعركة خلافا لتوقعات افراد العدو وحساباتهم ، فانهم اخذوا على حين غرة واصيبوا بذهول شديد فقدوا بسببه كل قابلية على التحرك ، كمـا ان الاشخاص الموجودين على متن السيارة لم يسعهم سوى الاختفاء تحت المقاعد ولـم يقدروا على الرد بحجة عدم حيازتهم على البنادق الاوتوماتيكية ، وعندمـا وصلتهم الامدادات كان كل شيء قد انتهى وكان الرفيقان قد تركا الموقع وتخلصا من الخطر تقريبا .

٦ ـ جهل العدو بمنطقة العمل وبعثرة قيادة قواته

خلافا لما كان عليه الرفيقان ، كان العدو يجهل تماما مسالك المنطقة ومواقعها ، ولم يكن افراده قد تعلموا من ترددهم سابقا على المنطقة لمرات سوى التعرف على الطريق المؤدي من (اوين) الى (خاني اباد نو) ! كمـا ان السواق الذين اشتركوا في المرات السابقة في نقل افراد العدو ، استبدلوا بسواق جدد لاسباب شتى ، فمنهم من كان في الاجازة ، ومنهم من كان في مهمة اخرى وهكذا ، وهذا ان دل على شيء ، فانما يدل على سوء التخطيط من جانب العدو مرجعه :

آ ـ الغرور بالذات وباستحالة « خلاص اي شخص امام هذه القـوة الهائلة » ؟!.

ب ـ كثرة عدد الافراد العاديين وقلة العناصر القيادية والموجهة .

لكل ذلك فان توزيع القوى جرى بشكل مبعثر جدا ولم تحدد مواقع استراتيجية لهذه القوى لتتمركز فيها ، فمثلا ، عندما وصل الدكتور جوان، وهو قائد العملية ، منطقة (خاني ابادنو) لم يكن يعلم اين تتمركز الاجـزاء الاخرى من القوات ، في اي شارع ، في اي موقع ، وعندما حدث الاشتباك ، لم يستطع التركيز لدقائق لتشخيص موقعه بالضبط ، وكان على كل فرد منهم يبغي الوصول الى هذا الموقع الدخول في عدة ازقة خطأ ثم يرتد على اعقابه بعد ان يكتشف عدم صواب وجهته في كل منها ، هذا في (خاني اباد نو) بالذات ، اما عن الطرق التي تربط القرى القريبة بالمنطقة والطرق الترابية ،

فحدث ولا حرج ، ولولا استغاثتهم الفورية بقوى الدرك لكان الوصول الى مخفر (نعمت آباد) محالا عليهم ! ولقد ادى عدم الالمام بالمنطقة الى تشتت نصف قوات العدو وامكاناته (ذلك لان محل الاشتباك لم يعين من قبل العدو ولم يدخل هو المنطقة وفق مخطط معد مسبقا ، بل ان زمام المبادرة كان في كلتا الحالتين في يد الرفيقين) ، لذا فان استغلال نقاط ضعف العدو يفتح الطريق امام الخروج من نطاق الحصار الذي قد يفرضه، ولا بد من اكتشاف هذه النقاط وتحديدها ثم استغلالها على خير وجه والاقدام على الفرار .

٧ ـ تملص شرطة الدرك من المسؤولية والمساهمة في الاشتباك بنشاط :

بالنظر لعدم وجود اي اتفاق رسمي مسبق للاستفادة من القوات المسلحة الاخرى في مثل هذه الحوادث التي يكون الطرف الرئيسي فيها هو الساواك ، فانه يصعب الانتفاع الفوري من امكانيات هذه القوات ... لذا فان الدكتور جوان اضطر الى الاتصال بالمقامات العليا لتتصل هي بدورها بمخفر نعمت اباد وتأمر القوة الموجودة فيها بتقديم المعونة المطلوبة عندما تستدعي الحاجة ، وحتى بعد ان اعلنت هذه القوة عن الاستعداد للتعاون ودخولها فعليا الى ساحة العمل ، فانها تبعثرت بشكل غير منظم هنا وهناك بالنظر لعدم تبعيتها مسلكيا او تنظيميا الى الساواك وعدم وجود خطة موحدة ، ومرسومة بصورة مشتركة بين الطرفين مسبقا يتم بموجبها توزيع هذه القوات على نقاط ومواقع معينة ، لذا فانها تملصت من التحرك الفعال عند اول مجابهة لها مع الثوار لعدم معرفتها بجزئيات الموضوع والسبب الذي استنفرت من اجلها ومن سيكون هدفا لنيران افرادها واي مكان يجب ان يحاصروا ..

انهم يتشبثون بآلاف الذرائع والحجج للتملص من المسؤولية عندما تدنو الخطوب حتى وان كانوا تحت امرة آمريهم وقوادهم ، فكيف بهم في اشتباك بمثل هذه الخطورة وتحت قيادة اشخاص مدنيين من مأموري الساواك ؟!

ولا بد هنا من الاشارة بان هذه الوضعية لا تنطبق على جميع الحالات خصوصا عندما تدخل هذه القوات ساحة العمليات وفق مخطط مرسوم ومدروس مسبقا (٢٢) . غير ان اشتباك (خلازير) جرى بالشكل الذي تم

(٢٢) خصوصا منذ تشكيل « لجنة مكافحة التخريب » ترسم مخططات خاصة لتنسيق العمل بين القوات الحكومية المختلفة مسبقا وقبل الدخول الى ساحة العمليات .

بحثه تفصيلا ، ولم تقم قوات الدرك كما لاحظنا بدور فعال او ذا تأثير مطلقا، وفيما لو تدخلت هذه القوات في الاشتباك بشكل مباشر لاصبحت مصدر خطر للرفيقين بفضل قابلية اسلحتهما على اصابة الاهداف البعيدة ... غير انهم لحسن الحظ لم يطلقوا حتى عيارا واحدا نحوهما، والعمل المشترك الاوحد الذي قاموا به مع الساواكيين هو الاستفادة الاجماعية من ساعتي الراحة التي منحوا للاستحمام والتخلص من الاتربة التي علقت بأجسامهم !

وحتى عند انتهاء العملية ، فان الحجة التي تمسك بها رجال الساواك المشتركون في المصادمة ازاء اللوم الموجه اليهم من القيادة ، اي من شخص جوان ! ، هي : « لو كانت مفرزتنا مجهزة بالاسلحة الاوتوماتيكية لكنا قد ابدناهما عن بكرة ابيهما » . او « ان سيارتنا لم تكن مجهزة حتى بجهاز لاسلكي حتى تنقل خبر مشاهدة هذين الشخصين الى القيادة ونطلب العون من المفارز الاخرى » ، بيد ان جميع هذه الاقوال ليست سوى حجج واهية، والسبب الكامن وراء عدم استدعاء المفارز الاخرى وطلب العون منها هو الحيلولة دون مشاركة هذه المفارز لهؤلاء الاربعة في الامتيازات والمكافآت التي كانوا سيحصلون عليها والاستحسان المنقطع النظير الذي كان ينتظرهم فيما اذا قبضوا على الرفيقين بانفسهم !

وصل الساواكيون المشاركون في العملية الى المخفر الواحد بعد الآخر اما انا فلقد القي بي في احدى الغرف حيث التقيت هناك بشاب اعلمني انه معتقل بتهمة سرقة اموال صهره ، بقيت هناك لما يقارب ربع الساعة ، اقبل علي راس عرفاء ، علمت انه معاون امر المخفر ، وبعد ان فتح الباب ، طلب الي الخروج ، ففعلت ، ولم اكن قد وضعت قدمي بعد على اول درجة في السلم حتى امرني بالوقوف فامتثلت للامر ، ثم اغلق الباب ووقف وجها لوجه امامي يتفرس في وجهي بعطف وحنان وابتسم لي ابتسامة ابوية ترك في نفسي اثرا خاصا ، وسالني بصوت واطىء : انت ايضا من هؤلاء ؟ فأومأت اليه بغمضة من عيني ان نعم ، فالتمعت عيناه وهو ينظر الي ، ثم مسكني من كتفي وشد عليها ، وهمس بصوت متهدج : ليكن النجاح حليفكم . واخيرا طلب الي ان اتقدمه وسلمني الى الساواكيين ، بينما توارى هو عن الانظار ...

× × ×

الساعة الثانية بعد الظهر ـ اشتدت حرارة الشمس بشكل بالغ ، وكانت رائحة العرق تنبعث من اجسام الساواكيين المنهوكين نتيجة الارهاق الشديد . نحن الآن في شارع (ساوه) ، تتوالى السيارات في الوصول الى ميدان (فلاح) والوقوف في القسم الشمالي منه امام احدى المقاهي ثم ترجل منها بعض افراد الساواك الذين سرعان ما امرهم (جوان) بالتفرق والتربص في الزوايا والاركان بحيث لا يمكن تشخيصهم ... انه يأمرهم القيام بالمستحيل اذ كيف يمكن للمرء ان يختفي في الشارع في الساعة الثانية من يوم جمعة حيث تخلو الشوارع من المارة تقريبا ؟ .. جلس بعضهم امام المقهى ، ودلف البعض الآخر الى داخلها ، واثنان او ثلاثة منهم يتمشون ، على الرصيف بالقرب من المقهى ، بينما جلس الباقون بجوار الساقية منهمكين بأكل الرقي بشكل يوحي للناظر بأن لم يتذوقوا نعمة الله هذه طوال عمرهم! (حتى يضفوا على تجمعهم في هذه المنطقة صفة الاعتيادية) . اما انا ، فمضطرب جدا ! اتساءل في نفسي : « ماذا يعني كل هذا ، فانا ايضا اعرف هذا المكان ! ولقد سبق لي وان تواعدت هنا مع الرفاق على اللقاء لعشرات المرات ، من ذا الذي، يا ترى كشف لهم هذا المكان ؟... هل يمكن ان يمر هذا الشخص من هنا ؟ وخلاصة القول ، فاني فقدت كل الهدوء وراحة البال التي اكتسبتها خلال الغارة الفاشلة التي شنها الساواكيون والدرك لالقاء القبض على الرفيقين ! وتضاعف ارتباكي شيئا فشيئا ، الى ان تحركت بنا السيارة وتركنا الموقع ، وتحسست صدغي فابتلت اصابعي من العرق الذي فرزه راسي خلال هذه الفترة الحرجة !

ابتعدت بنا السيارة ، وتنفست الصعداء ، وشيئا فشيئا عادت الي الطمانينة وراحة البال ، لكن الى اين نتجه الآن يا ترى ؟ لست املك جوابا لهذا السؤال الملح في الوقت الحاضر ... واصلنا السير ، مررنا بـ (قلعة مرغي) ، المنصة العسكرية ، جسر الجوادية ... ميدان محطة القطار ... وفجأة وقفت سيارتنا في غرب الميدان حيث موقف واسع للسيارات واصطفت السيارات الاخرى بجانبها . وقع نظري على طهراني، واقفا على الرصيف الواقع امام الصالة الخاصة لاستراحة المسافرين والمودعين والمستقبلين ، ينظر الى هنا وهناك ويتفرس في الوجوه كانه يفتش عن شخص ، وحوله ، جمع كبير من الساواكيين يجوبون المنطقة كأسراب الجراد ، ترى عم يبحثون هنا وبمثل هذا الاهتمام ؟ حتما اكتشفوا موعدا هنا ايضا !. لم يترجل من ركاب سيارتنا احد باستثناء (اعصار) ، وتعالت على حين غرة صرخة من الثلاثة الباقين معي : رباه ! انظر الى

هناك (وما اسرع اكتساب وجوههم لون الزعفران عندما يداهمهم الخطر !)
... اخشى انه قد يطلق النار ... قد يقتل ... كم هو بدين !. ورايت شخصين وقد تأبطا شخصا آخر بقوة وسمعتهما يقولان له :
ـ نرجوك الا تتصرف بشكل لا يليق بك وان ترافقنا بكل هدوء الى السيارة، نريدك لشيء في غاية البساطة وسوف لن نؤخرك الا قليلا ، وصعدوه الى داخل احدى السيارات ... والآن لنر ما السبب في اعتقاله ؟ الجواب يكمن في هاتين النقطتين :

١ ـ هو شخص طويل القامة ، قصير الشعر ، وخصوصا قميصه التريكو الازرق يتدلى على السروال ، كل ذلك كان امرا يسترعي الاهتمام .

٢ ـ ... كان قد ذرع الميدان لعدة مرات جيئة وذهابا دون ان يظهر ان له عملا او مقصدا معينا .

ولدى السافاكيين ، مميزات شخص مطلوب ينطبق على مميزات هذا الشخص كما ان تجواله في الساحة امر يثير الشكوك !

كان المسكين ، على رغم هيكله البدين ، يرتجف خوفا وقد اصفر وجهه بشدة ! وبعد ان استقر في داخل السيارة عرّف نفسه واخرج من جيبه هويته الشخصية وتبين بانه يعرف فلانا وعلانا ! فاطلقوا سراحه بعد ان القوا عليه عدة اسئلة تبين لهم على ضوء اجوبتها انه ليس ذلك الذي يبحثون عنه !

هنا ايضا خاب ظنهم ولم تصب سهامهم اي هدف ، فاضطررنا الى مواصلة السير ، كان جوان هو الذي يقود سيارتنا . التفت الي في الطريق ونظر الي وعلى شفتيه ابتسامة ثعلبية رافعا حاجبيه، لم افهم قصده، فسالني بكل جدية : ـ الم تتناول طعام الغداء بعد ؟ قلت : كلا ... فالتفت ثانية وقال : ـ حسنا ، نحن ايضا لم نتناول طعامنا بعد !. احب البائس ان يداعبني ، لكن اية مداعبة سخيفة !!

في السجن ...

فتح الباب بوجهي ودخلت الزنزانة وكان الرفاق ينتظرون عودتي بفارغ الصبر ، فأحاطوا بي من كل جانب بمجرد دخولي، وانهالوا علي بالاسئلة . مسكني احدهم من يدي في هذه الاثناء واقتادني الى احدى الزوايا واجلسني ثم التفت الى الباقين قائلا : ماذا دهاكم ... دعوه يرتاح قليلا . ثم استفسر مني ان كنت قد تغديت بعد ام لا ، فأجبته بالنفي فأتاني

بالطعام .. ثم شرحت لهم ما جرى لي جملة وتفصيلا مبينا لهم اني استدعيت من دون داع .

كان احد الرفاق قد نقل الى قسم آخر ، وكنا قد الفنا وجوده بيننا لذا ترك فراغا كبيرا بيننا جميعا ، هذا كان التغيير الوحيد الذي حصل اثناء غيابي .

٢٠ شهريور – ١١ سبتمبر

كانت الرياضة احدى البرامج اليومية التي تجري بشكل اجماعي ، وتبدأ اجراء التمارين الرياضية قبيل العشاء بساعة واحدة (كان العشاء يقدم بين الساعة ٦½ – ٧) ، غير ان حسين كان قد منع على السجناء هذا الحق البسيط منذ مدة ، وحيث انه لم يكن من الممكن الاستغناء عن هذا الحد الادنى من متطلبات الصحة في ظرف كالذي نعيش فيه ولا نملك قابلية التحرك الا القليل . لذا فلقد كلف بعض الرفاق بمراقبة مجيء الحراس ورواحهم من ثقب الباب بشكل دقيق بينما يمارس البعض الآخر التمارين الرياضية ويوقفونها عندما ينذر المراقبون بمقدم الحراس ! ويتظاهر كل واحد بالانشغال بعمل ، فالبعض يشرع بالتمشي داخل الغرفة ويجلس البعض الآخر ، يتظاهر البعض الآخر بالنظر الى البستان والحدائق المحيطة بالسجن من خلال الشباك الصغير ، وعندما يذهب الحراس ثانية ، تستأنف التمارين الرياضية مرة اخرى بحذر وهدوء .

لسوء الحظ ، كانت غرفة الحراس تقع تحت زنزانتنا مباشرة وكان هؤلاء يقضون اوقات راحتهم في هذه الغرفة ... ويظهر ان وقع اقدام الرياضيين وهم يمارسون التمارين اليومية كان ثقيلا عليهم ويسبب لهم الازعاج ولا يدعهم ينامون في كل الساعات وحيث يشاؤون ، لذا رفعوا الشكوى الى شعباني متذرعين بان « سقف غرفتهم قد تشقق نتيجة اجراء التمارين الرياضية المختلفة في الردهة رقم (٥) » ولم يكتفوا بهذا بل صعد احدهم الينا واخذ معه عددا من الرفاق ليروا الشقوق ، لكن الرفاق ، على خلاف ادعاء الحراس ، لم يشاهدوا اية شقوق في السقف باستثناء شقوق صغيرة في الطلاء فقط ولم تكن هذه الشقوق بسبب التمارين الرياضية قط . ثم تبين لنا فيما بعد ان الحراس لم يكتفوا بهذا الاعتراض بل انهم اوصلوا الامر الى حسين زادة ايضا . وفي حوالي الساعة الرابعة قدم الاخير الى زنزانتنا ، يرافقه حسيني وعدد آخر من افراد الزمرة .

دخل علينا بغرور ويداه في جيبه وصرخ : ـ انهضوا جميعا ، هيا ، ... يبدو انكم تقضون احسن الاوقات هنا ، كان بعضكم يحصل بالكاد على الخبز والبصل ، والآن يقدم له الرز والمرق يوميا ، حقا انه لافضل فندق! ان ساواك قد اسمنكم ، انهضوا ، لارى ... نهضنا جميعا .. كان حسيني، متكئا على الحائط بظهره ، وقيافته التي تشبه جسم العنكبوت تثير الضحك، في حين كانت عضلات وجهه القبيح ترتجف خوفا وهو يستمع الى الكلب الاكبر الذي لم يكف عن النباح الشديد بعد ! كما ان عددا من رجال الساواك المختصين في ملاحقة الوطنيين والذين لا يملكون من صفات الانسان سوى مظهره الخارجي ، كانوا شهود عيان لهذا النباح ! كان حسين زاده ذو القامة القصيرة والوجه الاسود والراس الاصلع يشبه احدى تلك الدمى التي تمثل عجوزا يملك خصلة شعر صغيرة في اعلى رقبته ، رفع نظارته الشمسية بغطرسة وبعد ان نظر الى الرفاق فردا فردا ، خاطبنا قائلا : يظهر انكم قد نسيتم اين انتم الآن ، ولاي سبب اعتقلتم ؟ يظهر ان هذه الغرف الفارهة والشبابيك المفتوحة ونور الشمس ، وتجمعكم حول بعضكم انساكم من انتم . ثم اضاف وهو يضرب بقدميه الارض صائحا بأعلى صوته : هنا اوين ... اوين افهمتم ... وانتم تعيشون داخل هذه الحيطان الاربع بعيدين عن العالم الخارجي وليس هناك ما يوصلكم بهذا العالم غيرنا ، انكم عناصر هدامة شخصتم كاناس مضرين بالمجتمع لذا يجب عزلكم داخل هذه الحيطان الاربعة منقطعين تماما عن الخارج حتى يستطيع الشعب الوقوف على اقدامه ويقرر هو مصيركم الاسود ونحن الآن في سبيلنا الى بناء اسس ايران عظيمة الشان ، وستغرق اجسادكم وعظامكم في اعماق اساس هذا البناء ، وليس ببعيد ذلك اليوم !! ثم خفف عربدته قليلا واستمر : انتم الآن تتصورون بان لا فرق بين هذا المكان وبين الخارج ، متى شئتم ورغبتم تعملون ما تشاؤون . اني احذركم المرة الاخيرة : ان اقل خرق للتعليمات والنظام سيواجه بأخشن رد فعل ، تصورتم عبثا ان هنا دار امكم فاخذتم تلهون ، استهدفتم تخريب السجن ايضا ، اليس كذلك ؟ ثم سكت قليلا واعاد النظر الى الرفاق فردا فردا وكأنه يستقصي تأثير اقواله عليهم ، ثم سأل بصوت واطيء : ـ حسنا ، من هم محافظو الامس واليوم ؟ ولما لم يجب احد من الرفاق كرر السؤال بصوت عال : ـ قلت من هم محافظو الامس واليوم ؟ فتقدم اربعة اشخاص بينهم عاقلي زادة ، ثم نظر مرة اخرى الينا وطلب اثنين آخرين منا ، وتوجه الى حسيني بالكلام قائلا : خذ هؤلاء واضربهم مائة جلدة ، حتى لا ينسوا مرة اخرى عندما يصبحون

محافظين تنفيذ تعليمات السجن بدقة ، فتدخل احد الساواكيين في مسعى توسطي طالبا اليه عفو عاقلي زاده ، فاستجاب لطلبه وخاطب عاقلي زاده قائلا : ايها السيد عاقلي زاده ، بالنظر لتقدمكم في العمر واحتراما للحيتكم البيضاء وماضيكم الجيد خلال السنوات الماضية فاني اعفو عنكم فقط بل اكلفكم بمسؤولية هذه الغرفة وسوف تصبح انت بهذا مسؤولا عن اي ازعاج يسببه هؤلاء للحراس او لغيرهم ، ثم قال (وهو يشير الى الشخصين الآخرين) : انتما ايضا عودا الى مكانكما فلقد صفحت عنكما من اجل السيد عاقلي زادة ، والتفت الى حسيني قائلا : اما الباقون ، فاجلد كل واحد منهم خمسين جلدة . ساقوا الرفاق الاربعة امامهم ... وبمجرد انغلاق الباب، تمدد جميع الرفاق ــ ومن جملتهم عاقلي زادة ــ ارضا وشرعوا باجراء تمارين البطن التي يحبونها كثيرا .

هنا يطرح سؤال ، ينطوي على جانب كبير من المنطق، نفسه : لماذا لم يختر السجناء الصمت ازاء الاهانات التي وجهها هذا المرتزق اليهم فحسب بل اهملوا حتى ممارسة ابسط حقوقهم ، اي عدم الانصياع للاوامر التي كانت على الاكثر ذات طابع شخصي ؟. ان العوامل المتعددة التي تقف وراء هذا الموقف يمكن تشخيصها على الشكل التالي : ــ

كنا جميعا نمضي الايام الاول من التحقيق والتوقيف ولم نكن نعرف بعضنا البعض معرفة جيدة ولا تجمعنا قضية او قضايا موحدة ، كان اغلبنا شبانا حديثي العهد بالعمل السياسي والنضالي ولم نكتسب بعد التجربة الكافية ولم نمر بعد بميادين الكفاح الساخنة التي تفولذ المعنويات والروح الصدامية ، وكنا اضافة الى ذلك ، على الاغلب اناسا لم نتخلص بعد من التعذيب والاستنطاق المتواصل ولم يقرر بعد مصيرنا بشكل نهائي . كنا نمضي اياما كان اكثرنا فيها قد اخفى شخصيته الحقيقية وتشرنق في قالب آخر ، واضافة الى ذلك ، كان هناك بيننا افراد لم يجتازوا امتحان التعذيب والتحقيق بنجاح، لذلك فان جو الغرفة على رغم هدوئه الظاهري ، كان متوترا فيما يخص الوضع النفسي الذي كان يعيشه بعض نزلائها ، كما كان هناك خلاف فكري واضح بينهم ، وكانت كل فئة ــ على رغم عدم وضوح الهوية الفئوية او الفكرية بجلاء لهذه الفئات بعد ، تعكس رايها المتميز حول القضايا المختلفة الامر الذي افقد الغرفة اية وحدة بكامل معناها ، وبالرغم من انه كان بيننا افراد على جانب كبير من الجراة في مجابهة الساواكيين لكنهم لم يستحسنوا مجابهة المحقق بخشونة ، هذا اضافة الى ان العناصر المنظمة الموجودة معنا لم تكن هوياتهم وسوابقهم قد توضحت بعد لدى

الساواكيين ، وهناك سبب آخر وهو ان حسين زاده بالذات كان قد تحول الى شيء مخيف او بالاحرى الى بعبع خصوصا لدى الاشخاص الذين لم يتعاملوا معه بشكل فعلي بعد . وتؤكد وقائع سابقة ومنها دفاع شكرالله بآنتراد (٢٣) ، ان حسين زاده هذا كان وحشا ضاريا ، ولهذا السبب فانه عندما تجرا ووقف في وسط القاعة مهددا ومتوعدا بكل وقاحة وصلافة ، فانه لم يثر اي رد فعل اعتراضي لدى السجناء ، وان لم تترك تهديداته اي اثر لديهم ، في حين كان عضدي قد تصرف مرة بهذه الطريقة لكنه كان قد جوبه بتحقير السجناء واهمالهم له وتصديهم له بالاستهجان والاحتجاج، ولم يقف الامر عند هذا الحد بل ان الامر كان قد اوصل الى المسؤولين الاعلى منه رتبة ، وتلقى عضدي توبيخا من لدن هؤلاء باعتبار ان تصرفه هذا من شأنه اثارة الفتنة بين السجناء ودفعهم الى العصيان .

على اي حال ، عندما تم اصدار القرارات في القضايا المختلفة وتقرر مصير الجميع وعندما اصبح في امكان الكوادر المجربة والمتقدمة من السجناء ان يلعبوا دورهم علنا ، ولم تعد هناك حاجة الى اغواء العدو او تمثيل الادوار ، فان الرد الوحيد على اقل صلافة من جانب العدو ، كانت المقاومة البطولية وتوجيه الكلمات القاسية والبصق في وجوههم وتحقيرهم ، وكان الرفاق الآخرين وابعاد الخطر حتى عن اضعف المعنويات الموجودة بيننا ، الايراني » و « آمال الشعب » قدوة هذه المقاومة ولقد لعب هؤلاء دورا بالغ الاهمية في تقوية الوحدة والتضامن بين جميع السجناء واكتساب الوحدة الفكرية بينهم القوة المنطقية ، وغدا بسببهم التصميم على مجابهة وقاحة العدو اكثر حزما .

بعد ذلك ، كان قدوم حسين زاده الى الردهات وعدم التفات احد اليه وتجاهل وجوده قد غدا شيئا مألوفا ، بل ان ثابتي ومقدم لم يكونا يحظيان باي اهتمام من لدن الرفاق ولم يكن احد منهم يقوم احتراما لهما او يترك عمله بسببهما . وكان رد الفعل الوحيد الذي يستطيع العدو ابداءه تجاه هذه المعاملة هو بعض التصرفات السخيفة كالاطفاء المبكر للانوار والاقلال من مرات السماح للذهاب الى المرافق ، وعدم السماح بالتمشي خارج الردهات ، وفي بعض المرات ، الهجوم الاجماعي المباغت على الردهات وسلب الحاجيات والامتعة ، وكانت هذه التصرفات تقابل دائما باحتجاج السجناء وصيحاتهم الاستنكارية وتحديهم ... واخيرا تعبت الادارة حتى

(٢٣) ورد اسم حسين زاده في دفاع بآنتراد كـ (الجلاد حسين زاده) .

من هذه التصرفات ، واقتنعت بشرعية ما يقوم به السجناء كرد فعل عليهـا ...

٢١ شهريور – ١٢ سبتمبر

اليوم ، اخذ فريبرز سنجري الى التحقيق ، وعندما عاد ، كان وجهه قد احمر ، اذ كانوا قد اعادوا تعذيبه مرة اخرى ، لكنه دخل علينا وعلى وجهه بشاشة وعزيمة ، بحيث يصعب على المرء التصور ، عند اول نظرة ، بانه قد لاقى ما يعكر صفو المزاج ! لكن الحقيقة هي انه ، كما قلت ، قد عذب خلال تلك الفترة بشدة ولم يكن يخفي هذا الواقع سوى لتهدئة خواطر الرفاق الآخرين وابعاد الخطر حتى عن اضعف المعنويات الموجودة بيننا ، غير ان البعض الح عليه بالاستفسار عما جرى له ، فكشف عن الحقد الذي كان الجلادون قد زرعوه في قلبه نحوهم ، واحمرت عيناه واصفر وجهه . وكانت هذه اشارة كافية للجميع الى ما لاقاه من .... وكان يصاب ، فيما بعد ، بما يشبه النوبة العصبية كلما دار الحديث حول العدو واساليبه الفاشية ... وذات مرة ، استفزه احد المامورين في (قزل قلعة) ، ولقد شاهدته بام عيني وهو يصرخ في وجه هذا المامور ويهجم عليه ويشبعه ضربا، وكان هذا سببا لابعاده فيما بعد .

٢٥ شهريور – ١٦ سبتمبر

الساعة هي الآن الحادية عشرة ، وقد حان وقت خروجنا . لا اثر للجنود في الممر في هذه الساعة عادة . لذا يستغلها الرفاق للاتصال ببعضهم، وتبدا الاحاديث بين الغرف المجاورة . يقف شخص في اعلى السلم وآخر في اسفله لكي يخبرا الرفاق بمقدم الجنود . مغلاق باب القاعة الرابعة معطوب لذا من السهل فتح الباب ، فتقدمت انا وفتحت الباب وادخلت راسي الى الداخل وحييت الجميع باشارة من يدي ثم سالت عن احوالهم فردا فردا ، اشار الي احد الرفيقين بان جنديا قادم ، فاغلقت الباب الى ان مر بسلام . رجعت مرة اخرى ، فصادفت اربعة آخرين من الرفاق وراء الباب وكل منهم يبحث عن صديق له ، وآخرين منهمكين في الحديث . من الطريف ان زميلي العامل المشار اليه في بداية هذه المذكرات هـو الآخر هنا . ولقد ادهشني وجوده هنا حقا . اقتربت منه وحييته ثم سالته عن سبب اعتقاله ؟ فقال لي بانه كان يظن ، لحد الآن ، باني انـا الذي اعترفت

عليه ! فقلت باستغراب : انا !؟ وكيف ؟. فلقد كان قد مضى على انقطاعنا عن بعضنا البعض مدة غير قصيرة . قال : حسنا ، اذا كان الامر كذلك فان اعتقالي جرى بحثا عن زيد . سالته عما استفسروا منه حولي وبماذا اجابهم . فقال : طلبوا الي ايضاح نوعية علاقاتنا وكيفية تعارفنا مع بعضنا، فقلت لهم باني قد تعرفت اليك في المعمل واثناء العمل وبانك كنت تتردد علي لتتعلم اللغة الالمانية وذكرت اسماء ثلاثة كتب استعرتها منك ، سالته : ـ اي كتب ذكرت لهم ؟ قال : ـ المبادىء الاولية للفلسفة ، الام لمكسيم جوركي ومنتخبات لينين . قلت مندهشا : ـ لكنني لا اذكر باني قد اعرتك مثل هذه الكتب قط . قال : ـ صحيح ، الحوا علي كثيرا، فلم يبق امامي سوى الاختلاق . قلت معلقا : ـ انا بالذات لم اطالع بعد منتخبات لينين ولقد سمعت عنه انه كتاب ضخم ... حسنا ، لا تابه ، ولا ضير فيما قلت وان سئلت ، فساؤيد اقوالك ... والآن ما اخبارك ؟ كيف حالك ؟ لم يدر بخلدي في يوم من الايام بانك ستنزل في هذا المنزل قط ! انه مكان طيب. أليس كذلك ؟! كان قد مسكني من يدي ويشد عليهما بقوة وقد تسمرت عيناه في وجهي ، اذ لم يكن يصدق ان يراني بهذه المعنويات القوية ... اخطرته بان جنديا قادم نحونا فسحبت يدي بسرعة وحييته مودعا ... اغلق الباب خلفي ... وتوجهت نحو السلالم مطرق الراس بحجة النزول .

كان هذا اللقاء مع زميلي العامل ذا فوائد لي ، فلقد عرفت انه الآن رهن الاعتقال ، كما لم اتسبب في الاتيان بالتعذيب على نفسي من اجل ثلاثة او اربعة كتب .

٢٨ شهريور ـ ١٩ سبتمبر

طلبت اليوم مرة اخرى . اقتادني احدهم الى الطابق السفلي بعد ان غطى راسي ووجهي ... مشينا نحو الطرف الجنوبي من البناية رقم (١) وانتهينا بباب حديدي يؤدي الى سلالم تؤدي الى سرداب كبير ... لاول مرة اصادف هذه السلالم ، وتبلغ عدد درجاتها ٤٠ ـ ٥٠ درجة ... وبعد ان دار بي داخل السرداب لعدة دورات ادخلت ممرا يشبه غرفة كبيرة نسبيا تؤدي الى غرفتين تقابلان بعضهما ، وفي اقصى الممر منضدة تحيط بها عدة كراسي . جلست على احدى الكراسي .

ان اقتياد المرء معصوب العينين الى مثل هذه الاماكن ومن خلال كل هذه المسالك والممرات الملتوية حيث يسود سكوت مريب ورهيب ، من

الطرق الجهنمية التي يتبعها الساواك بهدف ادخال الرعب والهلع في قلوب الاسرى وبالتالي ايجاد ثغرة في معنوياتهم وشل عزائمهم الفولاذية عند بدء التعذيب ... وتجري قبل بدء عمليات الاستجواب والتعذيب تهيئة الجو لخلق مستلزمات الانهيار والتردد والشكوك ويعملون بكل ما في وسعهم رسم صورة لهذا المحيط في ذهن الضحية ، فمثلا ، كثيرا ما يرددون : « ـ اتدري اين انت الآن ؟ انك الآن في الفردوس !، والجحيم يقع في السرداب الاسفل اذ لم تنزل من السلالم بعد ! » وعبارات مماثلة اخرى تكرر ليوم او يومين على مسمع الاسير حتى يتجسم المكان له محلا للاشباح والوحوش ... ثم يبدأ بالتفكير عن الجحيم الذي يقع في السرداب التحتي ، والسلالم المؤدية اليه وعدد درجاتها وهلم جرا . وبعد انقضاء هذه المدة ، وعندما يياسون من استجابة الضحية يقولون له :

ـ حسنا ، « لا تقل شيئا ، لا تذكر شيئا ، انهض اذا لننزل الى الاسفل » ، ثم يخاطبون شخصا آخر : « بلغ حضرة الدكتور ان يتهيأ ! ويتبعنا الى السرداب » . انهم كثيرا ما يرددون اسم السرداب ، في حين لا سرداب هناك مطلقا .. كل ما هنالك ، سلم حجري ذو ٣٠ ـ ٤٠ درجة يؤدي الى بناية اخرى تقع تحت المكان الذي انت فيه ، كما ان الغرف لا تختلف عن الغرف الاعتيادية الموجودة في الاقسام الاخرى من العمارة ، والجلادون ، هم نفس اولئك الذين يشتركون في التحقيق والتعذيب وعمليات الاعتقال . هناك فقط احتمال واحد هو استبدال الوجوه وقد يكون بعضهم ممن تلتقي بهم لاول مرة ... تركوني وشأني لمدة تقارب ربع الساعة (طبعا ليفسحوا مجال التفكير لي ولتبدأ الهواجس والاوهام بالتحرك في مخيلتي) .

تساءلت في نفسي : ترى ما الذي حدث مرة اخرى ؟ لعلهم اعتقلوا شخصا آخر ذكر لهم بعض المعلومات عني ! لعلهم .... لعلهم ... وهكذا تتابعت الاسئلة في ذهني واصطدمت الاحتمالات ببعضها .

تقدم احد المأمورين نحوي . شخص بدين خشن ، يرتدي ملابس من احدث طراز . ربت على كتفي متسائلا : الست (...) ؟ قلت :

ـ نعم .

ـ حسنا ، هل تعرف (...) (وكان الشخص الذي ذكر اسمه هو زميلي العامل) .

ـ نعم .

ـ كيف تعرفتما على بعضكما .

اعدت ما كنت قد ذكرته سابقا حول هذه المسالة .

ذهب ، وبعد برهة قصيرة ، عاد حاملا تحت ابطه شيئا من الاوراق وبيده قلم حبر ازرق اللون . ناولني اياهما قائلا : اشرح طبيعة نشاطاتك مع (...) و (...) مع ذكر كافة التفاصيل . شرعت اكتب مراعيا مبدأ (قل ولا حرج) ذاكرا ، من بين ما ذكرت ، ما سبق لزميلي العامل ان ذكره لي عند التقائي به ، لكنني لم اذكر شيئا عن منتخبات لينين وسلمت الاوراق اليه فاخذها ، وما لبث ان عاد وقال لي : اليس لديك شيء آخر نسيت ذكره في حقل علاقاتك معه ؟

قلت : لا اذكر شيئا غير ما كتبت ، باستثناء انني اعرته اثنتين او ثلاثة اعداد من مجلة « العالم الجديد » ولا اذكر شيئا غير ذلك .

وحيث انه لم يكن يستطيع تلفظ عبارة « منتخبات » قال : كنت تملك كتابا عن لينين ايضا ، اليس كذلك ؟ هيا ، خذ الاوراق واذكر ذلك الكتاب ايضا .

كنت ، اضافة الى ما سبق ، قد تحدثت ضمن ما كتبت ، شيئا عن زميلي العامل معرفا اياه بانه انسان ساذج ، متزوج حديثا ، لا علم له اصلا بطبيعة علاقاتي مع زيد . وكانت هذه نوعا من التسهيل لاطلاق سراحه .

عندما افرغت من الكتابة ، كان شخص آخر يقف خلفي ، وبعد ان تفرس في وجهي بدقة لثوان ، سألني : ـ

ـ قل لي ، اين وزعت بيانات سياهكل ؟. كان لهذا السؤال وقع الصاعقة علي وكدت اقع في الفخ ، لولا اني تمالكت اعصابي فورا (٢٤) فقلت متسائلا : ـ وماذا تعني ببيانات سياهكل ؟ فقال :

ـ الم تستلم مثل هذه البيانات من (...) (ذاكرا اسم احد الرفاق في المجموعة) قلت : كلا ، لا علم لي بمثل هذه الاشياء ، ولم يسبق لي طوال حياتي ان قرات بيانا ، ناهيك عن توزيعه ...

فاكتفى بالقول : « كل شيء سيظهر على حقيقته الآن .. » . وولى من حيث اتى . كان هذا ايضا من احدى حيلهم التي لو كتب لهـا النجاح لتسببت في ادانتي وانزال الضربة القاضية علي ... فتساءلت في نفسي : ماذا دهاكم ، ايها الملاعين ، بعد كل هذا ، تعودون فتسألونني عن بيانات

(٢٤) كنت قد وزعت ذات مرة في السوق حوالي (١٠٠) نسخة من بيان مساندة لحركة سياهكل .

سياهكل ؟ ولقد ظل هذا السؤال يدور في فكري دون ان اجد له جوابا (٢٥)، ذلك لانه ، لم يكن احد غيرنا (انا والرفيق المسؤول) يعرف بموضوع البيانات . على اي حال ، انتهى التحقيق ... ولم ار مرة اخرى ذلك الشخص الذي هددني بأن « كل شيء سيظهر على حقيقته الآن ... » وارجعت الى الردهة الخامسة غانما قلم حبر المحقق في هذا السفر النفيس!

مضت الايام بهذه الصورة ، وفي التاسع من شهر (اكتوبر) نقلت من معتقل « اوين » الى سجن قزل قلعة . وكانت الساعة قد بلغت الثانية عشرة والنصف عندما ادخلت من الباب الخشبي الرئيسي للسجن الى داخل السجن . فناء السجن ، ساحة تبلغ مساحتها ٢٤٠٠ متر مربع (٢٠ × ١٢٠) ويتكون السجن نفسه من اربعة قلاع . ثلاثة قلاع منها تقع في جهة الغرب والقلعة الرابعة تقع في الشمال الشرقي . هناك صفان من الغرف الانفرادية على الضلعين الطوليين للفناء تطل شبابيك الصف الامامي على الفناء مباشرة ... تتخلل الفناء حديقة صغيرة يتوسطها حوض ماء محاط بصف من اشجار (الصفصاف الباكي) وقد تدلت اغصانها الى داخل الحوض وحديقة صغيرة اخرى تتوسطها صفصافة فتية ... هذه هي الصورة الحقيقية لفناء سجن قزل قلعة .

السجن يغص بالسجناء البالغ عددهم حوالي (٢١٠) اشخاص، لا توجد اسرة وبطانيات كافية لمثل هذا العدد بل ولا مكان لهم ... باستثناء فصل الصيف ، حيث يسمح لعدد كبير من السجناء بالنوم في الفناء ... على اي حال في وسع المرء ان يضطجع في الممرات والنوم الى ان يحل الصباح !! تعتبر هذه الايام موسم خير بالنسبة لقزل قلعة ومزيدا من الازدحام ، فلقد كان رجال السافاك قد اعتقلوا كل من اثار لديهم ادنى شك او استفسار والقوا به في هذا السجن . طلبة جامعيون اشتركوا في المظاهرات ، اكثرية اعضاء منظمة تبريز ، كوادر سفلى ومؤيدون لمنظمة « فدائي الشعب » ولمجموعة « مجاهدي الشعب الايراني » واعضاء في المجموعات والتنظيمات السياسية المختلفة ... عدد من الفلاحين ، عدد من مزيفي الوثائق ، عدد كبير من الاشخاص البعيدين عن السياسة اصلا اعتقلوا لمجرد علاقات

---

(٢٥) توصلت فيما بعد الى نتيجة انه ، بالنظر الى ان ابرز نشاطات اكثر الجماعات والفئات السياسية في تلك الفترة كانت تنحصر في نشر وتوزيع بيانات من هذا القبيل وان هذه البيانات وزعت على نطاق واسع ، فان العدو ذهل من سيل البيانات التي اخذت الايدي تتلقفها من اكثر من مصدر واحد ، فلم يستطع التوصل الى منشئها ، لذا التجأ الى هذه الحيلة مع جميع المعتقلين دون استثناء لعله يتوصل الى شيء ما بشأنها .

شخصية بعيدة او قريبة مع بعض العناصر السياسية !! نعم ، كان هذا الخليط يشكل نزلاء قزل قلعة ، لذا لم يكن الجو المهيمن في السجن جوا سياسيا بمعنى الكلمة ، وكانت الجهود موجهة قبل كل شيء نحو تامين مستلزمات الحياة الاولية : كيف الحصول على المكان ؟ كيف يجري تقسيم الطعام والمواد الغذائية ؟ كيف تقسم السكاير بنسب عادلة ؟ وقضايا اخرى من هذا القبيل . ومع كل ذلك ، ورغم هذه الظروف الصعبة ، كان هناك عدد قليل ، لا يتعدون اصابع اليد من حيث العدد ، يتجمعون في احدى زوايا السجن وينهمكون بشغف وتلهف لا يوصفان في بحث ومناقشة القضايا السياسية . كانت طرق واشكال التفكير والتناول تختلف من شخص لآخر، وكانت هناك اختلافات في وجهات النظر ، اذ لم تتوضح مصائر المعتقلين بعد وكان هناك حتما بيننا افراد يعملون لحساب العدو . حتى الاشخاص الذين كانوا ، بسبب قابلياتهم الذاتية والادارية ، يستطيعون ان يخففوا من هذه الفوضى السائدة كانوا يتهربون من الالتزام باي شيء ، لذا فقد طلب الينا انتخاب اربعة اشخاص (كمحافظين) لادارة الامور في قزل قلعة .

وثمة سبب آخر يدعو الانسان الى عدم التفكير في التوحيد السياسي للسجناء ، الا وهو كون السجن بالذات في حالة تحول وتغيير دائمين في نزلائه ، كانوا يجلبون (١٥) نزيلا وياخذون (٢٠) منا ، ثم يجلبون (٢٠) آخرين وهكذا ... وكان عدم الاستقرار هذا من جهة وكثرة عدد السجناء من جهة اخرى يشكلان اسباب استمرار الفوضى داخل السجن . لم نكن نواجه مشاكل تذكر فيما يخص الطعام ، والفواكه والتنقلات داخل السجن لاننا كنا نملك يومي مواجهة اسبوعيا ، لكننا كنا في ضيق كبير من ناحية الكتب والجرائد والراديو حيث كنا جميعا محرومين منها . كانت هناك نسخ قليلة جدا من « كتاب الاسبوع » ونسخ من « القرآن » تتداول بشكل خفي للغاية ومن تحت الملاحف والاغطية وكان الحصول عليها صعبا للغاية ، لكل ذلك فان اكثر وسائل اللهو لنا كانت تنحصر في لعب كرة السلة، كرة القدم الشطرنج ، لعبة الداما وغيرها ، وكنا نستفيد من خميرة الخبز في صنع بيادق الشطرنج ، طاولات النرد ، نفاضات السجاير ، السبحات، وكانت هذه الصناعة ! قد انتشرت بين السجناء بحيث احترفها البعض وبرع فيها وكان قسم كبير من انتاجهم يصدر الى خارج السجن ايضا وكانت هناك ميزانية خصوصية لشراء الاشرطة والكركم ونشارة القند وصبغ النيل التي تدخل كمواد اولية فيها !

كان هذا الوضع تواما لوضع آخر صعب للغاية خلقته العناصر

الضعيفة والمعترفة والواشية ، وضع يؤثر بشكل كبير في الجو العام للسجن ، يمتد تأثيره حتى الى البرامج العادية للحياة اليومية كالاجتماعات اللاسياسية التي يعقدها السجناء لمناقشة احدى المواضيع العامة ، فمثلا كان احد طلبة الكليات ، وهو شخص ديني ، يتحدث في احد الايام حول موضوع علمي بحت هو « اينشتاين والنظرية النسبية » لجمع من السجناء، فوصل الخبر الى رجال الساواك المسؤولين عن السجن ، واقتحم جمع منهم القلاع على حين غرة باحثين عن الطالب المذكور ولما وجدوه انقضوا عليه كالنسور الجائعة واشبعوه ضربا ، ولم تقف اعتداءاتهم عنده، بل تجاوزت الى زملائه في القلعة الذين لم يسلموا ، هم الآخرون ، من الاهانات والضرب. وذات يوم آخر ، هجموا على مراقب القلعة بغتة واشبعوه ضربا وركلا ، ثم اخذوه الجلد ولما رجع ، لم يكن بالامكان تبيان تقاطيع وجهه من آثار الكدمات ، ولم يكن يستطيع الحراك لايام متتالية ثم القي به في القسم العام، وبقي السبب خافيا على السجناء لعدة ايام ، عرفوا بعدها بأن السبب هو ان اخبارا وصلتهم عن وجود كتاب يتداول بين السجناء بسرية تامة وان المراقب قد (قصر !) في اخبارهم عن هذا الكتاب ! وخلاصة القول ، لم يمض يوم من شهري مهر وآبان (اكتوبر ونوفمبر) دون ان تحدث مثل هذه الحوادث والاعتداءات ، وكنا نضطر كل يوم الى تدليك ارجل عدد من الرفاق واجسامهم بالمروخات والمراهم !

والواقع ، فان هذه الحوادث كانت ذات اثر ايجابي من جهة ، حيث يتشارك السياسي وغير السياسي في لمس وحشية السلطة واجهزتها وكان هذا من شانه ، تقريب هؤلاء من بعضهم في السجن ، وترك الخلافات الجزئية والجانبية جانبا ، ولقد شهدنا في اواخر شهر آبان (نوفمبر) اضرابات عن الطعام وصيحات استنكار واحتجاج اطلقها سجناء غير سياسيين واعتقلوا من دون اية تهمة واضحة ارتكبوها .

واخيرا ، تحسن الوضع بالتدريج . كنا ننظم حتى اجتماعات خاصة لقراءة الاناشيد ، وكانت برامج الرياضة والغناء الجماعي والاجتماعات الاسبوعية الموسعة حول القضايا المالية وقضايا الحياة اليومية مجالات جيدة وخطوات اولية نحو تعويد السجناء على التضامن والائتلاف . والاستماع الى الآراء المختلفة ، وتبادل وجهات النظر حول مختلف القضايا، وتهيئة الجو من اجل خلق نوع من الوحدة السياسية حول الخطوط الاساسية للنضال .

عند غروب احدى ايام شهر آذر (ديسمبر) طلبوا الي ارتداء ملابسي

والتهيؤ للنقل بناء على طلب مديرية السجن . لم اكن في حاجة الـــى أي (تهيؤ) اذ لم تكن لي امتعة، حتى بالمفهوم السجني الدارج . فاقتادني احدهم بنفس الملابس التي كنت ارتديها ، قميص طويل وسروال عسكري، الى مكتب ساقي وهناك طلب الي المكوث في الممر والانتظار ... اتكات على حائط الممر ، وشرعت الاستفسارات تتوالى في دماغي عن سبب استدعائي مرة اخرى ؛ هل حدث شيء آخر يا ترى ؟. طرق سمعي صوت صراخ واستغاثة يصدر من غرفة ساقي (او بالاحرى مقهى ساقي ـ كما كـان مشهورا بين السجناء) . فتح احدهم باب الغرفة المجاورة والقى نظرة علي ثم ذهب وفتح باب المقهى !! لكي استطيع مشاهدة عملية التعذيب بوضوح، وكان الضحية احد الاشخاص الذين القي القبض عليهم في تلـك الليلة . كانوا قد ربطوه الى المصطبة ويضربونه بالسياط بوحشية ويطلبون اليه بالحاح ان يتكلم ويعترف ... يا للمسكين ، كان وجهه ملطخا بالدم ومتورما من عدة اماكن من اثر اللكمات ، لا يستطيع المشي من اثر الفلقة ، كان شابا في مقتبل عمره قوي البنية ... ومع كل التواءة له من شدة الالم تنقلب معه المصطبة ، وفي احدى هذه الانقلابات المتكررة انقطع الحبل الذي كان يربط رجليه الى المصطبة ، فانهال احد الجلادين ركلا ورفسا على صدره وفخذه والاقسام الحساسة من جسمه ... كنت انظر خلسة الـى هـذا المنظر الرهيب ، ويمر الجلادون من امامي وقد شمروا عن سواعدهم . كان المكان اشبه بمسلخ ، حقا انه مسلخ بشري !. اقبل علي ، على حين غرة ، المدعو هوشنك افهمي وقال مسرعا : ـ حسنا ، ايها السيد (...) ، والآن ... هل لا زلت تمتنع عن ذكر جميع الحقائق ... هه ؟ انه لعبث ان تتصور بأن وضعك في القسم العام يعني ان كل شيء قد انتهى ، واننا اقتنعنا بان لا شيء في جعبتك ! غير ما قلته لنا ، عبثا تتصور باننا سنسمح لـــك بمواصلة الارتخاء في قزل قلعة والنوم ملء جفنيك في راحة بال! تريث قليلا، فسيأتي دورك ايضا !. ثم تركني وتوارى عن الانظار ... وبقيت علـى هذا الوضع لنصف ساعة من الوقت .. كم صعب هو الانتظار وخصوصا هذا النوع منه ، تتزاحم في مخيلة الانسان آلاف الغوائل والاسئلة والشكوك، ولكن ماذا في وسع المرء ان يعمل في مثل هذه اللحظات العصيبة ؟ هناك شيء واحد في مقدوره اجتثاث جذور اليأس والقلق والتخاذل وهي المعنويات القوية والارادة الفولاذية التي لا تقهر والتصميم الحازم على المقاومة ... كما ان السكوت ، كلما امكن ، ازاء كثير من الاستفسارات هو الآخر مفيد في مثل هذه الحالات ، فلا شيء واضح لديك او لدى المحقق ، وفي الامكان

انقاء جميع القضايا في ظلام تام دون ان تسلط النور الا على جوانب قليلة لا يستفيد منها العدو .

ظهر افهمي مرة اخرى ، وعاود التهديد والوعيد وثرثر كثيرا ونطق بالكثير من الالفاظ الخشنة والفظة ، لكن دوري لم يكن قد حل بعد ! فقال : « ليبق كل شيء لحينه ، فلا وقت لي الآن ، وسيكشف لك المستقبل القريب ، الاقرب من ارنبة انفك الى عينك ، كم سيكون الحساب عسيرا ان واصلت هذا العناد ، سنلتقي غدا !! وان غدا لناظره قريب » . ثم امر احد الجلادين بان القى في احدى الغرف الانفرادية في القلعة رقم (٢) . ففعل . كان مكاني الجديد مريحا وجيدا ، يقع مقابل المرافق ، وبالامكان مشاهدة الرفاق عندما يترددون عليها . كان قد مضى هزيع من الليل وانا واقف بالباب ، اذ شاهدت احد السجناء متوجها نحو المرافق ، عرفته ، كان شخصا اشتاق لرؤيته كثيرا . ناديته وفتحت الباب (يمكن فتح ابواب اكثر الغرف الانفرادية في قزل قلعة باليد) ، وبعد ان نظر الي مليا ، عانقني بحرارة . كم كانت فرحتنا عظيمة بهذا اللقاء ! تحدثنا طويلا ، وقلنا ما قلنا ، وعند الافتراق ، قال لي وهو يحرك قبضة يده حماسا : لا تخف ، هؤلاء ليسوا سوى نمور ورقية ، قد يضربونك مائة جلدة او مائتين كحد اعلى ، ولتكن اكثر فانت تدفع ثمن هذه الجلدات بالام في جسمم قد تقاسي منها ليوم او يومين ، لكنك مقابل ذلك تصون راحة في الضمير دون ان تشعر الى الابد بوطاة اثام ثقيلة على كتفك لجرك رفيقا آخر الى هذا المكان ! تخرج شامخ الجبين كأبطال المعارك الدامية المنتصرين . وخرج وهو يلوح بقبضة يده .

في اليوم التالي ، حوالي الظهر منه ، استدعيت وطلب الي ان اجمع امتعتي استعدادا للنقل ، لم اقل بانني لا امتلك اية امتعة حتى اتمكن من رؤية الرفاق مرة اخرى قبل الافتراق . لذا اخذني مرافقي الى القلعة الثالثة . ثقلني الرفاق بما شاؤوا من السجاير والفواكه والحلويات لانهم كانوا يتوقعون ان يكون النقل الى سجن (اوين) ...

صعدت سيارة كانت تنتظرني عند الباب ، ثم اوتي باحد الرفاق من الردهة رقم (٣) ، كنت على معرفة سابقة به وكان قد جلب من آوين لمواجهة اقاربه ، فاقترحت عليه ان ياخذ ما كنت احمله الى الردهة رقم (٥) اذ كان من الممكن ان يلتقي بي هناك ، فلم يرض مبينا بان اقوى احتمال هو انه سيلقى بي في الردهة التي هو فيها مع جمع من الرفاق ، واذا حصل وان القي بي في ردهة اخرى ، فهناك ايضا اناس آخرون لا يختلفون عنا في

العقيدة والقضية ، اما نزلاء الردهة (٥) فانهم جميعا من منظمة « فدائي الشعب » .

بعد الوصول الى (اوين) ادخلت الى الزنزانة مباشرة ومن دون اي كلام سواء مني او منهم، زنزانة انفرادية في الطابق العلوي تحمل الرقم (٦) . ماذا يعني هذا ؟ لماذا الانفرادي ؟ لم اجد اي جواب لهذين السؤالين ومضت على الايام الثلاثة الاول بصعوبة شديدة ، لكني كنت بعد في اول الطريق وكان علي ان اتوقع الكثير من العثرات والاشواك ... وبعد هذه الايام الثلاثة ، كنت الح على الحارس ، كلما فتح الباب لتزويدنا بالسجاير او لتفقدنا ، ان يطلب من المحقق عن لساني ان يقرر مصيري ...

كانت الزنزانة حديثة البناء ، بالغة الرطوبة ، ولم يكن يكسر السكوت الرهيب الذي يخيم عليها ، غير الوقع الثقيل لاحذية الحراس وهم يذرعون الاروقة جيئة وذهابا ، لقد كان هذا الوقع الرتيب اكثر ايلاما من وخز الابرة في القلب ، وكذلك قرقعة الابواب حين تفتح وتغلق ، والصوت المزعج المنبعث من مدفأة معطوبة ... وبمرور الايام ، غدت حتى هذه الاصوات المزعجة اشياء اعتيادية لنا ... وكانت التمارين الرياضية ملاذنا الوحيد للتهرب من التفكير في مصائرنا المجهولة ، وكذلك التمشي ، والبحث في الحيطان والابواب عن عبارات واسماء واشارات كتبها سجناء آخرون سكنوا هذه الزنزانات قبلنا : ابيات شعرية ، كلمات ، اسماء ... كما كنا نمضي جانبا من وقتنا بالنظر في حذر واحتراس من خلال ثقب الباب الى الخارج ، وصنع التماثيل الصغيرة من خميرة الخبز وتنظيف الصحون والمواعين بقطعة قماش . هذه كانت وسائل الترفيه عندنا ونحن نقضي هذه الايام الطويلة في الزنزانات الانفرادية الرهيبة .

في اليوم الخامس ، وحينما كنت انظر الى الخارج، كالعادة ، من ثقب الباب ، شاهدت الحراس يقتادون شخصا نحو زنزانتي ومن الحديث الذي كان يدور بينهم ، فهمت بانهم يبغون نقل احد السجناء الى جانبي ففرحت فرحا شديدا لذلك . واخيرا فتح الباب وادخل السجين الى الزنزانة وغادر الحراس بعد ان اغلقوا الباب خلفهم ... كان الرفيق القادم، احد الكوادر المتقدمة للمنظمة الثورية ، مندفعا شديد الحماس يفيض نشاطا وحيوية وحرارة ، لكنني كنت اخشاه واتردد في اطالة الكلام معه خشية ان يكون احد رجال الساواك وان يكون في الامر حيلة من حيل ساواك التي لا تعد ولا تحصى ... ومع اني بقيت متشبثا بالحذر الشديد ، غير اني بدات اشك في تصوري بعد جلسة او جلستين معه .. لم اكن قط انسانا

هادئا طوال حياتي ، وحتى في داخل هذه الزنزانة الضيقة ، كنت لا اكف عن الحركة والتمشي والانتقال من هذه الزاوية الى تلك ، لا اكف عن ممارسة التمارين الرياضية ، عن الضحك ، عن الكلام والمداعبات ، بحيث قال لي شريكي في الزنزانة ذات يوم : انت لست الشخص الذي تتكلم عنه اضبارتك! كنا لتونا قد انشأنا علاقات وثيقة وصميمة ولم يكن قد مضى على سكناه معي في الزنزانة سوى تسعة ايام ، اذ نودي علي في الساعة العاشرة والنصف من صباح اليوم التاسع ، وكان المنادي حارسا ، امرني ان آتيه بسترتي ، ففعلت ، واخذها مني وسحبها على وجهي بحيث لا ارى شيئا واقتادني الى غرفة التحقيق . مكثت مدة في احدى زوايا غرفة التحقيق انتظر ، وفجأة ظهر افهمي ، وكان وجهه يدل بوضوح على انه منزعج بشكل كبير . توجه الي بالخطاب قائلا : —

— حسنا ، هل صممت على الكلام وافراغ ما في جعبتك تماما ام لا ؟

قلت :

— اي كلام ؟ اي شيء ؟ هل ابقيت شيئا لم اذكره ؟

قال :

— فكر جيدا ، فكر مليا ، وافتح اذنيك لتسمع جيدا ما اقول ، ما ستلاقيه هذه المرة لن يكون مشابها قط لما لاقيته سابقا ، هل تتصور بأني من الغباء بحيث نسيت بانك كنت في نفس هذه الغرفة تسخر من المحققين وتهزأ بهم وشرعت تطلق النكات ، هل تتصور باني قد نسيتك ، ونسيت منظرك عند ذاك ؟ كلا لم انس اهاناتك مطلقا !! فوالله ، لاجعلنك عبرة لمن اعتبر الى يوم الدين !.

قلت :

— لماذا ؟ هل ارتكبت جرما ؟ هل ابقيت شيئا ؟ قولوا لي ارجوكم .

فصرخ في وجهي قائلا : اخرس ، يا اخ العاهرة . ثم صفعني بشدة على اذني وهو يقول : والله لاجعلن منك شيئا يبكيك العالم كله ، ساحكم عليك — يا ابن العاهرة — بعشرة سنوات من الاشغال الشاقة ، وساضربك في كل يوم من هذه السنوات العشر مائة جلدة . قل لي — يا ابن العاهرة — ماذا تتصورنا ؟ حفنة من الحمير ؟

غير انه عندما لم يجد مني غير الانكار والعناد وليس غيرها ، نادى على احد الحراس قائلا : — خذه الى الاسفل .

لم يكن هذا « الاسفل » شيئا مخيفا لدي بعد ، فلقد كنت اعلم انه ليس سوى النزول من خلال السلم الى الطابق السفلي ، الى المكان الذي

اشرت اليه في مكان سابق من هذه السطور . نزلنا انا والحارس ودخلنا سوية نفس الغرفة السابقة لكن لم تكن هناك اية منضدة - كالسابق - بل كان فيها مصطبة واحدة ولفات من الحبل وسلك معدني غليظ عاري الطرف وعدد من الكراسي الصغيرة . كان الديكور قد تغير قليلا ! وقفت عند الحائط لوحدي وانتظرت لمدة من الزمن ... الانتظار ينخر في قلبي ... في مثل هذه اللحظات الحاسمة على المرء ان يركز التفكير في ما يقوي المعنويات ويعززها ... قراءة قصيدة ثورية مثلا ، تصوير المناظر والمواقف التي تتأتى من قوة المعنويات ورفض الاستسلام والتخاذل ... حتى نطح الحائط بالراس او ضربه بقبضات محكمة واثارة الغضب الذاتي ... هذه كلها تقف بوجه محاولات العدو لتعريض المرء الى الانحطاط المعنوي ثم التهيؤ لقبول حالة اليأس والاستسلام ... انتهى هذا الانتظار الممل بقدوم هوشنك خان بقده القصير وهيكله المثير للضحك ... قال من دون تردد : -

- اضطجع ، هيا .

لم امتثل لامره من باب بيان الغبن والاجحاف ، وشرعت اورد التبريرات ، لكنه لم يقتنع باية واحدة منها بل شرعت السباب والشتائم المقذعة تنهال من فمه مدرارا ثم تناول السوط وانهال علي ضربا بوحشية وهو يردد : هيا ، امتد ، هيا ... مسكت السوط من يده عدة مرات ، فاهتاج لهذا ، وسدد الى راسي اثنين او ثلاثة وهو يقول : والآن ... حسنا ، تتجرا على سحب السوط من يد مامور الساواك ، ها ؟ نعم ... والآن تسحب السوط منا ايضا ... كرر هذه العبارة لعدة مرات وهو يوجه ضربات شديدة من سوطه الي مشفوعة باقذع السباب والشتائم ... واخيرا ، لم اعد اقوى على الوقوف على قدمي فوقعت على المصطبة وربط هو رجلي ويدي باحكام واستانف الضرب بوحشية وقساوة اكبر ... كان السوط ثقيلا جدا وموجعا ، وحيث كان احد طرفيه عاريا فانه جرح رجلي من عدة اماكن وسال الدم من الجروح ... وفجاة توقف عن الضرب وحل وثاقي وامرني بالنهوض فورا والسير على قدمي ... فهمت بأن هذا الامر بالسير ، ليس سوى تكرار للعملية السابقة ، فتملصت من السير متأوها ، او بالجلوس على الارض ، واظهار الانهيار الجسدي التام ، فاهتاج من هذا وانهال علي لكما ورفسا ولطما الى ان افرغ ما في قلبه من حقد لكنني اصررت على عدم السير . مسكني من يدي ولواها بقوة وسحبها الى الاعلى وهي ملوية ، لكنني بقيت على اصراري ، لوى كلتا يري مرة واحدة وسحلني بهذا الشكل على الارض ، فلم امتثل ، القى بي على المصطبة مرة اخرى وهم

بربط رجلي ويدي اليها ، الا ان دخول مصطفوي في هذه الاثناء حال دون اكمال الربط . ساله مصطفوي قائلا : ماذا حدث ؟ هل من جديد ؟ فاجابه : يدعي بانه قد ذكر كل مايعرفه ، يمتنع عن الكلام ، يتصور باننا نقاسي كل هذه المتاعب عبثا ، ثم انقض علي كالحية الجريحة مطبقا فكيه على بعضهما واخذ يضربني بوحشية صفعا ولكما يوجهها من دون تحديد وهو يقول : ـ قل لي ، يا ابن العاهرة ، من هو (...) ؟ اتعرفه ؟ فتدخل مصطفوي وتوسل اليه ان يكف عن ضربي ، ثم توجه الي بالكلام قائلا : انظر ايها السيد فلان ، نحن ، يدعونا الناس ماموري منظمة الامن والاستخبارات الايرانية ويسمى هذا المكان بـ « ساواك » (٢٦) ، هل تتصور بانك قد ضللت الساواك بهذه الترهات والسفاسف التي تفبركها ؟ ان مثل هذه الحيل لا تمر علينا قط ، هناك شيء واحد ، ناخذه بنظر الاعتبار وهو ان اطلقنا سراحك بهذا الشكل فانك سرعان ما تعود الى عاداتك القديمة وتسلك نفس السلوك الذي القيت نفسك بسببه في هذا السجن . اتتصور ، باننا اغبياء الى حد نسيناك وانت تقضي احسن اوقاتك مع السجناء الآخرين في الضحك والنوم والحديث وتتمتع بهواء قزل قلعة النقي ؟! كلا ، اننا نتابع سلوكك ، يوميا وبكل دقة ، على اعتبار ان التحقيق لم ينته معك بعد وارجو ان تثق بان لا حيلة يمكن ان تمر على رجل الساواك !.

قلت في نفسي ، تبا لكم ولاكاذيبكم ، الا يكفيني مثلا شريكي في الزنزانة المناضل (ايزدیناه) الذي سايركم لثلاثة اشهر وتمكن من اغوائكم الى ان وجد سبيلا للفرار من برائنكم والتحق بالكفاح المسلح واصبح من الكوادر البارزة للمنظمة ؟ هذه العملية التي لا يمكنكم نسيانها ابدا ... لكنني بقيت ساكتا مطرق الراس لا انبس ببنت شفة ، ويبدو ان مصطفوي فسر هذا السكوت برضاي مما قاله واقتناعي به ، لذا التفت الى افهمي قائلا :

ـ دعه الآن ، ايها السيد افهمي ، ليذهب ويفكر قليلا ...

ثم توجه الي بالكلام قائلا : ـ ستعود الآن الى زنزانتك ، دعني أر هل انت تسكنها لوحدك ام لك شريك فيها . قلت : لست وحدي . قال : ـ حسنا، سأرسلك الى مكان آخر تفكر فيه لوحدك بذهن صاف ! اعلم انه ليس امامك سوى ساعتين تحدد خلالهما موقفك ، وبعد ذلك يبقى تقرير مصيرك من شانك ، فاما ان تتكلم لنا بالتفصيل عن جميع المعلومات المتوفرة لديك وتعطي جوابا شافيا ومقنعا لكل سؤال يلقى عليك وتتخلص نفسك من

---

(٢٦) يطلق هذا المختصر لاسم منظمة الامن على مقراتها ايضا ـ المترجم .

هذا الوضع ، واما ان تظل مصرا على هذه السخافة ، وفي هذه الحالة فانه سينتظرك ما لم تقراه حتى في بطون كتب التاريخ او في الاساطير افهمت ؟. ثم نادى على الحارس وامره بان ياخذني الى الغرفة الانفرادية رقم (١٣) المواجهة للباب الرئيسي المؤدي الى القسم الانفرادي ، وسحبني الحارس من يدي وقذف بي هناك ثم اغلق الباب خلفه ومضى ...

جلست في زاوية من الزنزانة ، تذكرت اشعارا لشاعر ثوري وتمتمت بها مع نفسي : « انه من غير المروءة ان تجر الى ميدان التعذيب رفيقا آخر تخلصا من مائة او الف جلدة.. اياك ان تفشي السر العظيم ... وحتى لو مت ضربا بالعصي ، فانه اشرف لك من ارتكاب الخيانة » .

كان صراع عنيف يدور في داخلي . « علي ان اخرج من هذه المعركة الفاصلة عالي الجبين » ، رن هذا في مسمعي عدة مرات ، كأن صوتا ينبعث من اعماق قلبي ، يلح علي ان اقاوم واقاوم فقط . خاطبت نفسي : الم اكن من وقف بوجههم وقاوم كل مخططاتهم واحابيلهم لاشهر ثلاث دون ان ادعهم ينفذون الى مكامن قلبي ؟! تحملت كل ذلك العذاب والضرب والايذاء ، وبقيت في الميدان اقارعهم دون ان استسلم . هل لي الآن ان اتخاذل بكل هذه السهولة ؟ كلا .. كلا .. لن اخون رفاقي لن اخون القضية قط . لن يذكر لساني اسما لاحد من الرفاق ... لكن ما السبب في جري الى هذا الوضع مرة اخرى ؟ ماذا يعني « الا تعرف (...) ؟ الم يبلغني المواجهون (الاشخاص الذين ياتون لمواجهة السجين) بان (...) هذا يعيش حياة اعتيادية ومنشغل بعمله الاعتيادي ؟ هل هناك ، يا ترى ، احتمال لوقوعه في قبضة العدو ؟ كلا ، فلو كان قد اعتقل واكتشف العدو شيئا ، لكان العذاب غير هذا العذاب ولكانت وجوههم غير هذه الوجوه ولكنت انا الآن في غير هذا المكان في (رخصة) للتفكير ، بل كنت مضطجعا على مصطبة التعذيب ولا يعلم احد ماذا كان قد جرى لي .. اذا فما الذي حدث على وجه التحديد ؟ هل ان اسمي ورد على لسان شخص آخر ولو من بعيد ؟ قد يمكن ان احدا من رفاقي في السجن قد ادلى بشيء عني ، او انهم حصلوا على بعض المعلومات عني بهذه الوسيلة او تلك ... لكن هذه كلها لا تعتبر مستمسكات ضدي ، ولو كان الامر كذلك لقالوا بصراحة ان هناك معلومات جديدة عني ... اذا فالاحتمال الاقوى الكامن وراء هذه الضغوط هو الاطمئنان بصورة نهائية على حقيقة موقفي ، وظلت هذه الحسابات والتحليلات والمقارنات تدور في فكري الى ان استقرت قناعتي على ان السبب هو اكمال الاضبارة وغلق القضية ليس غير . تذكرت بانهم سيقبلون

الآن فالساعتان في سبيلهما الى الانتهاء ، وسيعاودون تعذيبي حتما . اخرجت زوجين من الجوارب من جيبي ولبستهما معا .. . هكذا ساقلل قليلا من آلام الضربات على الاقل . . . لم يدخل احد بعد ، فتناولت قليلا من التبغ والتهمته حتى يغمى علي بأسرع وقت ممكن عند التعذيب ، اضطرب وضعي قليلا اثر تناول التبغ . . . لم آكل شيئا بعد حتى اظل جائعا . . . الانتظار يقلقني وينهش اعصابي ويأكلني اكلا ! لماذا لم يأتوا يا ترى ؟ بدا الظلام يخيم على السجن ، لكن لا اثر لهم بعد . . . يبلغ سمعي صوت صحون الطعام وهي ترص على الصواني ، هذا الصوت الذي نسمعه ثلاث مرات يوميا. . . اذن لقد حان وقت طعام العشاء. . . ففتحت البوابة وشرع التعداد ثم فتح الباب الكبير وسلمني الحارس الطعام . . . الجوع قد انهك قواي ومع ذلك فلقد نهضت ومشيت قليلا ، ضحكت على نفسي من الاعماق ! لكن الانتظار الثقيل لا زال ينهشني نهشا . . . تريثت شيئا آخر . . . طرقت الباب ليسمح لي بالخروج الى المرافق ، اشعر بمرارة شديدة في فمي وبلعومي وغالبني التقيؤ والدوخة . قدم الحارس وفتح الباب وتوجهت راسا نحو المرافق ففست فمي وغرغرت بالماء وغسلت وجهي ورقبتي ، شعرت بتحسن حالي قليلا .

لا فائدة من الانتظار بعد ، هكذا يبدو لي الوضع ، يبدو انهم نسوني . . . سحبت الطعام امامي وتناولت لقمتين او ثلاثا بصعوبة بالغة ، الافراط في الانتظار قد خدر اعصابي وقتل شهيتي . . . بلغ الوقت ساعة متاخرة من الليل لكن جفوني تأبى الانطباق . . . صمت رهيب يلف السجن باكمله، حتى اصوات اقدام الحراس لا تصل الاسماع . . . يؤذي نور المصباح عيني كثيرا ويضاعف من وطاة الارق على اعصابي .. اخرجت كنزتي وعلقتها مقابل المصباح لتقلل من شدة الضوء وتظلم الزنزانة . . . يبدو ان هذه الحيلة نجحت اذ سرعان ما غرقت في نوم عميق ولم استفق منه الا عند الصباح . نهضت على صياح الحارس وهو يقول لماذا لم تستفق بعد ؟ هيا انهض . . انهض . .واكنس الغرفة ! يبدو ان وراء الاكمة ما وراءها ! نهضت وجمعت الفراش وبدات بكنس الزنزانة . . . اتاني بالفطور : ملعقة مربى ، قطعة من الخبز كوب من الشاي وثلاث حبات قند ثم اغلق الباب وراءه وغادر . . . تناولت الفطور ثم طرقت الباب ليسمح لي بالخروج الى المرافق وتنظيف الكوب . اجاب الحارس بخشونة : ـ ماذا دهاك ؟ من قال لك ان تطرق الباب ؟

قلت : ـ افتح الباب ، انوي الذهاب الى المرافق ، فلم اخرج منذ

الصباح والى الآن . فأجاب : تريث ، هناك شخص آخر قبلك .. تريثت قليلا ثم عاودت طرق الباب مرة ثانية فتح الباب على اثرها حارس آخر وقال : ماذا دهاك لتصر بهذا الشكل ؟ ماذا تحتاج ؟. قلت : اطلب الخروج فاجاب : لا اسمح لك ! واغلق الباب بعصبية وبقوة وولى ...

ماذا يعني كل هذا ؟ هؤلاء لم يكونوا بهذه الفظاظة سابقا !. عاودت الطرق مرة اخرى ، ففتح احدهم الباب وقال بعصبية : ماذا بك ؟

فقلت متهورا : ما بالكم ؟ كل ياتي ويقول لي ماذا بك ؟ ماذا بي؟ لم اخرج منذ الصباح الباكر ، افهمتم ؟ اتريدونني ان ابول في داخل الزنزانة؟. اغلق الباب هو الآخر ، لكنني لم اكف عن طرق الباب، واخيرا اضطروا الى فتح الباب وناداني احدهم قائلا : ــ هيا اخرج واغسل بسرعة وعد ، فانك مطلوب لامر ما . خرجت وغسلت وجهي وملأت كأسي بالماء ورجعت الى الزنزانة ، لكن احدا لم يأت لغلق الباب كالعادة !... بعد دقائق رجع الحارس من المرافق وفي يده ماسحة كاشي من نوع (T) ، فخاطبني :

ــ هيا ، تعال ... اين انت ؟ اخرج وخذ هذه الماسحة واغسل الممر كله ثم امسحه بها . سألته باستغراب : ماذا ؟ اغسل الممر ؟ لماذا ؟ اجابني : لا « لماذا » في الجيش، خذ الماسحة فورا ولا تؤخرني، والا احلتك بتقرير واحد على حسيني ، الذي تعرفه جيدا ..

فكرت في نفسي ان غسل الممر ثم مسحه بهذه الماسحة يشكل نوعا من الانشغال وقضاء الوقت ، اضافة الى انه ينطوي على السير لمدة من الزمن داخل الممر وانا منشغل بالعمل ... لذا تناولت الماسحة من يده ، وشرعت بالعمل ، وكلما مررت من امام الزنزانات الواقعة على الممر تنهال علي التحيات من الرفاق : النصر لك ، كيف حالك ؟ وهكذا .

وقفت برهة عند الزنزانة رقم (٦) ، اقترب شريكي السابق في الزنزانة من الباب وقال : ماذا حل بك ؟ قلت : لا شيء ، ضربوني قليلا ، لكنني لا ادري لهذا الضرب سببا ؟ قال : ليس هناك من سبب ، انهم يبغون امتحانك، كن قويا وقاوم ، فديتك بنفسي ..

بارحته ، انتهى الغسل ومسحت الممر كله ثم رجعت الى زنزانتي، حيث كان الحارس ينتظرني ، وقال لي : لا تدخل ، لنا عمل آخر ، بلّغت ان اكلفك بعمل آخر ، لكن هذا العمل لن يتعبك كثيرا ... طلبوا ان تغسل الخلاء بيدك ! لم اصدقه في اول الامر ، ساورني الضحك من هذا الطلب السخيف ، لكن المظهر العابس للحارس اوحى الي بأن علي الرجوع الى الزنزانة مصدقا ما يقول . ففعلت واغلق هو الباب وراءه وذهب . مساحة

الزنزانة (٣) امتار فقط (٥ر١×٢ متر) ، تحيط بي اربعة جيطان صغيرة ... داهمتني الهواجس الناشئة عن الانتظار مرة اخرى ... : « يجب ان تغسل الخلاء بيديك » . ماذا يعني هذا ؟ من اصدر هذا الامر ؟... لكنني فكرت في الامر بعمق اكبر ومنطقية ، فتوصلت الى نتيجة مفادها انه لا يستحق كل هذا الاهتمام الكبير . فتح الباب ثانية وامرني الحارس بالخروج ، ففعلت ، بينما تقدمني هو طالبا الي ان اتبعه ... في الطريق هززت راسي بعنف ــ كما تفعل القطة عندما تحاول نفض الماء عن جسمها ــ خروجا من الاضطراب الفكري والقلق اللذين استبدا بي ، وتذكرت قولا كان احد الرفاق يردده كثيرا في قزل قلعة : « كذا من اللعنات على المائة او المائتي ضربة سوط ، ساتخلص بها من عذاب روحي الشديد وهذا بحد ذاته شيء لا يقدر ثمنه » .

نزلنا من السلالم ، مررنا بالممر ، السلالم ثانية ثم الباب الحديدي الكبير ، مشينا شيئا آخر ، سلالم مرة اخرى ، ادت بنا الى ممر صغير ثم صالة التعذيب العتيدة ! اوقفني الحارس في زاوية من الممر .. رفع احدهم السترة عن راسي ، انه طهراني ، قال لي : حسنا ، هل فكرت ؟ هل قررت شيئا ؟ الم تعد ان لا تخفي عنا شيئا ؟. اجلس ، لا تتكلم . جلست دون ان اجيب على اي من اسئلته . . تركني طهراني ، ذهب ولم يعد ، خمس دقائق ، عشرة ، نصف ساعة ، ساعة كاملة لكنه لم يعد وداهمتني الوساوس والهواجس القاتلة مرة اخرى ، وانهالت علي الاسئلة الذاتية ، اسئلة مجننة . مضت ساعة ونصف . عاد عندها مرة اخرى متابطا بعض الاوراق وقال لي : ها ؟ افكرت ؟ خذ الآن هذا القلم وهذه الاوراق واكتب الحقائق ، كل الحقائق ... انظر ! الويل لك ان تركت شيئا غير مذكور ... ثم ولى ... تناولت القلم ، وشرعت اكتب ، دون ان اضيف شيئا على ما سبق ان كتبته في المرات السابقة .. انتهت الكتابة ، لكن احدا لم يات لتسلم الاوراق مني .. قضيت نصف ساعة اخرى بعد اتمام الكتابة في اضطراب نفسي وقلق شديدين ... اقبل مصطفوي ، وتناول الاوراق واخذها دون ان يقول شيئا .. وبعد لحظات اعادني احد الحراس الى زنزانتي ... كان كل فكري يدور حول تكرار التحقيق ، والتعذيب الذي قد ينتظرني ، والاسباب التي ادت الى جري الى هذا المكان الرهيب مرة اخرى ... ولكن الى متى يجب علي ان افكر في سبل الفرار عن الهواجس ! والتخلص من الاوهام الفارغة التي لا تؤدي الى غير الصداع والاضطراب الفكري القاتل ؟. ومع هذا كان لا بد من التفكير في وسيلة للتخلص من هذه

الهواجس ... فيما مضى ، كانت احدى وسائل الهروب هذه ، هي الخميرة، خميرة الخبز التي كانوا يوزعونها ، وجمع حبات القند ... كنت اصنع حبات السبح وبيادق الشطرنج ... وكانت عملية اعادة عجن الخميرة وتهيئتها بالذات رياضة للاصابع اضافة الى انها كانت تستغرق شيئا لا بأس به من الوقت .. اتخلص خلالها من الملل والفراغ .. ثم احدثت نوعا من التطوير في هذه الحرفة اليدوية ! شرعت اصنع التماثيل منها ... وكانت ادوات العمل عبارة عن اعواد الثقاب او نتف المكانس ... ويجب الا يفوتني ان اذكر بانه حتى هذا العمل كان يمنع من قبل الحراس بمختلف الحجج .. فتارة كانوا يقولون بأن صنع هذه التماثيل من العجين يعني عدم احترام الخبز ! وذنبا وهو يعني جحودا وكفرا بالنعمة ! وكان العرفاء يقولون : ما هذه ؟ من اين اتيت بها ؟ الم يفتشوك ؟ الم تبلغ بانك يجب الا تحمل الى داخل الزنزانة شيئا باستثناء ما يسمح به من قبل ادارة السجن ؟

نعم ، حتى هذه التماثيل البسيطة التي تقلل شيئا من شعوري بالملل والفراغ ، كانت تعتبر اشياء محظورة لدى هؤلاء ، ويسلبونها كلما وجدوها لدي ويمنعوني من صنعها ..

في احدى مرات مسح الممر ، جمعت اثناء العمل علب الثقاب (٢٧) في زاوية من الممر واخذتها بعدئذ الى داخل الزنزانة اذ كان اللعب بهذه العلب هو الآخر نوعا من اللهو بسبب تعدد اشكالها والوانها ، وفي احدى الايام ، عثرت في المرافق وفي سلة المهملات على قطعة من الكارتون تحمل اعلانا تجاريا عن احدى البضائع ، باللغة الانكليزية ، فاخذتها الى الزنزانة ولكي لا يدركوا بوجودها عندي كنت مضطرا الى قراءتها وانا تحت الملحفة ... كان تهجي الكلمات الانكليزية والبحث عن معانيها هو الآخر نوعا من الانشغال ... لكن قلة وسائل الانشغال هذه ومحدوديتها والبحث عن السبل التي تقف في وجه الهواجس والوساوس السوداء حول التحقيق واحتمالاته كان يدفع بالانسان الى البحث عن اشياء اخرى ... كانت معاملة الحراس معي تزداد سوءا .. فمثلا كانوا ينقلونني من هذه الزنزانة الى تلك لعدة مرات من دون ذكر اي

---

(٢٧) العادة الجارية هي، ان على السجين المدخن الذي يرغب في التدخين ان يطرق الباب فيطلب من الحارس ان يولع له سيجارته من البوابة ، لذا كانت اعداد الثقاب المستعملة تتجمع تحت الباب .

سبب ، كانوا يضعون علب التنك امام الباب ويجلسون عليها ويحدثون قرقعة متواصلة بها عند الجلوس ، يفتحون باب الزنزانة بقوة ويدخلون على فجاة، يتمنعون عن السماح لي بغسل الملابس او الاستحمام .. يتحججون لماذا كتبت شيئا على حائط الزنزانة .. كانوا يدخلون علي ويشرعون بتفتيش الحيطان دون ان يخلعوا احذيتهم . كانت هذه الاعمال مبعث تعذيب نفسي شديد لي بحيث كنت اتمنى في كثير من الاحيان ان تعود ايام التعذيب فأتخلص من هذه الوساوس والتعذيب النفسي القاتل ... لكن كل هذه الصعوبات كانت مكتوبة علي وكان علي ان اكون صبورا وصبورا فحسب ... كنت احسب ، في بعض الاحيان ، ان الانزعاج هو بمثابة الخوف من العدو وكان هذا يعقد من المشكلة اكثر فاكثر ... وكان ملاذي الوحيد هو التمشي داخل الزنزانة واية ساحة واسعة كانت هذه الزنزانة !! كان هذا التمشي منفسا لهمومي .

فتح الباب على حين غرة ، واقتادني احدهم الى غرفة التحقيق والتعذيب ، بقيت مدة من الوقت انتظر ، الى ان رفع طهراني الستـــرة العتيدة عن وجهي ، وشرع يتحدث الي ، نفس الشريط السابق ، نفس الكلمات السابقة ، نفس الوسائل السابقة .. انواع الحيل والالاعيب ... من التهديد الى التشويق والاغراء ... تكلم كثيرا وتقمص شخصيات كثيرة، ذهب في مظهر ، وعاد بلحن آخر مكررا نفس الاقوال التي تكررت على مسمعي مئات المرات ... ذات مرة ، وقف امامي وجها لوجه وفي يده قلم .. قال : ــ انظر الى هذا القلم ، اترى اين هو اصبعي ؟! هذا الاصبع يقسم القلم الى قسمين كما ترى ، قسم منه يستقر امام اصبعي والقسم الآخر خلفه .. لنعرف ان القلم باكمله يمثل المعلومات المتوفرة لديك وعنك ، نحن الآن نعرف فقط القسم الذي يقع امام اصبعي ونعرف تفاصيلها . لكننا لا نعرف شيئا عن القسم الذي يقع خلف اصبعي ، وكما ترى فان هذا القسم يمثل شيئا كبيرا من المعلومات لا تزال غامضة علينا يجب عليك تسليط الضوء الكافي عليها ، وابعد عن راسك هذه الخيالات الفارغة المبنية على انك تستطيع التخلص من دون تبيان المعلومات باكملها ... انت اعطيتنا بعض المكاسب في اولى ايام التحقيق وحصلت منا مقابلها على بعض المكاسب ..

ونحن لم ننس ذلك .. وانا لست اذكر هذه الاشياء الا لكي تعرف باننا لم ننس شيئا وباننا نعرف كل شيء ونفهم كل شيء !! ولن ننخدع مطلقا وفي اي وقت والآن ... فالقرار من شانك . اما انا ، فلست سوى نفس (طهراني) الذي تتذكره جيدا ، وكما كنت في السابق ، فانني الآن ايضا استطيع ان اعمل بك ما لم تتصوره مطلقا واجعلك تقاسي طوال حياتك ، وفي نفس الوقت ، باني (طهراني) من نوع آخر ايضا (طهراني) الذي دلك رجلك بالمرخم ، وانهمرت الدموع الحارة من عينيه !! عطفا عليك وتأسفا لك عندما كان موقفك ايجابيا !! والآن ، مرة اخرى ، انت الذي تقرر ، فاما ان تقول لنا كل ما تعرف وكل ما نريد وهذا طريق خلاصك الوحيد ... اذهب .. اذهب وفكر مليا ، وامامك الاوراق والقلم وابدا بالكتابة .

كان الرفاق في قزل قلعة قد طرحوا مسالة في غاية الاهمية حول موقفنا من السـاواكيين ، كانوا يقولون : ان هدف السـاواكيين الوحيد مـن التعذيب الجسدي والنفسي ، من الحيل والفبركات ، من الرعب والهلـع والاساليب الجهنمية المختلفة هو شيء واحد : ان نسمح لهم « بفتح ادمغتنا وقراءة ما يبغون » لكن ما هي مهمتنا ؟ ماذا يجب ان يكون موقفنا ؟ نحن ، يجب ان لا ننسى لحظة واحدة اننا اناس ثوريون فيجب ان لا تضعف معنوياتنا قط ، يجب ان تظل مقاومتنا فولاذية كمبادئنا ، كلنا يعرف ان الطريق الذي اخترناه يمر عبر آلاف الصعاب والمشاكل ، لذا يجب ان نكون دوما على أتم استعداد للتضحية بأرواحنا في سبيل تحقيق اهدافنـا السامية ، اذن يجب ان نتصرف على عكس رغبة السـاواكيين ، اي يجب ان نسعى نحن ، وبكل السبل الى « فتح ادمغة السـاواكيين وقراءة مـا نبغي » . والآن حان الوقت لي لكي اطبق هذا المبدا الثوري ... الآن وهنا ، لا يعترف السيد طهراني بتلونه بآلاف الالوان وتمثيله لآلاف الادوار فحسب ، بل انه يقدم هدف (الساواك) بكل وضوح وصراحة : « طلب طهراني والانقياد له يعني نقضا صريحا للمبدا الذي اختطناه لانفسنا بايدينا عندما سلكنا هذا الطريق المحفوف بالمخاطر ، لذا كنت ازاء جميع الادوار التي مثلها طهراني افكر بما يمكن ان يصبح طريق الخلاص الواقعي المبدئي ، « انـه من غير المروءة ان تجر الى ميدان التعذيب رفيقا آخر تخلصا من مائة او الف جلدة ، اياك ان تفشي السر العظيم ، وحتى لو مت ضربا بالعصي فانه اشرف لك من ارتكاب الخيانة » .

مضى ذلك اليوم ايضا ، دون ان ينفذوا تهديداتهم ، ولم اكن قد كتبت

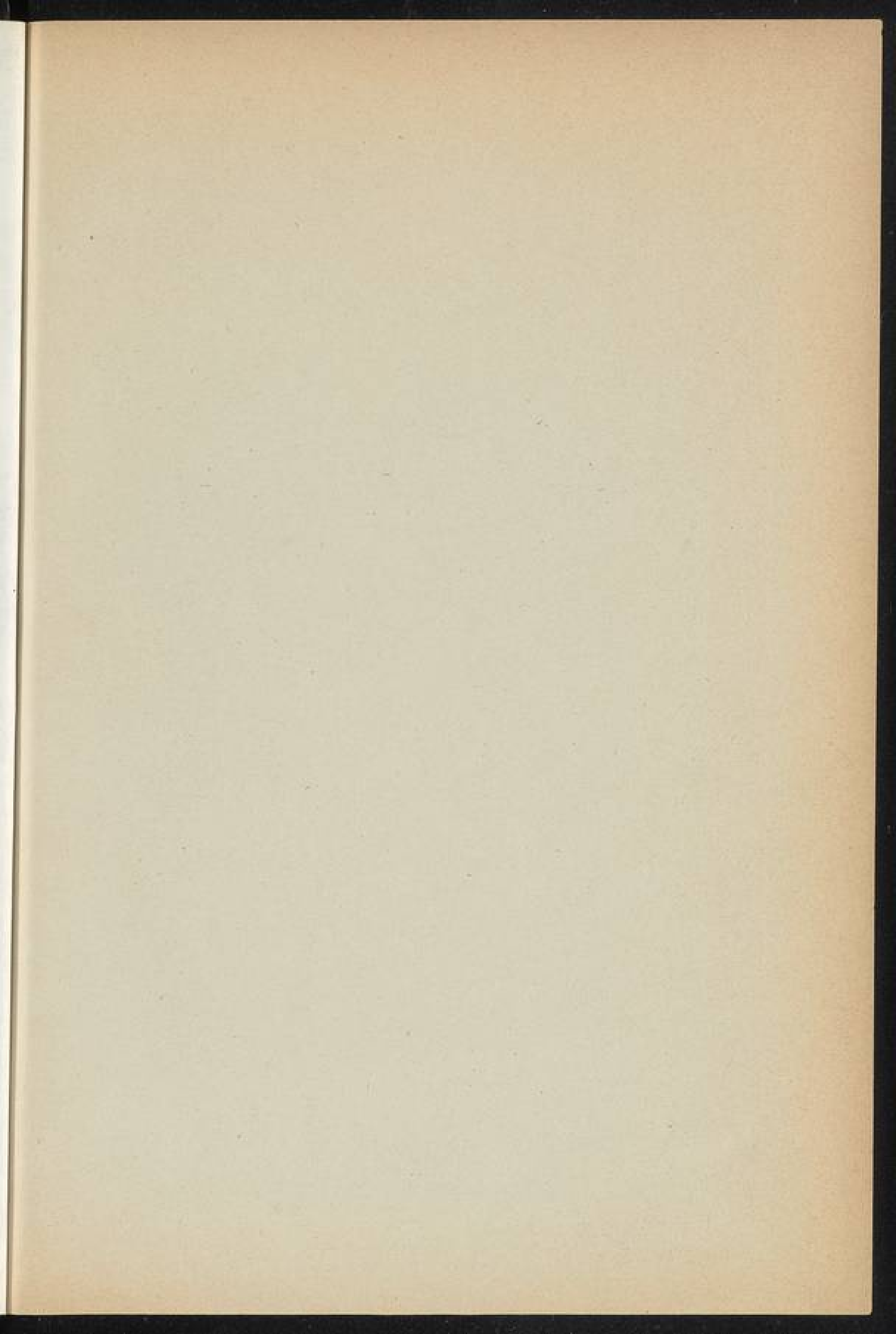
في المرة الاخيرة سوى خلاصة لما كنت قد كتبته في المرات السابقة ... اعدت الى الزنزانة وبعد عدة ايام تخلصت من السجن الانفرادي (مضت على هذه الايام العشرة من السجن الانفرادي بمثابة عشرة سنوات !)

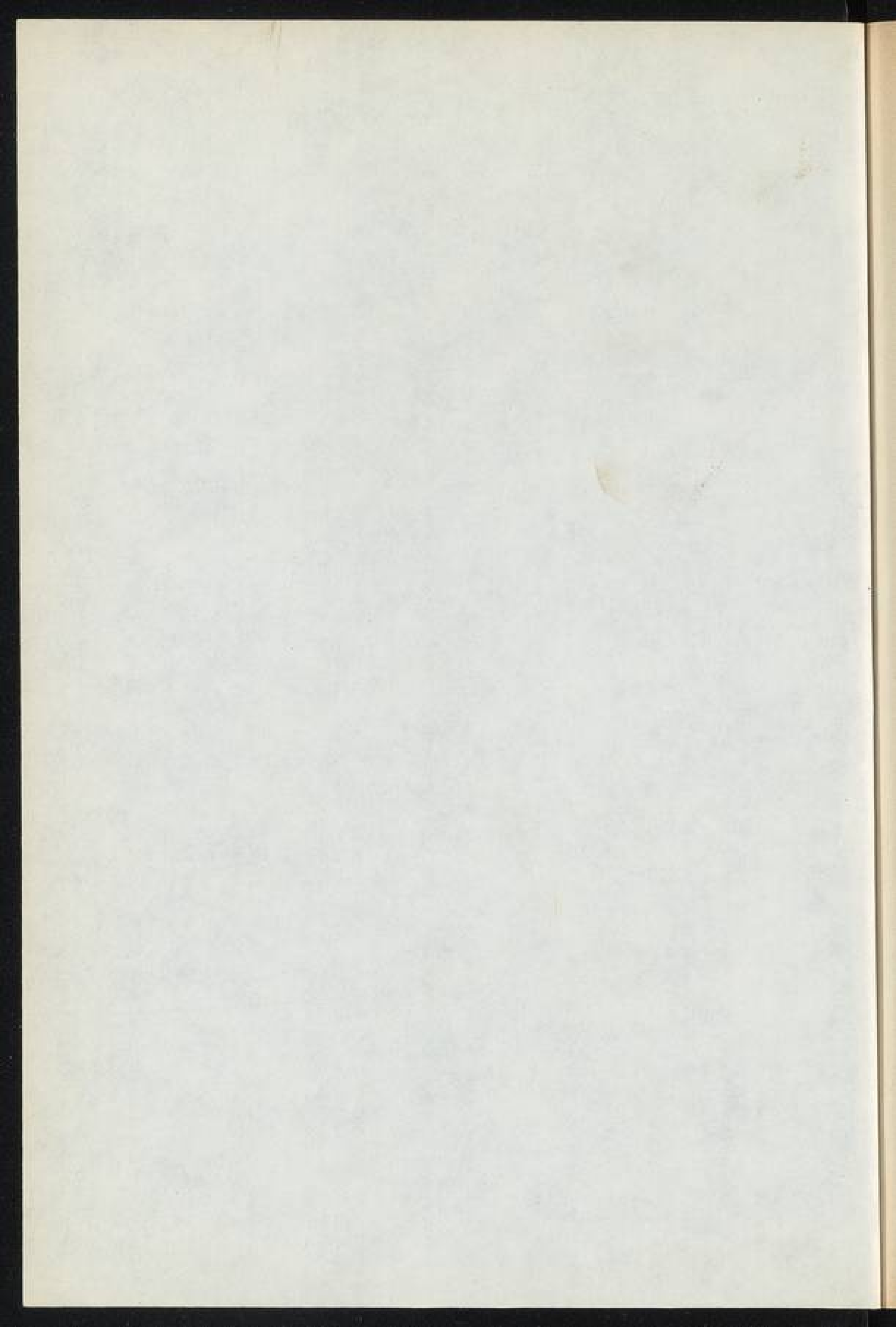
نقلت بعد ذلك الى القسم العمومي الرابع من البناية رقم (١) ومنذ ذلك الحين والى ان اطلق سراحي لم ينقطع التحقيق وقضيت في السجن احدى عشر شهرا على وجه الاجمال ...

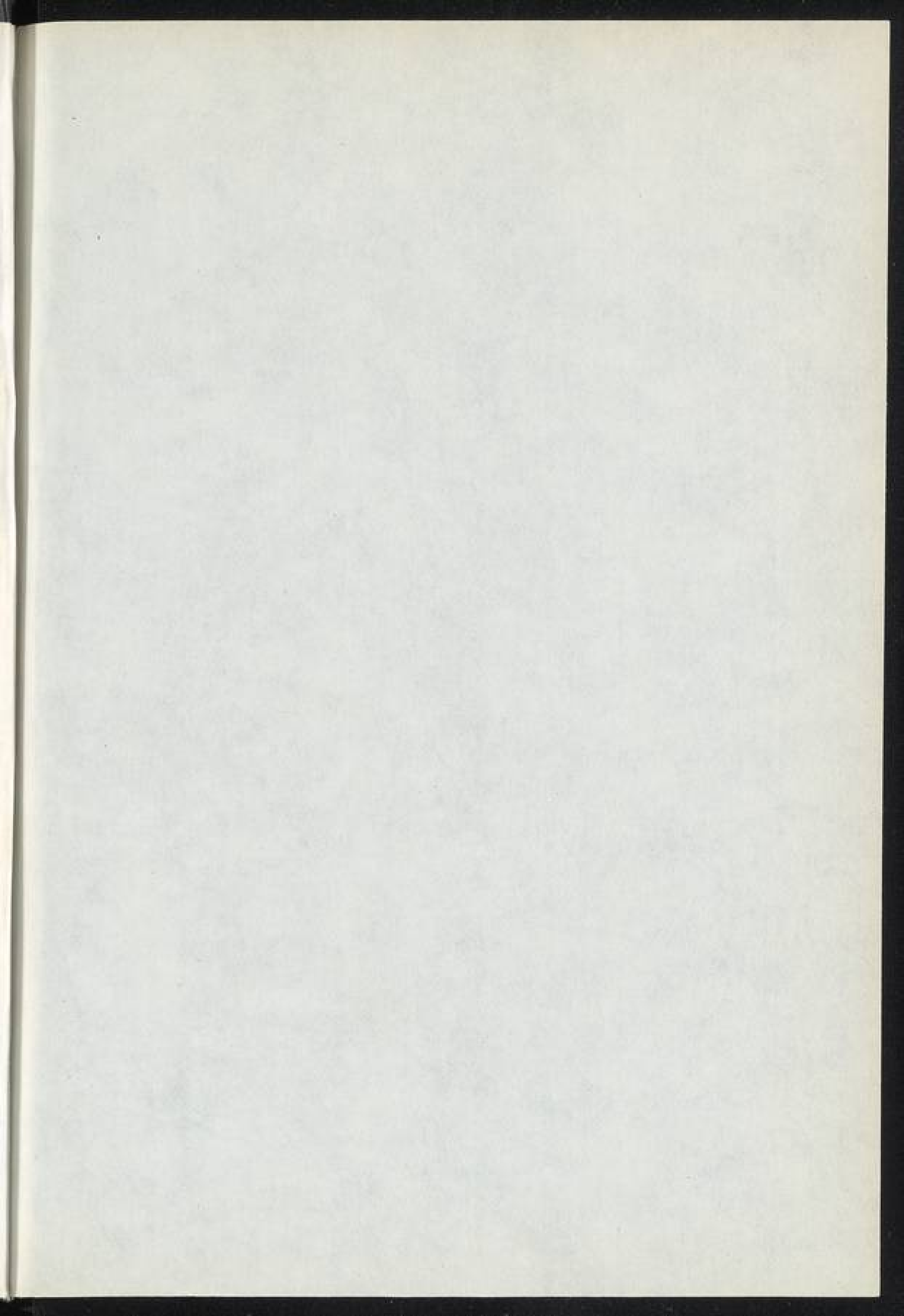
لم يكن سندي الوحيد خلال هذه الفترة العصيبة ، سوى الايمان الثابت بعدالة القضية التي دخلت من اجلها حلبة النضال ، وبانتصارها الحتمي .

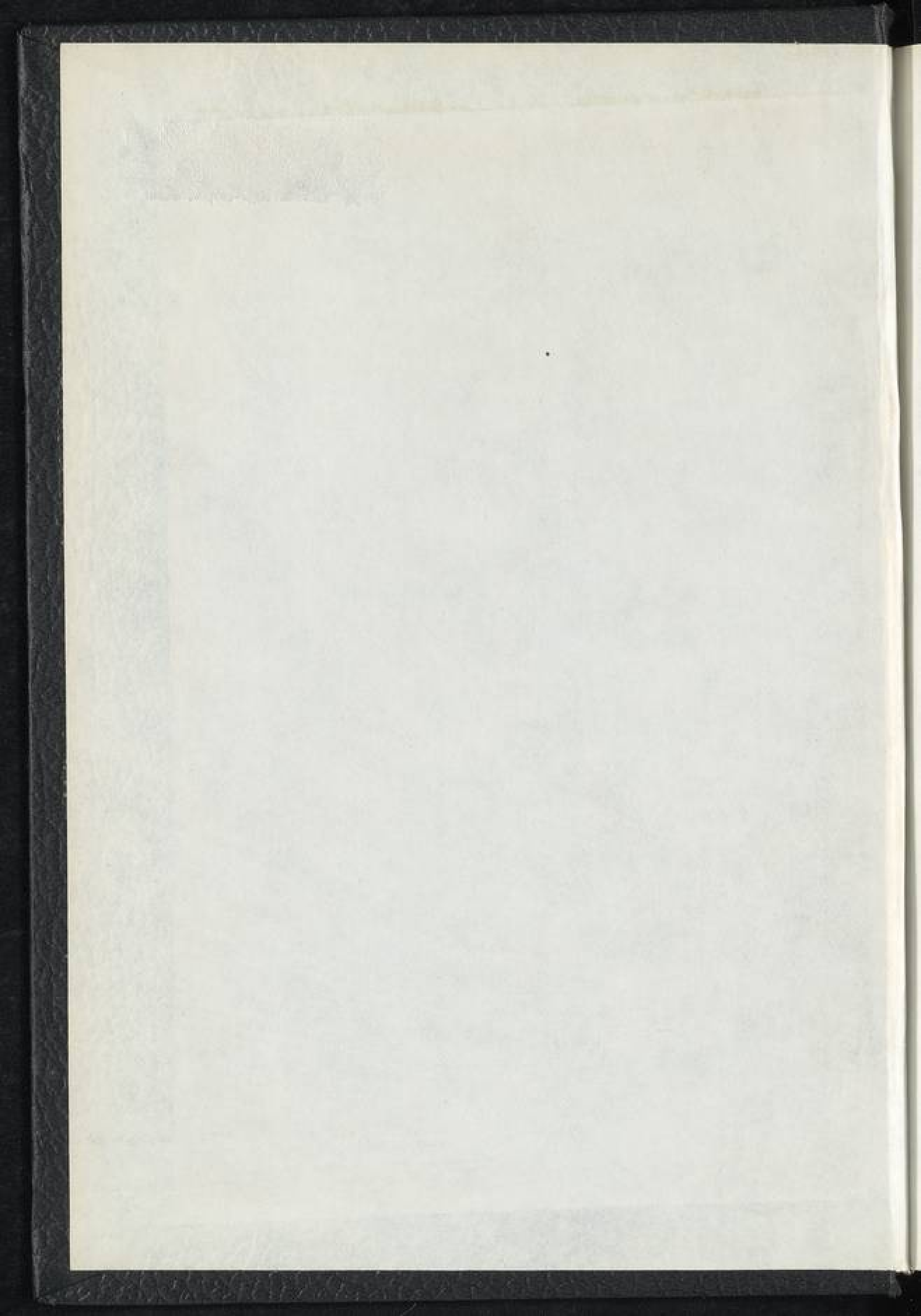
ليتعزز نضال طلائع الكفاح المسلح للشعب الايراني .

فهرست










COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE
CU13459449